الكتاب الخامس

قضـــايا إيمـــانيـة

المسيح يعرفنا عن ذاته

.. ومقالات

أخرى

دكتور جميل نجيب سليمان

اسم السلسلـــة : نور الحياة
الكتـاب الخامس : قضايا إيمانية
المسيح يعرفنا عن ذاته
.. ومقالات أخرى
المـــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان
gamilnsoliman@yahoo.com
الطبعـــــــــة : الأولي 2009
الناشـــــــــــر : بيت مدارس الأحد القبطي
ت : 22029744
المطبعـــــــة : مدارس الأحد، 70 شارع روض الفرج
رقم الإيـــداع : 10744 / 2009
الترقيم الـــــدولي : 977-5334-45-4

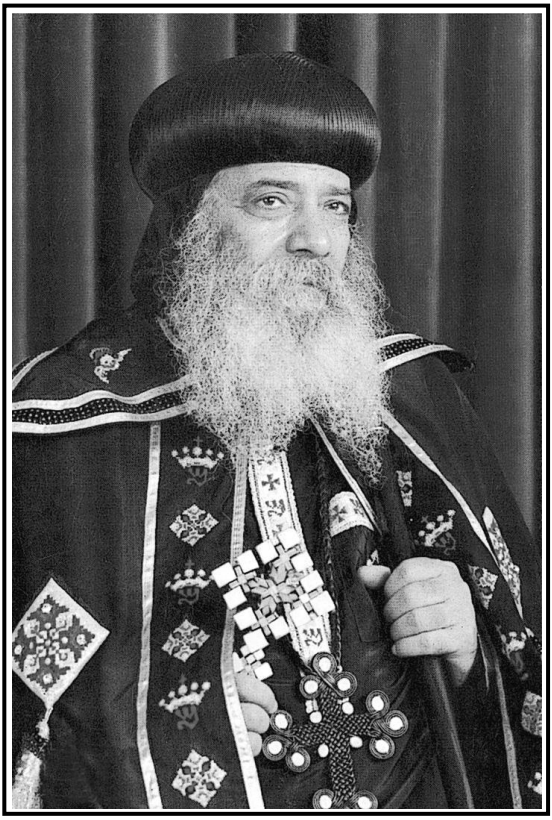

صاحب القداسة والغبطة

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ (117)

المحتويـات

1 – قضية الإيمان المسيحي 9

+ المسيح يعرفنا عن ذاته 10

2 – قضية الخلاص 53

+ المعاني المختلفة للخلاص في الكتاب 54

+ هبة الحياة الأبدية للمؤمنين 69

+ عن الإيمان والأعمال 82

+ عن المجازاة 121

3 – قضايا المسيحى والعالم 137

+ قضية الاضطهاد 138

+ قضية التسامح 150

4– قضية الملكوت 163

+ ملكوت الله..والإنسان 164

كلمة الى القارئ

يتناول هذا الكتاب، وهو **الخامس** في هذه السلسلة من الدراسات في كلمة الله **"نور الحياة"**، مجموعة مختارة من **"القضايا الإيمانية"** التي تهم كل مسيحي، يناقشها مناقشة متأنية على ضوء الحق الإلهي كما جاء في الكتاب المقدس.

+ ففي قضية **الإيمان المسيحي**، يبين الكتاب أن **المسيح هو رئيس الإيمان الذي عرّفنا عن ذاته** وأن الإيمان المسيحي لم يكن ابتداعاً من الرسل أو الكنيسة كما يدّعى المضادّون، وأن يسوع المسيح هو المصدر الأساسي للإنجيل ومحور الكرازة ، ألفها ويأوها.

+ وفي قضية **الخلاص** المصيرية، التي يحاصرها التجاهل من ناحية والجدل من ناحية أخرى، يسجل الكتاب **المعاني المختلفة للخلاص في العهدين** كنقطة بداية لاستيعاب أبعاد الخلاص الذي يبلغ غايته في نوال **الحياة الأبدية**، والقاء الضوء علي العلاقة الوثيقة بين **الإيمان والأعمال** وتجريد ما علق بها من جدل لا مبرر له ، بما يكشف في النهاية أن القديسين بولس ويعقوب يخدمان إنجيلاً واحداً هو **"إنجيل يسوع المسيح"**. ويأتي الحديث **"عن المجازاة"** تداعياً طبيعياً لموضوع **الإيمان والأعمال** واتصاله العضوي بكل منهما كخاتمة حتمية سواء للأبرار أو الأشرار في النهاية.

+ وضمن قضايا **المسيحي والعالم** اختار الكتاب قضيتي **الاضطهاد والتسامح** ، الملتبستين في فكر الكثيرين مستبعداً الاتجاهات السلبية المتصلة بهما كالتهرب من حمل الصليب أو الخلط بين قبول الاضطهاد من أجل الإيمان والخضوع له خوفاً وجزعاً؛ والقبول بالتسامح لا عن قدرة وإنما عجزاً عن المواجهة أو رفض المبدأ من الأساس باعتباره انهزاماً وضعفاً

+ ويختتم الكتاب بقضية المصير "**ملكوت السموات**" حيث مسكن الله مع قديسيه في نهاية الزمان. وينقلنا المقال إلي الارهاصات الأولي عن الملكوت ونبوات العهد القديم عن اقتراب الملكوت ومجئ المخلص الذي بفدائه فتح الطريق للمؤمنين الملتزمين الساهرين لدخول الملكوت الأبدي؛ ويسجل ما ينبئ به الوحي عن طبيعة الملكوت السماوي وطبيعة المؤمنين في الأبدية.

وبالطبع فليست هذه كل القضايا الإيمانية التي تشغل بال كل مؤمن،ولكننا اقتصرنا علي القضايا المذكورة التزاماً بحجمٍ مناسبٍ للكتاب. وسوف نتناول القضايا الهامة الأخري في أجزاء تالية من "**قضايا إيمانية**" ضمن كتب سلسلة "**نور الحياة**".

P P P

وإني أتوسل إلى إلهي "**رئيس الإيمان ومكمله يسوع**" أن يجعل من هذا الجهد المتواضع إسهاماً حقيقياً في إنارة القلوب والعقول بضياء كلمة الله، وأن يجد القارئ في هذا الكتاب إجابات شافية عن تساؤلاته، وأن تتقلص مساحة الحيرة والتناقض في أذهان المؤمنين بإزاء هذه القضايا الرئيسية في بنيان الإيمان المسيحي.

قضية الإيمان المسيحي

+ المسيح يعرفنا عن ذاته

المسيح يعرفنا عن ذاته

كيف وصلتنا رسالة الخلاص؟

بلغت البشرية رسالة الخلاص في البدايات من خلال كرازة تلاميذ المسيح ورسله، ثم بواسطة إنجيل المسيح المكتوب في البشا ئر وسفر أعمال الرسل والرسائل والرؤيا، سواء بقراءة كلمة الله أو من خلال الكنيسة في الأسرار والليتورجية والتعليم . وهكذا عرفنا أن بالإيمان بالمسيح مخلّصاً وحيداً وبالمعمودية (أي بموتنا وقيامتنا معه) باسم الثالوث الأقدس ننال باكورة الخلاص، فنتبرر وتتقدس الحياة ونتمجد عند المجيء الثاني للرب مُعلناً تمام الخلاص بالحياة معه إلى الأبد.

ولكننا نُدرك بالطبع أن مصدر معرفة التلاميذ والرسل والكنيسة بالمخلّص ولاهوته ورسالته وتعليمه وأسرار ملكوته، **هو الرب يسوع نفسه** وأحداث حياته الحافلة وأقواله وأعماله وشهادة النبوّات وإعلانات السماء التي كان التلاميذ والرسل شهوداً عليها بحسب تكليف الرب لهم: **"وأنتم شهود لذلك"** (لو 24: 48). وهكذا انطلقوا يُبشِّرون بما عاينوه وسمعوه واختبروه: **"الذي كان من البدء الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة أُظْهِرَت، وقد رأ ينا ونشهد ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهِرَت لنا . الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا . وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح"** (1يو 1: 1-3)؛

وفيما بعد فقد سجَّل التلاميذ والرسل شهادتهم في أسفار العهد الجديد. ومن هنا يصْدُق على الرب القول إنه حقاً : **"رئيس الإيمان ومُكمِّله"** (عب 12: 2)، كما أن به انكشفت الأسرار وانفتحت أبواب السماء فعرفنا ما لم نكن نعرف عن طبيعة الله : "الله لم يَرَه أحد قط . **الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبَّر "** **(يو 1: 18).**

أولاً: المسيح يعلن أنه الرب ابن الله والواحد مع الآب

في بشارة الملاك جبرائيل للعذراء بميلاد المخلّص (يسوع)، أشار

إلى أنه يكون عظيماً : "**وابن العليّ** يُدعى... ولا يكون لمُلكه نهاية "، وقال لها إن "**القدوس** المولود منكِ يُدعى **ابن الله** " (لو 1: 32،33،35).

وقبل أن يبدأ الرب كرازته، كشف للبشر ساعة معموديته جانباً من طبيعة الله، إذ انفتحت السموات وظهر روح الله مثل حمامة نازلاً وآتياً عليه وسُمِعَ صوت الآب قائلاً: "**هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ**" (مت 3: 17، مر 1: 11).

وفي أحاديثه لتلاميذه بعد بدء خدمته (وهو يذيع أسرار ملكوت الله التي يعرفها - مت 13: 1)، أشار الرب كثيراً إلى حقيقة أنه الرب ابن الله وأنه واحد مع أبيه، كما يتضح من الاقتباسات التالية:

(1) فهو **الرب** الذي تُوجَّه إليه الطلبات والذي سيقف أمامه الكل في اليوم الأخير : "ليس كل مَن **يقول لي يا رب يا رب** يدخل ملكوت السموات .. كثيرون **سيقولون لي في ذلك اليوم : يا رب يا رب ..** فحينئذ أُصرِّح لهم : إني لم أعرفكم قط " (مت 7: 21-23)، "فرجع السبعون بفرح قائلين **يا رب** حتى الشياطين تخضع لنا باسمك " (لو 10: 17)، "فيُجيبه الأبرار حينئذ قائلين **يا رب** متى رأيناك .." (مت 25: 37،44).

(2) وهو "**ابن الله الوحيد** " (من حديثه إلى نيقوديموس - يو 3: 16،18) الذي به عرفنا الآب : "**ليس أحد يعرف مَن هو الابن إلاَّ الآب، ولا مَن هو الآب إلاَّ الابن، ومن أراد الابن أن يُعلِن له**" (لو 10: 22). ومن هنا فهو يشير إلى الآب بـ "**أبي** " و"**أبي الذي في السموات** " (مت 7: 21؛ 10: 32،33؛ 16: 17؛ لو 2: 49)، ويناديه : "**يا أبتاه** " (مت 26: 39،42؛ لو 23: 34)، و"**أبّا الآب** " (مر 14: 36)، ويقول عن الملكوت: "**ملكوت أبي**" (مت 26: 29).

(3) وهو يُصدِّق على شهادة بطرس : "**أنت هو المسيح ابن الله الحي**" (مت 16: 16؛ مر 8: 29؛ لو 9: 20)، مؤكِّداً أنها إلهام الآب السماوي وليست كلمات من الشفاه (مت 16: 17). كما أمَّن على كلام رئيس الكهنة الذي كان يستجوبه إن كان حقاً يقول إنه "**المسيح ابن الله**" (مت 26: 63،64؛ 27: 43؛ لو 22: 70)، وإنه "**المسيح ابن المبارك** " (مر 14: 61). وحتى الشياطين التي كان يُخرجها مِمَّن تسلَّطت عليهم كانت "تصرخ وتقول : **أنت المسيح ابن الله** "، فكان ينتهرهم ولا يدعهم يتكلَّمون بعد أن عرفوه (كي لا يتعارض إعلانهم مع التدبير والأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه) (لو 4: 41).

(4) وقد أوضح الرب أن بنوَّته للآب تعني وحدته معه ومساواته له في الجوهر، أي أن **"ابن الله"** لم يكن لقباً شرفياً لا يُعتدُّ به، وهذا ما فهمه رئيس الكهنة وقت المحاكمة وما اعتبره تجديفاً يستحق عليه الموت (مت 26: 65،66). وبالطبع، لو كان في الأمر شُبهة ادِّعاء لمَا مضى الرب فيه إلى نهاية الشوط ويذوق من أجله موت الصليب . وقد تهدَّدت حياة الرب من قبل أكثر من مرة لنفس السبب، فبعد شفاء مريض بركة بيت حسدا وما ذكره الرب : **"أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل"**، يذكر الكتاب: "فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط، بل **قال أيضاً إن الله أبوه معادِلاً نفسه بالله** " (يو 5: 17،18). كما حدث عندما أشار الرب إلى أنه كائن قبل أن يكون أبو الآباء إبراهيم، أن اليهود "رفعوا حجارة ليرجموه " (يو 8: 58،59). وفي عيد التجديد وكان الرب يتمشَّى في الهيكل في رواق سليمان، وفي ردِّه على تساؤلات اليهود وشكوكهم ختم كلماته بما أثارهم عند قوله : **"أنا والآب واحد "** (يو 10: 30)، فتناولوا حجارة ليرجموه متهمين إيَّاه بالتجديف: "فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً " (يو 10: 33)، ولكن الرب ردَّ عليهم قائلاً: **"إن كنتُ أعمل أعمال أبي،** فإن لم تؤمنوا فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا **أن الآب فيَّ وأنا فيه "** (يو 10: 37،38)، وهو ما كرره في حديثه الأخير لتلاميذه ليلة آلامه قائلاً لفيلبُّس **"الذي رآني فقد رأى الآب ...** ألست تؤمن **أني أنا في الآب والآب فيَّ . صدِّقوني أني في الآب والآب فيَّ،** وإلاَّ فصدِّقوني لسبب الأعمال نفسها" (يو 14: 9-11).

(5) وقد ذكر الرب صراحةً أن كل ما للآب هو للابن : **"كل ما هو للآب هو لي "** (يو 16: 15،26) (وقال في صلاته الشفاعية للآب : **"كل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي " - يو 17: 10)**، وأن الابن يعمل كل ما يعمله الآب (يو 5: 19-21) (ولكن لأن الابن هو الذي كان به الخلاص فصارت الدينونة له وحده - يو 5: 22،29،30).

(6) والرب يؤكِّد أن الآب الذي أرسله هو دوماً معه : "ولم يتركني الآب وحدي .. **وأنا لستُ وحدي لأن الآب معي** " (يو 8: 29؛ 16: 32).

(7) والرب يذكر أنه الطريق إلى الآب : **"أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي** " (يو 14: 6)، كما أن أحداً لا يقدر أن يُقبِل إلى الابن إن لم يجتذبه الآب (يو 6: 44)؛ ولأنه والآب واحد فهو مع الآب يضمن خلاص المؤمنين خاصته : "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني . **وأنا أعطيها حياة أبدية**

ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي . أبي الذي أعطاني إيَّاها هو أعظم من الكل، **ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي** . **أنا والآب واحد** " (يو 10: 27-30).

(8) مع هذا فإن الرب مرة واحدة أراد أن يُظهر كيف أنه قد أخلى نفسه تماماً، وأن ظهوره في الجسد يخفي مجده الحقيقي، وهو ما أشار إليه في صلاته الأخيرة طالباً من الآب أن يُمجِّده في صليبه وموته : **"والآن مجِّدني.. بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم"** (يو 17: 5). ومن هنا فقد بيَّن لتلاميذه في حديثه الأخير لهم ليلة آلامه أنه ينبغي أن يفرحوا لصعوده إلى السماء عائداً إلى مجده ومجد أبيه الذي هو أعظم بما لا يُقاس مما كان عليه في الجسد (إلاَّ في مواقف بعينها أظهر فيها مجده المُخْفَى): **"لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلتُ أمضي إلى الآب لأن أبي أعظم مني** (وأن مجدي الحقيقي أعظم مما ترون، وهو ما أخفيته كي أكون عبداً طائعاً وابناً للإنسان شريكاً له في آلامه وتجاربه وحتى الموت)" (يو 14: 28).

ثانياً: المسيح يُعرِّفنا عن الروح القدس

(1) في مشهد غير مسبوق ظهر الروح القدس (مثل حمامة) نازلاً من السماء على الرب الصاعد لتوِّه من الأردن بعد عماده من يوحنا المعمدان، وهو الحدث الذي عرفته الكنيسة باسم : **"الثيئوفانيا "** أو **"الظهور الإلهي"** (مت 3: 16؛ مر 1: 10؛ لو 3: 22). فدخول الابن إلى العالم كان تمهيداً لتحقيق الوعد الإلهي بأن **يسكب الله روحه على البشر** (يؤ 2: 28-32)، وهو ما أشار إليه الرب ضمن كلماته الأخيرة لتلاميذه قبل صعوده : "وفيما هو مجتمعٌ معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا **موعد الآب** الذي سمعتموه مني، لأن يوحنا عمَّد بالماء وأما أنتم فستتعمَّدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير " (أع 1: 4،5)؛ وهو أيضاً ما أشار إليه القديس بطرس في خطابه يوم الخمسين وقد تحقَّق الوعد القديم الذي سجَّله يوئيل النبي بانسكاب الروح القدس على البشر (أع 2: 14-21).

(2) وقد كشف الرب لتلاميذه ولكل المؤمنين عن دور الروح القدس المساند لهم وقت اضطهادهم، لأنه روح الكرازة والقوة، وهو الشفيع والمدافع عن الإيمان، والذي ينزع الخوف عن الكارزين ويتكلَّم فيهم أمام المقاومين: "فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلَّمون لأنكم تُعطَوْن في تلك الساعة ما تتكلَّمون به، لأنكم لستم أنتم المتكلِّمين، **بل روح أبيكم**

الذي يتكلَّم فيكم" (مت 10: 19،20)، "... **لأن الروح القدس يُعلِّمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوا** (لو 12: 12).

(3) وفي حديثه الطويل الأخير لتلاميذه ليلة آلامه أخذ الرب يكشف لهم عمَّا سيمرُّ بهم بعد قليل، مُ بيِّناً أنه لن يتركهم يتامى بل أنه سيأتي إليهم في الروح القدس المعزِّي (يو 14: 18)، وألقى الضوء على عمل الروح القدس في الكنيسة والمؤمنين ودوره في العمل الخلاصي بعد صعود الرب من مَنْح المبشِّرين بالخلاص قوة الكرازة وعمل الآيات والصمود أمام القوى المضادة، وإعداد القلوب للإيمان وقبول المخلِّص، والسلوك في حياة القداسة، وطاعة الكلمة والانفتاح على الحياة الأبدية، كما أنه **روح الحق** الذي يشهد ويُصدِّق على عمل الابن ويذكِّر بما قاله وعمله، آخذاً مما له وفائضاً به على الكنيسة، والذي يوحي ويكشف عن المستقبل ويعدُّ للمجيء الثاني للربِّ.

"وأنا أطلب من الآب فيُعطيكم **مُعزِّياً آخر** (فالمسيح هو معزِّيهم الذي سيُفارقهم بالجسد) **ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق** الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه **ماكثٌ معكم ويكون فيكم"** (يو 14: 16،17)؛

"وأما **المعزِّي الروح القدس** الذي سيُرسله الآب باسمي، **فهو يُعلِّمكم كل شيء ويُذكِّركم بكلِ ما قلته لكم** (يو 14: 26)؛

"ومتى جاء **المعزِّي** الذي سأُرسله أنا إليكم من الآب، **روح الحق** الذي من عند الآب ينبثق، **فهو يشهد لي"** (يو 15: 26)؛

"إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم **المعزِّي**. ولكن إن ذهبتُ أُرسله إليكم" (يو 16: 7)؛

"وأما متى جاء ذاك **روح الحق** فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلَّم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلَّم به، **ويُخبركم بأمور آتية**. ذاك يمجِّدني لأنه **يأخذ مما لي ويُخبركم"** (يو 16: 13،14)

(4) فالروح القدس هو روح الآب والابن، الذي يملأ الكون منذ الأزل وإلى الأبد، والذي بواسطته تنسكب كل نعمة إلهية على الخليقة والبشر، وينال المؤمنون استحقاقات فداء الرب، ومن هنا كان التجديف على الروح القدس خطيئة كبرى تعني سبق انفصال صاحبها عن الله ومقاومته له وتخبُّطه في الظلام بإطفائه الروح فيه، فتستحيل توبته، وبالتالي يستحيل غفران خطيئته هذه. وقد كان نسْب قوة الله إلى عمل الشيطان واحدة من صور التجديف التي دانها الرب، فهو تجاسرٌ شرير لا يمكن التسامح فيه:

"لأنه أية خلطة للبر والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة، وأيُّ اتفاق للمسيح مع بليعال" (2كو 6: 14،15)؛
"لذلك أقول لكم: كل خطية وتجديف يُغفر للناس، وأما التجديف على الروح القدس فلن يُغفر للناس. ومَن قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له، وأما مَن قال على الروح القدس فلن يُغفر له، لا في هذا العالم ولا في الآتي" (مت 12: 31،32؛ لو 12: 10)

(5) وكما بدأ الرب خدمته بإعلان الثالوث يوم معموديته، فإن كلماته الوداعية لتلاميذه ساعة صعوده جمعت معاً أقانيم الثالوث الأقدس الآله الواحد : **"فاذهبوا وتلمِذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس "** (مت 28: 19)

ثالثاً: المسيح يكشف عن لاهوته وسلطانه وصفاته

المسيح، ابن الإنسان، وهو يقف بجسده على الأرض بين البشر، لم يفتأ يشير إلى حقيقته السابقة واللاحقة، وأنه ليس من هذا العالم، وأنه من فوق، وأنه يمضي إلى مجده الأزلي، وأنه يبقى إلى الأبدوفي إحاطته بالخفيَّات وبما يأتي عليه وما يحمله الم ستقبل كان يُعلن عن طبيعة الله وأسرار الملكوت كما لم يكن يعرفها الإنسان من قبل

(1) ففي حديثه لنيقوديموس يذكر**أنه نزل من السماء،** وأنه وإن كان بجسده المتحد بلاهوته على الأرض إلا**أنه يظل في السماء(بلاهوته)** (يو 3: 13). كما يشير في حديثه الوداعي لتلاميذ**أنه قد خرج من عند الآب وأتى إلى العالم (الذي هو ليس منه) وسيتركه ويعود إلى الآب (عند صعوده)** (يو 16: 28) **عائداً إلى المجد الذي كان له عند الآب(قبل كون العالم)** (يو 17: 5).
+ وفيما بعد، قال الرب لليهود وهو في الهيكل **"أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم "**، فقالوا له: "مَن أنت"؟ فقال لهم يسوع: **"أنا من البدء ما أكلِّمكم أيضاً به... أنا أتكلَّم بما رأيتُ عند أبي"**، وأضاف في نهاية حديثه: **"الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن "** (يو 8: 23،25،38،58). وبالنسبة للبُعد الأبدي فالرب يقول لتلاميذه قبل صعوده **"وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"** (مت 28: 20).
+ وهو على مشارف الصليب، وردّاً على تساؤل بيلاطس عن كونه ملك اليهود، بيَّن الرب أنه بالفعل جاء ليملك ولكنه أكَّد أن مملكته**"ليست**

من هذا العالم " (يو 18: 36). وبعد ساعات كان حفل تتويجه الدامي بإكليل شوك بديل التاج، وعرشه كان صليباً عُلِّق عليه بمسامير في يديه ورجليه، وكانت هناك جموع كثيرة تحيط به ولكنها لم تكن تهتف بحياته وإنما تُطالِب بصلبه حتى الموت

(2) وقبل أن يظهر في الأفق شبح الصليب أخذ الرب يُخبر تلاميذه مبكِّراً جداً بما سيأتي عليه كأنه يراه حاضراً أمامه**"يبذل نفسه فدية عن كثيرين "** (مت 20: 28؛ مر 10: 45)، **"لأنه لا يمكن أن يهلك نبيٌّ خارجاً عن أورشليم "** (لو 13: 33)، مُفصِّلاً ألوان الإهانات (بما فيها الهزء والشتم والتفل والجلد) التي سيجتازها حتى يرتفع على الصليب ليموت، مُبشِّراً مُسْبقاً أنه يقوم في اليوم الثالث.فالصليب لم يكن مفاجأة أو أمراً عارضاً التقى به مصادفةً، وإنما هو هدف مجيئه الذي لم يغب عنه كل حياته: **"ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان"** (يو 3: 14)، **"ولكن لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة "** (يو 12: 27)، **"من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم"** (مت 16: 21؛ 17: 12،22؛ 20: 18،19؛ مر 8: 31؛ 9: 31؛ 10: 33،34؛ لو 9: 22،44؛ 17: 25؛ 18: 31-33).

+ وكان الرب يتحدث عن **القيامة** كأمر واقع وأحداث الصليب لا تزال بعيدة. فبعد التجلِّي وهم نازلون من الجبل، أوصى يسوع تلاميذه ألاَّ يُعلِموا أحداً بما رأوا **"حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات "** (مت 17: 9؛ مر 9: 9)؛

.. وقبل أيام من الصليب حيَّر اليهود بقوله انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه، وهم حسبوه يتكلَّم عن هيكل سليمان بينما كان هو يشير إلى قيامته بعد موته (يو 2: 19-22)؛

.. ولما دهنته مريم بالطيب، أشار هو إلى الرمز دون أن يرتجف **"إنما فعلتْ ذلك لأجل تكفيني "** (مت 26: 12؛ مر 14: 8؛ يو 12: 7)؛

.. وبعد العشاء الأخير، أنبأ تلاميذه بالمحنة الآتية عليهم، ولكنه طمأنهم أنه بقيامته ستزول هذه الغُمَّة **"ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل"**(مت26: 32؛ مر14: 28).

وفي الحقيقة فإن ما أشار إليه الرب مُسبقاً عن قيامته كان معروفاً حتى أن رؤساء الكهنة والفرِّيسيين اجتمعوا إلى بيلاطس بعد موت المسيح قائلين "قد تذكَّرنا أن ذلك المضلَّ قال وهو حي إني بعد ثلاثة أيام أقوم . فمُرْ

بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات (مت 27: 62-64).

وبعد القيامة، وفي لقائه بتلاميذه، أخذ الرب يُذكِّرهم بما كان يقوله لهم عن هذه الأحداث وأنها كانت أمراً محتَّماً: **"كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم.. وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم"** (لو 24: 46،47).

(3) وفي كل مناسبة كان الرب يؤكِّد أن قبوله بالصليب والموت لم يكن قهراً ولا انهزاماً أمام قوى العالم ورئيسه إبليس؛ بل كان تسليماً إرادياً وإخلاءً كاملاً وطاعةً وحباً للآب، وانتصاراً على الخطية والعالم والشيطان، وانغلاباً من محبته غير المحدودة للبشر ولحساب خلاصهم الأبدي: **"هكذا أحب الله العالم"** (يو 3: 16)، **"أحبهم إلى المنتهى"** (يو 13: 1)، **"لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً . ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً"** (يو 10: 17،18)، **"رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء، ولكن ليفهم العالم أني أحب الآب، وكما أوصاني الآب هكذا أفعل"** (يو 14: 30،31)، **"الكأس التي أعطاني الآب ألاَ أشربها"** (يو 18: 11).

+ وقد قصد الرب أن يلتقي تلاميذه مراراً بعد قيامته لكي يؤكِّد حقيقة انتصاره على الموت، وأنه "كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ" هكذا كان هو "في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ" (مت 12: 40). فهو جاز موتاً حقيقياً لأجل خطايانا نحن، وقام ببرِّه ناقضاً أوجاع الموت وواهباً الحياة الأبدية لكل مَن يؤمن. وأتاح لتلاميذه وللعالم أن يتيقَّنوا من أنه لم يكن روحاً أو خيالاً أو شبحاً، وإنما هو معلِّمهم المحبوب بجسده الذي تحمَّل الآلام وعُلِّق على الخشبة وتخنَّن بالجراح واجتاز الموت وبَقِيَ في القبر وتمجَّد بقوة قيامته ولاهوته الذي لم يُفارقه أبداً، صائراً باكورة الراقدين الذين سيقومون "على صورة جسد مجده" (في 3: 21):

"وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلامٌ لكم. فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً . فقال لهم: ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم. انظروا يديَّ ورجليَّ إني أنا هو. جسُّوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما تَرَوْن لي . وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه. وبينما هم غير مصدِّقين من الفرح ومتعجِّبون قال لهم أعندكم ههنا طعام فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل، فأخذ

وأكل قدَّامهم" (لو 24: 36-43).

+ وقد كشف الرب بعد قيامته عن الوجه المضيء المقابل لصليبه وآلامه وموته وما بدا وقتها أن العالم قد طوى صفحته إلى الأبد، فيقول لتلاميذه كلماته الأخيرة مُبشِّراً كل المؤمنين به **"دُفِعَ إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض "** (مت 28: 18)، وهو إن كان سيغيب عنهم بالجسد فهو **يبقى معهم "كل الأيام إلى انقضاء الدهر"** (مت 28: 20).

(4) كما تكررت إشارة الرب المُسْبقة إلى**صعوده** الذي تمَّ بعد أربعين يوماً من قيامته (مر 16: 19؛ لو 24: 51؛ أع1: 9). ففي حديثه مع نيقوديموس في بداية خدمته يذكر **"وليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء"** (يو 3: 13)، مشيراً إلى وجوده الأزلي السابق على تجسُّده وإلى دوام وجوده في السماء كما هو على الأرض

+ وبعد معجزة إشباع الجموع قال لتلاميذه الذين هالهم دعوته لهم لتناول جسده "فإن رأيتم **ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً"** (يو 6: 62) (وهو يعني إذا كان قبول هذا صعباً عليكم، فماذا يكون الأمر حينما ترونني صاعداً إلى السماء بعد قليل)

+ وفي مناسبة تالية قال يسوع للفرِّيسيين : "أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم **أمضي إلى ال ذي أرسلني.** ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا" (يو 7: 33،34).

+ وفي حديثه ليلة آلامه يقول الرب لتلاميذه : **"أنا أمضي لأعدَّ لكم مكاناً.. سمعتم أني قلتُ أنا أذهب ثم آتي إليكم. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلتُ أمضي إلى الآب .. خرجتُ من عند الآب وقد أتيتُ إلى العالم، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب"** (يو 14: 2،28؛ 16: 28)؛ وهو يُقرن ذلك بعودته مرة أخرى في نهاية الأيام لتمجيد قديسيه : "وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً، **آتي وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً"** (يو 14: 3).

+ وهو يقول للمجدلية بعد قيامته : "اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم : **إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم" (يو 20: 17).**

(5) كما أنبأ الرب تلاميذه **بإرساله الروح** وأوصاهم أن يترقَّبوه لينالوا التعزية والقوة التي تؤازرهم في كرازتهم وشهادتهم للمخلِّص وتسندهم في مجابهة العالم المقاوم . وفي اليوم الخمسين لقيامته كان الحلول المهيب للروح الناري على التلاميذ والكنيسة حسب الوعد (أع

2: 1-4): **"وها أنا أرسل إليكم موعد أبي. فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تُلبَسوا قوة من الأعالي "** (لو 24: 49)، "وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا **موعد الآب** الذي سمعتموه مني ... **لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض"** (أع 1: 4،8).

(6) ويكتمل عمل الرب الخلاصي **بمجيئه الثاني** للدينونة وإعلان الخلاص الأخير أو تمام الخلاص بقيامة الحياة ودخول قديسيه إلى مجده والتمتُّع بالحياة الأبدية. وهو ما أشار إليه الرب كثيراً في أحاديثه مع تلاميذه وما أورده من أمثال كعنصر أساسي في قضية الخلاص التي تحمَّل عبئها:

+ ففي توجيهات الرب لتلاميذه قبل بدء خدمتهم يقول إن أمانتهم ستُمتحن في اليوم الأخير أمامه كديان للأحياء والأموات(يو 5: 22،27): "كل مَن يعترف بي قدَّام الناس، **أعترف أنا أيضاً به قدَّام أبي الذي في السموات.** ولكن مَن ينكرني قدَّام الناس، **أنكره أنا أيضاً قدَّام أبي الذي في السموات "** (مت 10: 32،33؛ لو 12: 8،9)، "لأن مَ ن استحى بي وبكلامي فبهذا يستحي **ابن الإنسان متى جاء بمجده ومجد الآب والملائكة القديسين"** (مر 8: 38؛ لو 9: 26)، **"فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله "** (مت 16: 27)، **"ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيُميِّز بعضهم من بعض.."** (مت 25: 31،32).

+ وكثير من الأمثال تقصد مباشرة ما يتعلَّق باليوم الأخير ووقوف الجميع أمام ابن الإنسان كمَثَل الحنطة والزوان (مت 13: 24-30؛ 36-43)، ومَثَل الشبكة المطروحة في البحر (مت 13: 47-50)، والأمثال الأخيرة قبل أيام من الصليب : مَثَل العذارى (مت 25: 1-13)، ومَثَل الوزنات (مت 25: 14-30)، ومثل الأمناء والعبيد العشرة (لو 19:11-27).

+ كما تكلَّم الرب عن مشهد اليوم الأخير (مت 25: 31-46)، وعلامات الأيام الأخيرة والتي دلَّل على صدقها بما سيحدث في القريب من خراب أورشليم والتي سحقها الرومان بالفعل بعد حوالي أربعة عقود من صعوده (مت 24؛ مر 13؛ لو 19: 43،44؛ 21: 5-36).

+ بل إنه في ظلام المحاكمات وظلم القضاة أخذ الرب يكشف لرؤساء

الكهنة والشيوخ عمَّا سوف يحدث في قادم الأيام وعن مجيئه المنتصر في اليوم الأخير : **"من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء"** (مت 26: 64؛ مر 14: 62؛ لو 22: 69).

(7) والمسيح رغم وداعته واتضاعه (مت 11: 29) وتنازُله وغفرانه للمسيئين لم يتحفَّظ في التصرُّف كالله الأعظم صاحب كل سلطان لإعلان لاهوته عندما يريد وعندما تقتضي الأحداث

+ فهو يطلب الإيمان به ويقبل السجود له كما حدث مع الأعمى بعد شفائه (يو 9: 35،38)، ومع التلاميذ عند صعوده (لو 24: 52)، وهو قَبِلَ التسبيح له (مت 21: 9،15؛ مر 11: 9؛ لو 19: 38؛ يو 12: 13)، وهو يقول لليهود وللجميع : **"إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم"** (لو 8: 24).

+ وهو يُعلن أن : **"ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً "** (مت 12: 6-8؛ مر 2: 28؛ لو 6: 5).

+ وهو أبداً لم يخطئ وقال لليهود متحدِّياً : **"مَن منكم يُبكِّتني على خطية"** (يو 8: 46).

+ وهو يغفر الخطايا علناً كما حدث مع المفلوج (مت 9: 2؛ مر 2: 5؛ لو 5: 20)، والمرأة الخاطئة (لو 7: 48)، والمرأة الزانية (يو 8: 11).

+ وهو يُعلِن أن كلامه لا يزول (مت 24: 35؛ مر 13: 31،32).

+ وهو يملك مفاتيح ملكوت السموات كما أعلن ذلك لبطرس (مت 16: 19).

(8) والمسيح قدَّم نفسه بألقاب ووظائف هي في صميم اللاهوت. فهو القيامة والحياة (يو 11: 25،26)، ويُحيي مَن يشاء (يو 5: 21)، ويُقيم في اليوم الأخير (يو 6: 39،40،44،54)، وهو الحق (يو 14: 6)، وهو نور العالم ونور الحياة (يو 8: 12؛ 9: 5؛ 12: 46)، وهو المحرر من الخطية (يو 8: 32،36)، ومُعطي الماء الحي (يو 4: 14؛ 7: 37-39)، وهو المسيَّا (يو 4: 25،26)، وهو الديَّان (يو 5: 22).

رابعاً: الشهـــــادات

(أ) شهادة الشهود

(1) شهادة الآب عن ابنه

خلال حياة الرب بالجسد شهد له الآب **علناً** ثلاث مرات : **الأولى**: يوم معموديته حيث سمع الكون شهادة الآب عن الابن: **"أنت (هذا هو) ابني الحبيب الذي به سُررتُ (رضيتُ)"** (مت 3: 17؛ مر 1: 11؛ لو 3:

22)؛ والمرة **الثانية**: يوم التجلّي على الجبل، ومن وراء الحُجُب ترددت أصداء صوت الآب: **"هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ له اسمعوا"** (مت 17: 2-5؛ مر 9: 7؛ لو 9: 35)؛ والمرة **الثالثة**: والرب في طريقه إلى الصليب، وهو يناجي الآب قائلاً: **"أيها الآب مجِّد اسمك"**، فجاء صوت الآب من السماء: **"مجدتُ وأمجِّد أيضاً"** حتى أن الجمع الذي كان واقفاً حسبه رعداً، وآخرون قالوا قد كلَّمه ملاك. وعن هذه الشهادة قال الرب: **"ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم"** (يو 12: 28-30)، أي أن هذه الشهادة هي لكي نؤمن أنه هو فننال الخلاص وننجو من الموت. وقد أكد الرب على شهادة الآب له بقوله للفريسيين: "أنا هو الشاهد لنفسي **ويشهد لي الآب الذي أرسلني**" (يو8:18).

(2) شهادة الروح القدس

كما شهد الروح القدس يوم معموديته من يوحنا بنزوله عليه مثل حمامة من السموات التي انشقت (مت 3: 16؛ مر 1: 10؛ لو 3: 21)، كما أن حلول الروح القدس يوم الخمسين كألسنة نارية يشهد له من ناحية بتحقيقه وعد الرب بإرسال الروح على التلاميذ والكنيسة (كما أعلن في أحاديثه لتلاميذه قبل الصليب: يو 14: 16،26؛ 15: 26؛ 16: 7؛ وقبل الصعود: أع 1: 4-8)، كما يشهد له ويمجِّده بمساندته للكرازة والكارزين وامتداد ملكوته.

(3) شهادة موسى وإيليا

إن ظهور موسى وإيليا إلى جانب المسيح على جبل تابور وقت التجلّي وحديثهما معه "عن خروجه الذي كان عتيداً أن يُكَمِّله في أورشليم" (مت 17: 3؛ مر 9: 4؛ لو 9: 30،31) هو شهادة **"الناموس"** و**"الأنبياء"** للمسيَّا ورسالته الخلاصية.

(4) شهادة يوحنا المعمدان وزكريا وأليصابات

+ وهو جنين لم يولد بعد، يُسجِّل الكتاب المقدس أن يوحنا ارتكض بابتهاج في بطن أمه **أليصابات** عند زيارة **العذراء** لها بعد البشارة بتجسُّد ابن الله فيها (لو 1: 44). كما أن **أليصابات** لم تستطع أن تكتم عِظَم الشرف الذي نالته بزيارة أُم الله لها وهتفت **"فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليَّ"** (لو 1: 43). وعندما انفكت عقدة لسان **زكريا** بعد ولادة يوحنا، قال بالروح عن **ابن الله** الموعود مُمجِّداً فداءه وخلاصه: "مبارك الرب إله إسرائيل، لأنه افتقد وصنع **فداءً لشعبه** وأقام لنا **قرن خلاص** في بيت داود فتاه." (لو 1: 68،69).

+ وعندما انطلق **يوحنا** من البرية إلى كرازة شعبه بالخلاص، كشف عن علو قدر الذي جاء يُهيئ الطريق قدَّامه **"أنا أعمِّدكم بماء، ولكن يأتي مَن هو أقوى مني، الذي لستُ أهلاً أن أحلَّ سيور حذائه . هو سيُعمِّدكم بالروح القدس ونار"** (مت 3: 11،12؛ مر 1: 7،8؛ لو 3: 16)، **"الذي رَفْشُه في يده، وسيُنقِّي بيدره، ويجمع القمح إلى مخزنه، وأما التبن فيُحْرقه بنار لا تُطفأ"** (لو 3: 17).

وبعد أن اختارته النعمة ليكون شاهداً على الظهور الإلهي المهيب يوم عماد الرب وبعدها، قدَّمه إلى اليهود وكل العالم قائلاً : **"هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم**. هذا هو الذي قلت عنه : يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي.. وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمِّد بالماء ذاك قال لي : الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يُعمِّد بالروح القدس . وأنا قد رأيت وشهدت **أن هذا هو ابن الله** " (يو 1: 29،30،33،34).

وفيما بعد قال يوحنا لتلاميذه شهادته عن الرب كصديق للعريس : **"ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص . الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع... الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع . وما رآه وسمعه به يشهد. ومَن قبلَ شهادته فقد ختم أن الله صادق . الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله"** (يو 3: 30-33، 36).

(5) شهادة التلاميذ

كان التلاميذ حول السيد معظم سنوات خدمته : يُعايشونه ويتلقون توجيهاته ويسمعون تعاليمه ويشهدون معجزاته ويتابعون حواراته ويُسجِّلون أحاديثه . وقد تضمن الكتاب شهادتهم الجماعية في بعض المواقف كما حدث وسفينتهم تعذِّبها الأمواج والرياح، فجاءهم يسوع ماشياً على البحر وأنقذ بطرس من الغرق كما انتهر الريح. ويُسجِّل القديس متى شهادة التلاميذ بعد اختبارهم سلطان الرب "ولما دخلا (الرب وبطرس) السفينة سكنت الريح والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين **بالحقيقة أنت ابن الله"** (مت 14: 32،33).

وقد حرص الرب على أن يرافقه بعض تلاميذه في عدد من المواقف الهامة ليكونوا شهود عيان للحقيقة، كما في حادثة التجلِّي حيث اصطحب معه بطرس ويعقوب ويوحنا، وهكذا سُجِّل حدث التجلِّي في الأناجيل الثلاثة المتناظرة synoptic، كما سجَّله معلِّمنا بطرس في رسالته الثانية (2بط 1: 16-18). ورافقه الثلاثة عند إقامته لابنة يايرس من

الموت (مر 5: 37؛ لو 8: 51). كما كانوا رفاقه في جثسيماني (مت 26: 37). وتابع بطرس (مت 26: 58) ويوحنا (يو 18: 12،16) ومرقس (مر 14: 51،52) محاكمته، ورافق يوحنا العذراءَ والمريمات عند الصليب (يو 19: 26،27).

ويُسجِّل الكتاب عدداً من الشهادات المحددة لتلاميذ بعينهم . وفي هذا المجال لا نستطيع أن نغفل شهادة القديس بولس الذي ظهر له الرب في مشهد باهر في الطريق إلى دمشق، كما اختُطِف إلى السماء الثالثة وسمع ما لا يُنطق به، (ولكننا لن نتعرَّض هنا لشهادته التي سجَّلها سفر الأعمال وضمَّنها رسائله التي بدأ كتابتها قبل أ قدم الأناجيل لأنها تستح ق أن يُفرَد لها مقالات خاصة بها).

- **بطرس**

فردّاً على تساؤل الرب لتلاميذه "وأنتم مَن تقولون إني أنا "، أجاب سمعان بطرس قائلاً : "**أنت هو المسيح ابن الله الحي** ". فطوَّبه الرب مؤكّداً أن الآب هو مَن أعلن لبطرس هذه الشهادة (مت 16: 16،17؛ مر 8: 29؛ لو 9: 20). وفي أعقاب معجزة إشباع الجموع الأولى وحديث الرب عن أكل جسده وشُرب دمه للثبوت فيه وتراجُع البعض عن اتّباعه، سأل الرب تلاميذه إن كانوا هم أيضاً يريدون أن يمضوا، فأجاب بطرس بكلماته المُلهَمة **"يا رب إلى مَن نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك . ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي"** (يو 6: 66-69).

ويوم الخمسين وقف بطرس مُبشراً إخوته : "فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل **أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً** " (أع 2: 36). وبعد شفاء المُقعد، جاهر بطرس أمام رؤساء الكهنة قائلاً : **"هذا ه و الحجر الذي احتقرتموه أيها البنَّاؤون الذي صار رأس الزاوية . لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطِيَ بين الناس به ينبغي أن نخلص** " (أع 4: 11،12).

- **يوحنا بن زبدي**

في ختام إنجيله الذي كتبه أواخر القرن الأول، يُسجِّل القديس يوحنا شهادته: "هذا هو التلميذ الذي يشهدبهذا وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حقّ" (يو 21: 24)، وهو يذكر الغاية الرئيسية من كتابته**"وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة**

باسمه" (يو 20: 31). وهو يفتتح رسالته الأولى بهذه الكلمات : **"فإن الحياة أظهرَت، وقد رأينا ونشهد ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرَت لنا"** (1يو 1: 2). ويكتب فيها أيضاً : **"ونحن قد نظرنا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مُخلِّصاً للعالم. وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه"**(1يو 4: 14؛ 5: 11).

(6) شهادات أخرى

بفضل **السامرية** التي بشَّرت أهلها بالمسيح قائلة"هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت . **ألعل هذا هو المسيح** " (يو 4: 29،30)، باركهم الرب بالمكوث عندهم يومين. بعدها قال **السامريون** للمرأة: "إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن **لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلِّص العالم**" (يو 4: 42).

وهذه **مرثا** أخت لعازر (الميت في قبره)، وهي تسمع الرب يقول لها : **"أنا هو القيامة والحياة. مَن آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل مَن كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد**أتؤمنين بهذا"، تجيبه قائلة **"نعم يا سيد. أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم**(يو 11: 25-27).

(7) شهود أحداث الصليب والموت والقيامة

تحتل أحداث الصليب والقيامة في البشائر الأربعة مساحة كبيرة حافلة بالتفاصيل بما يشير إلى محورية موت المسيح وقيامته في رسالته الخلاصية. ويُسجِّل الكتاب شهادات عدد كبير من الشهود بما يُجرِّد أي دعوى لإنكار موت الرب وقيامته من جديتها ومصداقيتها، خاصة وأن أحداث الصليب والموت والقيامة لم تتم في زاوية بل شهدتها أعين الآلاف فضلاً عن عين الشمس التي احتجبت في رابعة النهار(مت 27: 45).

(أ) شهود أحداث الصليب

- **المريمات**(ونساء كثيرات)

بينما ترك أكثر التلاميذ الرب وهربوا (مت 26: 56)، **ظلَّت العذراء ومريم أختها ومريم المجدلية وسالومة وسائر النساء مع يوحنا أمه** عند الصليب (مت 27: 55،56؛ مر 15: 40،41،47؛ لو 23: 49،55؛ يو 19: 25).

- **حنَّان**

وهو رئيس الكهنة السابق وحما قيافا رئيس الكهنة الحالي (يو 18: 13)، وقد عُرض عليه المسيح أولاً . ويبدو أنه فضَّل للتعجيل بمحاكمته أن يمضوا به مباشرة إلى قيافا (يو 18: 24).

- **قيافا**

وموقفه المناوئ للرب يُسجِّله الكتاب في أكثر من مناسبة . ففي مجمع لرؤساء الكهنة والفرِّيسيين في أعقاب إقامة لعازر، وقف **قيافا** بينهم ليقول محتدّاً : **"أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تُفكِّرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها** (ولم يَقُل هذا من نفسه، بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، تنبَّأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرِّقين إلى واحد)" (يو 11: 45-52؛ 18: 14).

وعندما جاءوا بيسوع أمام قيافا وأخذ في استجوابه، ولم يُنكر الرب أنه ابن الله، وأنه يجلس عن يمين القوة كما سيأتي يوماً على سحاب السماء، هنا مزَّق قيافا ثيابه وأعلن أن يسوع قد جدَّف وانتهى مع المجتمعين **"إنه مستوجب الموت"** (مت 26: 66؛ مر 14: 62-64؛ لو 22: 69-71).

- **بطرس**

كان **بطرس** يتابع محاكمة الرب أمام قيافا وهو جالس خارجاً في الدار (وكان قبل قليل مع الرب في البستان أثناء القبض عليه واندفع يُقاتل عن الرب، فقطع بسيف أُذن عبد رئيس الكهنة -مت 26: 51؛ مر 14: 47؛ لو 22: 50؛ يو 18: 10). وبين الجواري والخدم خانته شجاعته وأنكر سيده ثلاث مرات رغم تحذير الرب المُسبق له"وفي الحال بينما هو يتكلَّم صاح الديك. **فالتفت الرب ونظر إلى بطرس** ، فتذكَّر بطرس كلام الرب فخرج إلى خارج وبكى بكاءً مُرّاً" (مت 26: 51-54، 74،75؛ مر 14: 47،72؛ لو 22: 50، 60-62).

- **يهوذا** (ورؤساء الكهنةوجنود الهيكل وخدَّامه)

حنق **يهوذا** على سيده الذي لم يحقِّق طموحاته الأرضية ووضع في قلبه أن يُسلِّمه لأعدائه، فمضى إلى رؤساء الكهنة"وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أُسلِّمه إليكم، فجعلوا له ثلاثين من الفضة(ثمن العبد)". ولما حانت له الفرصة في البستان ليل الخميس : "جاء ومعه جمع كثير ... فللوقت تقدَّم إلى يسوع وقال السلام يا سيدي وقبَّله... حينئذ تقدَّموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه" (مت 26: 47-50؛ مر 14: 43-46؛ لو 22: 47،48؛ يو 18: 2-8). ربما لم يكن يهوذا يُدرك أن فعلته ستقود سيده إلى الموت فأدركه الندم ولكن بعد فوات الأوان : "حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين، ندم وردَّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً: **قد أخطأتُ إذ سلَّمتُ دماً بريئاً.** فقالوا: ماذا علينا،

أنت أبْصِر. فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه . فأخذ رؤساء الكهنة الفضة ... واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء . لهذا سُمِّي هذا الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم " (مت 27: 3-8؛ أع 1: 16-20).

- **بيلاطس وامرأته وهيرودس**(ورؤساء الكهنة والجموع والعسكر)

في الصباح انعقد مجمع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب لمحاكمة يسوع وانتهوا إلى إدانته"فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى**بيلاطس**". وهكذا صار بيلاطس الوالي الروماني واحداً من أهم شهود أحداث الصليبوهو أدرك أن اتهام يسوع دافعه الحسدوفي حواره القصير مع المسيح لمس براءته، كما تأثر بتحذير امرأته التي أرسلت إليه تقول : **"إيَّاك وذاك البار، لأني تألمتُ اليوم كثيراً في حلم من أجله"** (مت 27: 19). ولما علم أنه جليلي وقد أراد أن يتخلَّص من هذا المأزق أحاله إلى**هيرودس** حاكم الجليل وكان وقتها في أورشليم

ووجد **هيرودس** فرصته ليُشاهد يسوع الذي سمع عنه الكثير: "وترجَّى أن يرى آية تُصنع منه"، ولكن الرب بَقِي على صمته حتى أن هيرودس "احتقره مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً " (لو 23: 6-11)، وبالتالي ردَّه إلى بيلاطس الذي حاول أن يُطلقه كما هو معتاد في العيد، ولكن الجموع التي حرَّضها رؤساء الكهنة ضغطت عليه ليُطلق باراباس ويحكم على يسوع بالصلب . هنا فكَّر بيلاطس أن يُعاقبه بعقوبة بدنية يمتص بها غضب الجماهير وتنهي هذه الأزمة ومن ثمّ يُطلقه . وهكذا سلَّمه إلى عسكره الذين عرَّوه وجلدوه ثم ألبسوه رداءً قرمزياً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه، كما جعلوا قصبة في يمينه ثم ضربوه بها على رأسه . وأخرجه بيلاطس في هيئته الدامية هذه إلى رؤساء الكهنة واليهود وهو يحسب أن هذا ربما كان كافياً، وأخذ يحثّ المسيح أن يتكلَّم مشيراً إلى سلطانه أن يصلبه وأن يطلقه، ولكن الرب خرج هنا عن صمته قائلاً : **"لم يكن لك عليَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق "** (يو 19:11).

على الجانب المقابل فإن صراع الجماهير المتعطشة للدماء الهاتفة : **"دمه علينا وعلى أولادنا "** (مت 27: 25) لم يترك لبيلاطس فرصة أخرى "فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة، فحَكَم بيلاطس أن تكون طلبتهم". وهكذا تخاذل بيلاطس واكتفى أن يغسل يديه وحَسِبَ أنه بذلك يُعلن للجميع براءته**"من دم هذا البار"**، ومن ثمَّ **"أسلمه ليُصلب"** (مت 27: 11-26؛ مر 15: 2-15؛ لو 23: 13-22؛ يو 18: 28-40؛ 19:

.(16-1

- **سمعان القيرواني**

وهو عائد من حقله ساعة الغداء ، وجد **سمعان القيرواني** نفسه بالمصادفة في خِضمِّ مأساة الصليب وليدخل اسمه ضمن قائمة شهوده اللصيقين وهو لم يكن مجرد شاهد للرب، وهو يحمل صليبه بل وصار مُسخَّراً ليحمل هو صليب الرب (مت 27: 32؛ مر 15: 21؛ لو 23: 26).

- **الجمهور الذي بكي عليه**

"وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتي كُنَّ يلطمن وينحن عليه. فالتفت إليهن يسوع وقال : **يا بنات أورشليم لا تبكين عليَّ بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن**" (لو 23: 27،28).

- **عابرو السبيل الذين تهكَّموا عليه**

"كان المجتازون يجدِّفون عليه وهم يهزُّون رؤوسهم قائلين : يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام، خلِّص نفسك ... إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب " (مت 27: 39،40؛ مر 15: 29،30).

- **اللصَّان**

"حينئذ صُلِبَ معه لصَّان : واحد عن اليمين، والآخر عن اليسار ... وكان اللصَّان يُعيِّرانه " (مت 27: 38،44؛ مر 15: 27،32؛ لو 23: 39).

- **عسكر الوالي**

"ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها " (مت 27: 35؛ مر 15: 24؛ لو 23: 34؛ يو 19: 23،24).

- **الجندي الذي طعنه بالحربة**

"وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات، ولكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة، وللوقت خرج دم وماء " (يو 19: 33،34).

- **رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ والشعب والجند** ، الواقفون عند الصليب والذين استهزأوا به قائلين :

"خلِّص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يُخلِّصها . إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به . قد اتَّكل على الله فليُنقذه الآن إن أراده " (مت 27: 41-43؛ مر 15: 31،32؛ لو 23: 35).

(ب) شهود موت المسيح

- **قائد المئة والذين معه**

"فلما رأى قائد المئة ما كان (الزلزلة)، مجَّد الله قائلاً : **حقاً كان هذا (الإنسان) ابن الله"** (مت 27: 54؛ مر 15: 39؛ لو 23: 47)؛

"وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر لما أبصروا ما كان، **رجعوا وهم يقرعون صدورهم** " (لو 23: 48)

- **يوسف الرامي ونيقوديموس**

بعد موت يسوع جاهر **يوسف الرامي** بتلمذته للرب، وأيضاً **نيقوديموس** عضو المجمع (الذي جاء ليلاً قبل سنوات برغبة صادقة للاستماع إلى الرب : يو 3: 1-21)، وهو يأتي الآن ومعه مئة منا من الأطياب؛ هذان جاءا إلى بيلاطس قبل غروب الجمعة وطلبا جسد يسوع، ولفَّاه بأكفان من الكتان وأوسداه قبراً جديداً منحوتاً في صخرة في بستان، ودُحرج على بابه حجر كبير (مت 27: 57-60؛ مر 15: 43-46؛ لو 23: 50-53؛ يو 19: 38-42).

- **حرَّاس القبر**

"فمضوا وضبطوا القبر بالحرَّاس وختموا الحجر" (مت 27: 66).

- **المريمتان**

بعد دفن السيِّد، بقيت المجدلية ومريم الأخرى (أم يوسي) جالستَيْن تجاه القبر (مت 27: 61؛ مر 15: 47؛ لو 23: 55،56).

(ج) شهود المسيح بعد قيامته وعند صعوده

نذكر هنا بعضهم

- **المريمتان**

اللتان كانتا فجر الأحد أول مَن مضى إلى القبر ومعهما الحنوط، ووجدتا الحجر مدحرجاً، والتقيتا بالرب المنتصر (مت 28: 1،9؛ مر 16: 9؛ يو 20: 14-18).

- **سمعان بطرس** (لو 24: 34؛ 1كو 15: 5).
- **تلميذا عمواس** (مر 16: 12،13؛ لو 24: 13-35).
- **الأحد عشر**

مرة بدون توما ومرة بحضوره حيث لمس مكان جراح الرب ومرة أخرى قبل صعود الرب (مت 28: 17-20؛ مر 16: 14-19؛ لو 24: 36-51؛ يو 20: 19-29؛ أع 1: 4-9).

- **سبعة تلاميذ على بحيرة طبرية** (يو 21: 1-14).
- **يعقوب ابن زبدي** (1كو 15: 7).
- **نحو خمسمائة أخ** (1كو 15: 6).

(ب) شهادة الأحداث

أولاً: أحداث حياة الرب

(1) ففي الميلاد

+ يسبقه نبي عظيم ليُبشِّر به **هويوحنا المعمدان** الذي يولد من أبوين عاقرين بوعد من **الملاك جبرائيل** - قبل شهور من ميلاد المخلِّص - ثم يتوارى شهيداً بعد ما قدَّم شهادته وأدَّى مهمته (إش 40: 3؛ مت 3: 1-17؛ 14: 3-12؛ مر 1: 2-11،14؛ 6: 17-29؛ لو 1: 5-25، 57-80؛ 3: 2-22؛ 9: 9).

+ وهو يولد - كما لم يولد أحد - من **عذراء** مختارة يُبشِّرها **الملاك جبرائيل** (لو 1: 26-38).

+ وفي ميلاده يظهر **الملائكة** للرعاة يُسبِّحون الله(لو 2: 8-14).

+ ويأتيه **مجوس من المشرق** يَرَوْن نجمه ويأتون ليسجدوا له ويُقدِّموا له **هدايا** قَصَدَ بها التدبير أن تُعبِّر رمزياً عن حياته كملك وكاهن يُقدِّم نفسه ذبيحة ليصرع فداءً أبدياً(مت 2: 1-12؛ عب 8: 12).

+ وظهر **الملاك** ثلاث مرات ليوسف خطيب مريم : مرة ليُطمئنه من جهة الحَبَل الإلهي (مت 1: 20)، وأخرى ليحثَّه على الهرب إلى مصر بيسوع وأُمه، ثم مرة ثالثة ليطلب إليه العودة بعد زوال الخطر (مت 2: 13،19).

(2) وفي معموديته من يوحنا، انفتحت السموات ونزل الروح مثل حمامة وصوت الآب يُنادي : **"هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرْتُ "** (مت 3: 17؛ مر 1: 11؛ لو 3: 22).

(3) وبعد التجربة على الجبل التي اندحر إبليس في جولاتها الثلاث : "إذا **ملائكة** قد جاءت فصارت تخدمه (مت 4: 11؛ مر 1: 13).

(4) ويوم التجلِّي: "تغيَّرت هيئته وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه كالنور (تلمع جداً كالثلج لا يقدر قصَّار على الأرض أن يُبيِّض مثل ذلك)"، وظهر إلى جانبيه **موسى** (الناموس) **وإيليا** (الأنبياء) يتكلَّمان معه عن مهمته الخلاصية القريبة، وسُمِعَ صوت الآب مجدَّداً : **"هذا هو ابن ي الحبيب الذي به سُرِرْتُ. له اسمعوا"**. وهكذا شهد التلاميذ الثلاثة الذين رافقوه (بطرس ويعقوب ويوحنا) لمحة من وراء حُجُب السماء، تكشف عن لاهوته (مت 17: 1-8؛ مر 9: 3-8؛ لو 9: 28-36).

(5) وفي دخوله الأخير لأورشليم، احْتُفِيَ به كملك بغير افتعال أو تدبير بشري، وفرش الناس ثيابهم على الأرض وأحاطت بموكبه الجماهير وهي

تحمل سعف النخل هاتفة **"أوصنَّا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل أوصنَّا في الأعالي"** (مت 21: 1-11، مر 11: 1-10، لو 19: 28-40، يو 12: 12-15).

(6) ويوم صليبه اضطربت الأفلاك بصورة غير مسبوقة، فانحجبت الشمس وساد الظلام على الأرض في رابعة النهار لثلاث ساعات، وانشقَّ حجاب الهيكل، وتزلزلت الأرض، وتشقَّقت الصخور، وتفتَّحت القبور، وقام كثير من القديسين الراقدين ودخلوا أورشليم وظهروا لكثيرين (مت 27: 45، 51-53؛ مر 15: 33،38؛ لو 23: 44،45).

(7) وكانت سلامة جسده من الفساد **وقيامته** حسب وعده في اليوم الثالث ببهاء ومجد هي شهادة أنه إذا كان قد مات عنا من أجل خطايانا، فإنه قام بقوة لاهوته كبارٍّ وقدوس بلا عيب، لا يقدر الموت أن يمسكه . وجاء إعلان قيامته بزلزلة عظيمة ونزول **رئيس ملائكة** من السماء ليدحرج الحجر عن القبر الخالي بعد قيامة السيد : **"وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج فمن خوفه ارتعد الحرَّاس وصاروا كأموات** وجاء **ملاكان** في القبر الذي صار نبعاً للحياة الجديدة، يُبشِّران الآتين بالقيامة (مت 28: 2-8؛ مر 16: 5-7؛ لو 24: 4-7؛ يو 20: 12،13). وظهر الرب للمريمات ولتلاميذه، فرادى ومجتمعين، وجعل الشهادة بقيامته ركناً أصيلاً من كرازة التلاميذ والرسل، فهي تؤكِّد لاهوته وبرَّه وفداءه للبشر وضمان قيامة المؤمنين في مجيئه

(8) وكان **صعوده**، مع ما يتضمنه من أنه قد جاء من فوق وعودته إلى مجده، إعلاناً على أنه أكمل مهمته الخلاصية كما أنه يرفع أشواق مؤمنيه إلى مقرهم السمائي في اليوم الأخير عندما يأتي ليأخذهم إليه (يو 14: 2،3). وهو قد صعد بقوته الذاتية أمام أعين تلاميذه (مر 16: 19؛ لو 24: 51)، كما أن **الملائكة** جاءت في خدمة السيِّد ولكي تبشِّر بمجيئه الثاني (أع 1: 10،11).

(9) وكما وعد الرب تلاميذه قبل صليبه **بإرساله الروح القدس** (يو 14: 16،17،26؛ 15: 26؛ 16: 7، 13-15)، وأكَّد ذلك قبل صعوده، **فقد حلَّ الروح القدس** عليهم يوم الخمسين في مشهد مهيب غير مسبوق، نالوا به قوة للكرازة وتأسيس الكنيسة واحتمال الآلام وغلبة العالم المضطهد والتطلُّع إلى الملكوت. فالقوة هنا ليست من هذا العالم، وإنما هي **قوة من الأعالي** (لو 24: 49) لا تقوى عليها أبواب الجحيم

ثانياً: المسيح كلِّي المعرفة

نذكر هنا باقتضاب بعض الأحداث التي تشير إلى معرفة المسيح الكليَّة التي لا يمكن لإنسان الإحاطة بها

(1) ففيما يتعلَّق بما سيأتي عليه من **الآلام وأحداث الصليب والموت والقيامة والصعود** فقد أظهر الرب **معرفته المُسْبِقة** بكل دقائقها وأشار إليها مراراً، وحتى قبل أن تظهر بوادرها بزمان [1]، كما أنه عرف مَن الذي يُسلِّمه مبكراً جداً (مت 26: 21-25؛ يو 6: 64،71؛ 13: 10،11،18،21، 26،27).

(2) وهناك العديد من المناسبات التي كشف فيها الرب عن معرفته بالغيب (بالنسبة للماضي أو الحاضر أو المستقبل):

+ فهو يصف **نثنائيل** المُقبل إليه بأنه "إسرائيلي حقاً لا غشَّ فيه "، فيُبادره ذلك متسائلاً كيف عرفه، فيُجيبه الرب: إنه رآه وهو جالس تحت التينة قبل أن يدعو **فيلبُّس** للقائه (يو 1: 47-49).

+ وهو يُخاطب **المرأة السامرية** وكأن حياتها كتاب مفتوح أمامه : "حسناً قلتِ ليس لي زوج، لأنه كان لكِ خمسة أزواج، والذي لكِ الآن ليس هو زوجكِ "، حتى أن المرأة قالت له : **"يا سيد، أرى أنك نبيٌّ "** (يو 4: 17-19).

+ وهو يُرسل تلميذين للإعلد **لدخوله أورشليم** قائلاً لهما كأنه يصف مشهداً يراه أمامه : "اذهبا إلى القرية التي أمامكما، فللوقت تجدان أتاناً مربوطةً وجحشاً، فحلاَّهما وأتياني بهما. وإن قال لكما أحد شيئاً، فقولا : الرب محتاج إليهما، فللوقت يُرسلهما. فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع (**ووجدا كما قال لهما)"** (مت 21: 1-7؛ مر 11: 1-6؛ لو 19: 29-34).

+ كما يُرسل بطرس ويوحنا **ليُعِدَّا الفصح** ويصف لهما بدقة ما سيُصادفانه: "إنسانٌ حامل جرَّة ماء، اتبعاه . وحيثما يدخل فقولا لرب البيت: إن المعلم يقول: أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذي؟ فهو يُريكما عليَّة كبيرة مفروشة مُعدَّة هناك أعِدَّا لنا ... **ووجدا كما قال لهما "** (مت 26: 17-19؛ مر 14: 12-16؛ لو 22: 7-13).

+ **وهو يتنبَّأ عن المستقبل للآخرين** فيؤكِّد لبطرس أنه سيُنكره ثلاث مرات، وهو ما تمَّ بالفعل، رغم نفي بطرس ذلك عن نفسه باستعداده على العكس للموت عن الرب (مت 26: 34،35، 69-75؛ مر 14: 30،31، 66-72؛ لو 22: 31-34، 54-62؛ يو 13: 38؛ 18: 27)، ولكنه تنبَّأ

---

[1] للمزيد يرجى الرجوع إلى مقال **"المسيح كلي المعرفة "** في الكتاب الثاني **(عن المسيح)** من **"نور الحياة"** (ص130).

لبطرس عن موته في آخر الأمر من أجل الرب : **"لما كنتَ أكثر حداثة كنتَ تُمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء. ولكن متى شِختَ فإنك تَمُدُّ يديك وآخر يُمنطقك، ويحملك حيث لا تشاء** ("قال هذا مُشيراً إلى أية ميتة كان مُزمعاً أن يُمجِّدَ الله بها")" (يو 21: 18،19)، وهو ما جرى من صلبه مُنكَّس الرأس أيام نيرون ولكن الرب لم يتنبَّأ بنفس المصير ليوحنا: "قال (بطرس) ليسوع: يا رب، وهذا (أي يوحنا) ما له؟ قال له يسوع : إن كنتُ أشاء أن يبقى حتى أجيء، فماذا لك؟("فذاع هذا القول بين الإخوة إن ذلك التلميذ لا يموت ولكن لم يَقُل يسوع إنه لا يموت")" (يو 21: 21-23).

+ كما تنبَّأ عن**خراب أورشليم وهيكلها**الذي بدأ يوم الصليب واستُكمِل فيما بعد سنتي 70م و140م (مت 23: 37،38؛ مر 13: 2،3؛ لو 13: 34،35؛ 19: 41-44؛ 21: 6، 20-24).

+ وهو **يعرف الأفكار قبل أن تُعلَن** . فبعد شفاء المفلوج واجه الكتبة المحتجِّين على إعلانه غفران خطايا المفلوج : "لماذا تفكّرون بالشر في قلوبكم" (مت 9: 4). وتكرر موقف مُشابه مع الكتبة والفرِّيسيين بعد شفاء ذي اليد اليابسة في السبت (يو 6: 8)، وبعد شفاء المجنون الأعمى الأخرس (مت 12: 25؛ لو 11: 17). وأكثر من مرة عاتب تلاميذه على فكر يكشف قلة إيمانهم (مت 16: 8،9؛ مر 8: 16-21؛ لو 9: 16،17) أو تنافسهم على المكان الأول(لو 9: 46،47).

ثالثاً: المسيح كلّي القدرة[٢]

+ فالكتاب يحفل بآيات **شفاء المرضى وأصحاب العاهات**، سواء بأن يلمسهم الرب أو يلمسوه هم، أو حتى يلمسون هُدب ثوبه، أو يقعون عليه (مت 14: 35،36؛ مر 6: 56؛ لو 6: 19)، أو الذين **ينتهر الأرواح** التي سكنتهم، فتخضع له وتطيعه وتعترف به وتتوسل إليه!آه ما لنا ولك(مالي ولك) يا يسوع الناصري(ابن الله العلي) أتيتَ لتُهلكنا (أجئت إلى هنا قبل الوقت لتُعذِّبنا) (أستحلفك بالله أن لا تُعذِّبني)، أنا أعرفك، مَن أنت : قدوس الله. فانتهره يسوع قائلاً : اخرس واخرج منه . فصرعه الروح النجس (وصاح بصوت عظيم وخرج" (مت 8: 29؛ مر 1: 24-26؛ 5: 7،8؛ لو 4: 34،35؛ 11: 20)، "وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول: أنت المسيح ابن الله. فانتهرهم ولم يَدَعهم يتكلَّمون لأنهم عرفوه أنه المسيح" (لو 4: 41)، "والأرواح النجسة حينما نظرته، خرَّت

---

[٢] للمزيد يرجى الرجوع إلى مقال "المسيح كلي القدرة " في الكتاب الثاني **(عن المسيح)** من **"نور الحياة"** (ص144).

له وصرخت قائلة إنك أنت ابن الله" (مر 3: 11).

+ وفي بعض الحالات **تمَّ الشفاء عن بُعد** دون أن يلتقي الرب بالمريض، كشفاء غلام قائد المئة(مت 8: 5-13؛ لو 7: 2-10)، أو ابن خادم الملك(يو 4: 46-53)، وشفاء ابنة الكنعانية(مت 15: 21-28؛ مر 7: 24-30).

+ وأعلن الرب **سلطانه على الخطية** بغفرانه للخطاة، كما حدث مع المفلوج(مت 9: 2،6؛ مر 2: 10؛ لو 5: 24)، والمرأة الخاطئة (لو 7: 48،49)، والزانية(يو 8: 11)، وغيرهم

+ كما أظهر الرب **سلطانه الفائق على الموت** بأن يأمر الميت أمراً بأن يقوم، بما يشير إلى سيادته على الأرواح والأجساد، وإعادة الحياة إلى الأنسجة التي تحلَّلت والأجهزة التي فقدت وظائفها . وسجَّل الكتاب المقدس حالات ثلاث تحديداً هي: إقامة **ابنة يايرس** وهي لم تزل على فراش الموت (مت 9: 25؛ مر 5: 41؛ لو 8: 54)، وابن الأرملة الذي كانوا يحملونه في نعشه (لو 7: 14)، ولعازر الذي أمضى في قبره أربعة أيام حتى أنتن (يو 11: 43)، فضلاً عن حالات أخرى يشير إليها الكتاب دون تفصيل (مت 11: 5).

+ وأعلن الرب **سلطانه على المادة وعلى الطبيعة** (وما فيها من كائنات). فانتهر الرياح العاصفة والأمواج الصاخبة بكلمته الآمرة: "فقام (من نومه) وانتهر الريح، وقال للبحر اسكُت، إبكم فسكنت الريح، وصار هدوء عظيم.. فخافوا خوفاً عظيماً، وقالوا بعضهم لبعض: مَن هو هذا، فإن الريح (الرياح) أيضاً والبحر يُطيعانه؟ " (مت 8: 26،27؛ مر 4: 41؛ لو 8: 25). بل وسار وسط الظلام على البحر المضطرب : "فلما أبصره التلاميذ ... اضطربوا قائلين : إنه خيال . ومن الخوف صرخوا، فللوقت كلَّمهم يسوع قائلاً : تشجَّعوا. أنا هو، لا تخافوا "، ودعا بطرس للسير على الماء، ولكن إيمانه خانه ولم يستطع أن يواصل. ففي الحال، مدَّ يسوع يده وأمسك به ... والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين : بالحقيقة أنت ابن الله " (مت 14: 26-33؛ مر 6: 47-51؛ يو 6: 16-21).

ولعن الرب **شجرة التين**، فيبست في الحال (مت 21: 18-20؛ مر 11: 11-14). وأظهر سلطانه أيضاً على الحيوان، فاصطاد تلاميذه مرتين سمكاً كثيراً (لو 5: 4-9؛ يو 21: 6-11). وسمح للشياطين أن تدخل في قطيع خنازير، فاندفع إلى البحر وغرق فيه (مت 8: 31،32؛ مر 5: 12،13؛ لو 8: 32،33).

وأظهر الرب**سلطانه على المادة، فحوَّل الماء خمراً** (وما يعنيه من إضافة عنصر كيميائي جديد لا يحويه الماء) **بدون كلمة**، كما يتبيَّن من النص الكتابي الذي انفرد به إنجيل يوحنا"قال لهم يسوع: **املأوا الأجران ماء**. فملأوها إلى فوق **ثم قال لهم: استقوا الآن**وقدِّموا إلى رئيس المتكأ" (يو 2: 7،8).

كما أطعم الآلاف مرتين (وربما أكثر) **بإكثار الخبز والسمك القليل** (مت 14: 15-21؛ 15: 32-38؛ مر 6: 35-44؛ 8: 1-9؛ لو 9: 10-17؛ يو 6: 5-13). وهكذا لا توجد عقبات تقف أمام قدرته الإلهية

(ج) شهادة النبوَّات والرموز

النبوات

هذه شهادة لا يمكن الطعن فيها، ذلك **"لأنه لم تأتِ نبوَّة قط بمشيئة إنسان، بل تكلَّم** (بها) **أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس"** (2بط 1: 21). فالذي أوحى للأنبياء إنما هو روح المسيح الذي لا يخفى عليه شيء، وكل شيء مكشوف لعينيه من البداية إلى النهاية . بالتالي، فالرب - الذي هو محور النبوَّة وغايتها - يعرف النبوَّات التي تشهد له . الروح يرى الأحداث الآتية بسَبْق معرفته ويوحي للأنبياء بتسجيلها حتى عندما يأتي زمانها لتتم تصبح شاهدة بصدق النبوَّة، والنبوَّة شاهدة بصدق مَن تشير إليه.

وكانت النبوَّات معروفة لليهود، خاصة رجال الدين وأتقياء الشعب، فهي تتعلَّق بخلاصهم وهم شعب الله المكلف ببشارة سائر الشعوب بالخلاص. وبالتالي كان انطباقها على شخص المسيح مما لا يمكن إنكاره، ويكون رذله مقاومة لروح الله ورفضاً لكلمة الخلاص

(1) الرب يحث الجميع أن يفتشوا الكتب

في بشارته بالخلاص كان المسيح يطلب من اليهود، ومن كل مَن يسعون إلى الحق والنجاة من الموت، أن يفتشوا النبوَّات بحثاً عنه . فهي شهادات عن المسيَّا مخلِّص العالم سجَّلها الوحي في سالف الزمان وأودعها كتب الناموس والأنبياء والمزامير بالغة القداسة والصدق، وهي مِن ثَمَّ دلائل لا تشوبها شائبة ولا يؤتيها الباطل بأي حال: **"فتِّشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي**(يو 5: 39).

+ وقد أشار المسيح إلى نبوَّة موسى الشهيرة بصورة خاصة عندما قال **"لو كنتم تصدِّقون موسى لكنتم تصدِّقونني، لأنه هو كتب عني"** (يو 5: 46). والرب يقصد ما كلَّم به موسى شعبه **"يُقيم لك الرب إلهك نبياً من**

وسطك من إخوتك مثلي، له تسمعون. قال لي الرب ... أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلّمهم بكل ما أوصيه به " (تث 18: 15،17،18)، وهو ما يعرفه كل اليهود وينتظرونه . فبالرغم مما مر بهم خلال الأجيال من أنبياء تالين بعد موسى، كان أولهم يشوع وآخرهم المعمدان؛ ظل مجيء هذا **"النبي"** الذي تشهد له السماء هو شغلهم الشاغل حتى جاء يسوع[٣].

+ ففيلبُّس، بعد أن عرف الرب قال لرفيقه نثنائيل(برثلماوس): **"وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة... تعالَ وانظُرْ"** (يو 1: 45،46).

+ والكهنة واللاويون عندما سألوا يوحنا المعمدان **"ألنبي أنت "**؟ نفى ذلك منوِّهاً عن يسوع قائلاً **"ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه"** (يو 1: 21،26). وفي الحقيقة فهذه كانت مهمة المعمدان لتهيئة الطريق قدَّام الرب وإعلان أنه هوالمسيح **"حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم"** (يو 1: 29)[٤].

+ وبعد معجزة إشباع الجموع قال الناس عن المسيح : **"إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم"** (يو 6: 14).

+ وفي اليوم الأخير العظيم من عيد المظال وقف يسوع منادياً : "إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرب... مشيراً إلى الروح القدس..."، فكثيرون لما سمعوا هذا الكلام قالوا: **"هذا بالحقيقة هو النبي"** (يو 7: 40).

(2) الرب يستشهد بالنبوَّات

كما حث الرب سامعيه أن يفتّشوا الكتب لأنها تشهد له، فهو أيضاً استخدم النبوَّات - وهي معروفة على الأقل لرؤساء الكهنة والكهنة والكتبة والفريسيين - لتأكيد رسالته. وهو يدخل المجمع في السبوت يقرأ ويُفسِّر ويستشهد بالنبوَّات.

---

(٣) وهو نفس المدخل الذي استخدمه بطرس في كرازته ل لإسرائيليين بعد شفاء المقعد (أع 3: 22)، وهو أيضاً ما ذكره استفانوس في شهادته أمام المجمع (أع 7: 37)، والتي انتهت باستشهاده.

(٤) وهي المهمة التي تضمنتها نبوَّة ملاخي"هأنذا أُرسل(أمام وجهك) ملاكي (الذي)، فيُهيِّئ الطريق (طريقك) أمامي (قدامك)" (ملا 3: 1)، والتي أشار إليها المسيح في معرض حديثه عن يوحنا المعمدان(مت 11: 10؛ لو 7: 27)، وسجَّلها أيضاً القديس مرقس في إنجيله(مر 1: 2).

+ وفي بداية خدمته وهو في مجمع الناصرة (حيث كان قد تربَّى) دُفِعَ إليه سفر إشعياء، فقرأ هذه النبوَّة : **"روح (السيد) عليَّ لأنه (الرب) مسحني لأبشِّر المساكين، أرسلني لأشفي(لأعصب) المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين (للمسبيين) بالإطلاق (بالعتق)، وللعُمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز (لأنادي) بسنة الرب المقبولة (بسنة مقبولة للرب)"** (إش 61: 1-3؛ لو 4: 16-19). وبعد أن طوى الرب السفر وجلس ابتدأ يقول لهم : **"إنه اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم"** (لو 4: 21). ورغم أن الانطباع الأول للكلمات كان طيِّباً إلاَّ أن الإعجاب انقلب إلى التهوين من شأنه باعتبارهم يعرفونه ويعرفون عائلته . وانتقد الرب مسلكهم وانتهى الأمر بأن أرادوا التخلُّص منه بإلقائه من فوق الجبل، ولكنه جاز في وسطهم ومضى (لو 4: 22-30).

+ وكثيراً ما أشار الرب لتلاميذه إلى أن أحداث حياته تُحقِّق ما جاء في النبوَّات. فقبل صليبه قال لهم **"ها نحن صاعدون إلى أورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان"**(لو 18: 31).

+ وقد يشير الرب إلى نبوَّة بعينها عن اقترا ب تحقيقها فيقول لتلاميذه بعد العشاء الأخير : "لأني أقول لكم إنه ينبغي أن يتم فيَّ هذا المكتوب : **"وأحصِيَ مع أثَمَة "** (إش 53: 12)، لأن ما هو من جهتي له انقضاء (أي أن ما يتعلَّق بي لابد أن يتم)" (لو 22: 37). وهو ما تحقَّق بالفعل في منتصف النهار التالي عندما صُلِبَ يسوع بين لصَّيْن (مت 27: 38؛ مر 15: 27،28؛ لو 23: 33)، حيث عومل الرب كمذنب وجَمَعَت عقوبة الصلب بينه وبين لصَّيْن أُتيح لأحدهما - بسبب هذه الرفقة - أن ينجو من الموت الأبدي ويكون أول الداخلين إلى الفردوس، عندما أعلن إيمانه بالمخلِّص البار المعلَّق في المنتصف بينهما .

+ أشار الرب إلى ما جاء في سفر إشعياء في معرض حديثه عن غلاظة قلب السامعين : "قد تمَّت فيهم نبوَّة إشعياء (إش 6: 9-11) القائلة : **تسمعون سمعاً ولا تفهمون، ومُبصرين تُبصرون ولا تنظرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها وغمَّضوا عيونه م، لئلا يُبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم** " (مت 13: 14-16؛ لو 8: 10؛ يو 12: 40)، **"يقترب إليَّ هذا الشعب بفمه ويُكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمُبتعد عني بعيداً** " (إش 29: 13؛ مت 15: 8).

+ وعند طرد الرب للباعة من الهيكل انتهرهم مُذكِّراً إيَّاهم بنبوَّة إشعياء: "**بيتي بيت الصلاة يُدعَى(لكل الشعوب) لجميع الأمم (إش 56: 7)، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص** " (مت 21: 13؛ مر 11: 17؛ لو 19: 46) (وعندها تذكَّر تلاميذه المكتوب"غيرة بيتك أكلتني" - مز 69: 9؛ يو 2: 17).

+ وختم الرب مَثَل الكَرْم والكرامَّين بأنَّ مَن رفضه اليهود سيكون هو حجر الزاوية في الملكوت، مشيراً إلى ما جاء في المزمور (مز 118: 22،23): "**الحجر الذي رفضه البنَّاؤون هو قد صار رأس الزاوية. مِن قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا** " (مت 21: 42؛ مر 12: 10،11؛ لو 20: 17،18). [وهو ما أشار إليه أيضاً معلِّمنا بطرس في دفاعه أمام حنَّان وقيافا والإسكندر رؤساء الكهنة مواجهاً إيَّاهم بأنهم البنَّاؤون الذين صار الحجر الذي احتقروه رأس الزاوية(أع 4: 11)، وهو ما ذكره فيما بعد في رسالته الأولى(1بط 2: 7)].

+ واستخدم الرب مزمور داود 110: "**قال الرب لربي ...**" لكي يُفحِم اليهود ويكشف لهم أنه ابن داود وأيضاً رب داود.فهُم يقولون عن المسيح إنه ابن داود، ويسوع يقول لهم : "إن كان داود يدعوه ربّاً فكيف يدعوه ابنه" (مت 22: 41-45؛ مر 12: 35-37؛ لو 20: 41-44). فالمسيح رب، وإذا كان يسوع هو المسيح فهو رب داود (وإن كان ابنه بالجسد)، وهو رب الكل.

+ وإزاء غضب واحتجاج رؤساء الكهنة على هتاف الأولاد "أوصنَّا لابن داود"، قال لهم يسوع، مستعيداً كلمات النبوَّة"نعم. أمَا قرأتم قط **من أفواه الأطفال والرُّضَّع هيَّأت سُبحاً** (مز 8: 2؛ زك 9: 9؛ مت 21: 4).

+ وفي تعليقه على موقف اليهود وكهنتهم منه قال الرب : "وأما الآن فقد رأوا (أعمالاً لم يعملها غيري) وأبغضوني أنا وأبي، لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم**إنهم أبغضوني بلا سبب** " (مز 35: 19؛ يو 15: 24،25).

+ وهو مُعلَّق على الصليب كانت ضمن كلماته الأخيرة اثنتان هما : ترديد لِمَا جاءكنبوَّة في المزامير: "**إلهي إلهي لماذا تركتني**" (مز 22: 1؛ مت 27: 46)، و"**في يديك أستودِع روحي**" (مز 31: 5؛ لو 23: 46).

+ وفي لقائه مساء أحد القيامة بتلميذَي عمواس المتحيِّرَين، قال الرب وهو يلوم فيهما بطء الفهم والإيمان بجميع ما تكلَّم به الأنبياء : "أمَا كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده . **ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يُفسِّر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب**" (لو 24:

.(27،26
+ وفي نهاية الأحداث بعد قيامته ولقائه تلاميذه كشف لهم أن فيه تحقَّقت النبوَّات قائلاً **"وأما هذا كله فقد كان لكي تكمَّل كتب الأنبياء "** (مت 26: 56)، "هذا هو الكلام الذي كلَّمتكم به وأنا بعد معكم، **لأنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير** . حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب. وقال لهم هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألَّم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يُكرَز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم (لو 24: 44-47).

(3) كرازة التلاميذ والرسل تدعمها النبوَّات

بعد أيام من صعود الرب ، وقف بطرس وسط التلاميذ والرسل والمريمات لاختيار تلميذ بديلاً عن يهوذا الذي خان سيده. وفي معرض حديثه في هذا المجال أشار إلى ما تنبَّأ به داود"لتَصِر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن، وليأخذ وظيفته آخر " (أع 1: 20؛ مز 69: 20؛ مز 109: 8).

وبعد حلول الروح القدس يوم الخمسين وجَّه بطرس أذهان الحضور إلى نبوَّة يوئيل : **"ويقول الله: ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر، فيتنبَّأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاماً. وعلى عبيدي أيضاً وإمائي أسكب من روحي في تلك الأيام، فيتنبَّأون** " (أع 2: 16-21؛ يؤ 2: 28-32) قبل أن يُبشرهم بيسوع، مُستشهداً في قيامته بما جاء في المزمور(مز 16: 10): **"أنه لم تُترك نفسه في الهاوية، ولا رأى جسده فساداً "** (أع 2: 31؛ 13: 35)، وأيضاً المزمور (2: 7): **"أنت ابني، أنا اليوم ولدتك** " (أع 13: 33)، وعن صعوده بالمزمور(110: 1): **"قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك** (أع 13: 34،35).

ومنذ الأيام الأولى للكرازة بعد حلول الروح القدس بدءاً من أورشليم واليهودية، ولما امتدَّت على يد بولس إلى آسيا وأوروبا، كانت النبوَّات سلاحاً مُشهراً لإقناع اليهود بأن الرب هو المسيَّا الذي بالإيمان به ينالون الخلاص. كان التلاميذ والرسل يهوداً يعرفون الكتب ويحفظون النبوَّات، يُلهمهم بالطبع الروح القدس الذي يُذكِّرهم بكلمات المسيح (يو 14: 26) وأقوال الأنبياء، وما ينبغي أن يقولوه ساعة الكرازة أو وقت المحاكمات (مت 10: 19؛ لو 12: 12).

كما كانت النبوَّة مدخلاً إلى البشارة، فإن ما كان يقرأه وزير ملكة الحبشة من سفر إشعياء **"مثل شاة سيق إلى الذبح، ومثل خروف صامت**

أمام الذي يجزُّه هكذا لم يفتح فاهُ."، صار هو الباب الذي دخل منه إلى الإيمان: "**ففتح فيلبُّس فاه وابتدأ من هذا الكتاب، فبشَّره بيسوع**" (أع 8: 35).

وحتى **مع بداية الكرازة للأمم** عندما رتَّب الروح رؤيا كرنيليوس قائد الفرقة الإيطالية في قيصرية مع رؤيا بطرس، بدأ بطرس بشارته لكرنيليوس وصحبه الأمميين بسرد خدمة الرب وصلبه وقيامته، ختمها بالقول: "**له يشهد جميع الأنبياء أنَّ كل مَن يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا**" (أع 10: 43).

ولأن الكرازة بدأت في مجامع اليهود، حيث كان الرسل يُبشِّرون ويقرأون الناموس والأنبياء(أع 13: 14،15)، فكان طبيعياً أن يُشار إلى كيف تحقَّقت النبوَّات في شخص المسيح

+ ففي بشارته في مجمع أنطاكية بيسيدية، وقف **بولس** يقول بعد أن تكلَّم عن مسيرة بني إسرائيل حتى مجيء الرب : "**وأقوال الأنبياء التي تُقرأ كل سبت تمَّموها**(يهود أورشليمورؤساؤهم)، **إذ حكموا عليه... ولما تمَّموا كل ما كُتب عنه، أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر. ولكن الله أقامه من الأموات، وظهر أياماً كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم، الذين هم شهوده عند الشعب . ونحن نُبشِّركم بالموعد الذي صار لآبائنا** " (أع 13: 27-32). واستخدم بولس في حديثه مزمورين لداود في صَدَد قيامة الرب: "كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني : **أنت ابني، أنا اليوم ولدتك** إنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد. فهكذا قال: إني سأُعطيكم مراحم داود الصادقة.ولذلك قال أيضاً في مزمور آخر (16: 10): **لن تَدَع قدوسك يرى فساداً** . فليكن معلوماً عندكم أيها الرجال الإخوة أنه بهذا يُنادَى لكم بغفران الخطايا.وبهذا يتبرَّر كل مَن يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرَّروا منه بناموس موسى.فانظروا لئلا يأتي عليكم ما قيل في الأنبياء (حب 1: 5): انظروا أيها المتهاونون وتعجَّبوا واهلكوا لأنني عملاً أعمل في أيامكم، عملاً لا تُصدِّقون إنْ أخبركم أحد به" (أع 13: 33-41).

+ وفي عظة لليهود في نفس المكان، السبت التالي، استخدم **بولس** نبوَّة إشعياء للتوجُّه إلى الأمم بخلاصهم قائلاً : "كان يجب أن تُكلَّموا أنتم أولاً بكلمة الله ، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية، هوذا نتوجَّه إلى الأمم، لأنه هكذا أوصانا الرب : **قد أقمتك نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض** (إش 49: 6). فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون ويُمجِّدون كلمة الله، وآمن جميع الذين كانوا مُعيَّنين للحياة الأبدية. وانتشرت كلمة الرب في

كل الكورة" (أع 13: 46-49).

+ وفي مجمع بيرية باليونان (على عكس ما جرى في مجمع تسالونيكي) قَبِلَ اليهود الكلمة بنشاط: "**فاحصين الكتب كل يوم، هل هذه الأمور هكذا**" (أع 17: 10،11).

+ وفي محاكمته أمام الملك أغريباس والوالي فستوس، قال بولس عن خدمته: "شاهداً للصغير والكبير،**وأنا لا أقول شيئاً غير ما تكلَّم به الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون**" (أع 26: 22).

+ وفي روما لما اجتمع بولس بوجوه اليهود، طفق يشرح لهم قصة الخلاص: "شاهداً بملكوت الله،**ومُقنعاً إيَّاهم من ناموس موسى والأنبياء** بأمر يسوع من الصباح إلى المساء. فاقتنع بعضهم بما قيل، وبعضهم لم يؤمنوا" (أع 28: 23،24).

وختم حديثه بما كلَّم به الروح الآباءَ على لسان إشعياء:"**اذهب إلى هذا الشعب وقُلْ : ستسمعون سمعاً ولا تفهمون، وستنظرون نظراً ولا تبصرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ،وبآذانهم سمعوا ثقيلاً، وأعينهم أغمضوها؛ لئلا يُبصروا بأعينهم، ويسمعوا بآذانهم، ويفهموا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم**" (أع 28: 26،27).

+ ومكتوب عن أبُلُّوس أيضاً أنه : "كان باشتداد يُفحِم اليهود جهراً، **مُبيِّناً بالكتب أن يسوع هو المسيح**" (أع 18: 28).

(4) نبوَّات العهد القديم تشهد للعهد الجديد

عمد كتَّاب الأناجيل والرسائل إلى ذِكْر النبوَّات التي تؤيِّد إرسالية المسيح وتشهد أنه ابن الله الذي يرفع خطية العالم، والذي تحقَّقت فيه كل رؤى الأنبياء على امتداد القرون

وقد حرص القديس**متى** بالذات (الذي كتب إنجيله أساساً إلى اليهود) أن يستشهد عند سرده للأحداث بالنبوَّات أو الرموز المتعلِّقة بها، بما يجعل المقابلة بين ما كُتِبَ قبل قرون وتحقيقه حرفياً في ملء الزمان أمراً لا مجال فيه للصدفة أو الشك؛ وإنما يشهد بصدق كلمة الله وأن يسوع هو المسيح مخلِّص العالم

+ فعن ميلاد يسوع من عذراء، يذكر القديس متى نبوَّة إشعياء (إش 7: 14): "**هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا**" (مت 1: 23).

+ وعن ولادته في بيت لحم، يذكر نبوَّة ميخا (مي 5: 2): "**وأنتِ يا بيت لحم، أرض يهوذا، لستِ الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منكِ يخرج مُدَبِّرٌ يرعى شعبي إسرائيل**" (مت 2: 6). [وهو ما كان يعرفه اليهود من أن المسيح يأتي من نسل داود، ومن بيت لحم القرية التي كان داود منها

(يو 7: 42)].

+ وعن هربه إلى مصر، يسترجع نبوَّة هوشع (هو 11: 1): **"مِنْ مصر دعوتُ ابني"** (مت 2: 15).

+ وعن قتل هيرودس للأطفال، يُشير إلى نبوَّة إرميا (إر 31: 15): **"صوتٌ سُمِعَ في الرامة، نوحٌ وبكاءٌ وعويلٌ كثير . راحيل تبكي على أولادها ولا تريد** (تأبى) **أن تتعزَّى، لأنهم ليسوا بموجودين "** (مت 2: 18).

+ وعن رجوع يسوع من مصر وسكنه في الناصرة، يكتب القديس متى: **"لكي يتمَّ ما قِيل بالأنبياء: إنه سيُدعى ناصرياً"** (مت 2: 23).

+ ويستشهد القديس متى (والقديس مرقس) عند ذِكْر مهمة المعمدان كسابق للرب بنبوَّة إشعياء(إش 40: 3): **"صوتُ صارخ في البرية، أعِدُّوا طريق الرب، اصنعوا سُبُله مستقيمة"**(مت 3: 3؛ مر 1: 3).

+ ولما ذكر الإنجيل انتقال الرب من الناصرة ليسكن في كفر ناحوم على بحيرة طبرية في تخوم زبولون ونفتاليم، والتي شهدت جانباً من كرازته؛ أشار القديس متى إلى نبوَّة إشعياء (إش 9: 1،2): **"أرض زبولون، وأرض نفتاليم، طريق البحر، عَبْر الأردن، جليل الأمم الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجال سون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور"** (مت 4: 15،16).

+ وعند ذِكْر وداعة المسيح وتسامحه مع أعدائه، استعاد القديس متى نبوَّة إشعياء (إش 42: 1-4): **"هوذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي سُرَّت به نفسي . أضع روحي عليه فيُخبر الأمم بالحق . لا يُخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحدٌ في الشوارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مُدَخِّنة لا يُطفئ، حتى يُخرج الحقَّ إلى النُّصرة وعلى اسمه يكون رجاء الأمم"** (مت 12: 18-21)[٥].

+ ولما دخل الرب أورشليم للمرة الأخيرة على أتان وجحش ابن أتان، ذكر القديس متى هذه الحادثة وقرنها بن بوَّة زكريا (زك 9: 9): **"قولوا لابنة صهيون هوذا مَلِكُكِ يأتيكِ وديعاً، راكباً على أتان وجحش ابن أتان"** (مت 21: 4).

+ وفي سياق تداعيات خيانة يهوذا وطرحه الفضة في الهيكل، ثم انتحاره وشراء رؤساء الكهنة بالفضة حقل الفخاري مقبرة للغرباء

---

[٥] عدم التطابُق الحرفي أحياناً بين نص النبوَّة كما هي في العهد القديم، وما هو في الإنجيل (والذي لا يصيب المعنى)؛ راجع إلى الترجمة من وإلى اللغات المختلفة أو لتطوُّر اللغة الطبيعي بمضيِّ الزمن . فالوحي ليس لفظياً بصورة عامة .

(مت 27: 3-10)؛ يستعيد مع لّمنا متى النبوَّة : "**وأخذوا الثلاثين من الفضة، ثمن المُثمَّن الذي ثمَّنوه من بني إسرائيل، وأعطوها عن حقل الفخاري، كما أمرني الرب** "(مت 27: 9،10؛ انظر زك 11: 12).

+ ويُسجِّل القديسان**متى ويوحنا** ما جرى عند صليب المسيح : "ولما صلبوه، اقتسموا ثيابه مقترعين عليها" (مت 27: 35؛ يو 19: 23،24) على أنه إتمام ما قيل في المزامير: "**اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي** (القميص) **ألقوا قرعة**" (مز 22: 17،18).

+ ومن المثير أن تشير النبوَّة إلى دفن الرب بعد موته في قبر جديد لرجل غني(وهو يوسف الرامي) (مت 27: 57-60؛ مر 15: 43-46؛ لو 23: 50-53)، وهي ضمن ما سجَّله أصحاح 53 الشهير من سفر إشعياء: "**وجُعِلَ مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته**"(إش 53: 9).

+ والقديس **يوحنا** يُشير إلي نبوَّة إشعياء (إش 53: 1): "**يا رب مَن صدَّق خبرنا، ولمَنِ استُعلنت ذراع الرب** " (يو 12: 38) إزاء رفض اليهود للمسيح برغم الآيات التي صنعها أمامهم. كما يشير (يو 19: 28-30) إلى عطش الرب على الصليب، وتقديمهم اسفنجة مُشبَّعة بالخل له، أنه إتمام للنبوَّات("**في عطشي يسقونني خلاً** " - مز 69: 21)، وإلى أن الرب مات سريعاً فلم تُكسر ساقاه (يو 19: 33) (عظم لا يُكسر منه - مز34: 20: "**يحفظ جميع عظامه، واحدٌ منها لا ينكسر**").

+ ويُلمِّح القديس**يوحنا** إلى حيرة التلاميذ أمام قبر المسيح الفارغ بعد قيامته : "لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات" (يو 20: 9) ["**لأنك لا تترك نفسي في الهاوية . لن تَدَعَ تقيَّك يرى فساداً**" (مز 16: 10)].

+ لم يغفل القديس**بولس** عن الاستشهاد بالنبوَّات في رسائله، فيُشير في رسالة أفسس (أف 4: 8) إلى صعوده مُستعيداً نبوَّة داود : "**صَعِدْتَ إلى العلاء. سبيتَ سبياً. قبلْتَ عطايا بين الناس**" (مز 68: 18). وفي رسالته إلى العبرانيين يُشير إلى موقع المسيح الف ريد، والذي هو أعظم من الملائكة: "**لأنه لِمَن من الملائكة قال قط: "أنت ابني. أنا اليوم ولدتك**"" (مز 2: 7؛ عب 1: 5)، "**كرسيك يا الله إلى دهر الدهور.قضيب استقامة قضيب مُلكك**" (مز 45: 6؛ عب 1: 8)، "**اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك**" (مز 110: 1؛ عب 1: 13).

كما أنه أعظم من موسى خادم البيت، بينما هو"ابن على بيته " (عب 3: 3-6). كما أنه أعظم من هارون، فالآب مجَّده قائلاً: "**أنت ابني**" (مز 2: 7؛ عب 5: 5)، و"**أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق** (الذي

هو أعظم من إبراهيم الذي قسم له عُشْراً من كل شيء)" (مز 110: 4؛ عب 5: 6؛ 7: 1-10)، الذي "**بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً**" (عب 9: 12)، "**ذبيحة وقرباناً لم تُرد، ولكن هيَّأت لي جسداً** " (مز 40: 6؛ عب 10: 5). وهي إعلان على نقص الكهنوت اللاوي (عب 7: 11)، وعظمة كهنوت المسيح (عب 7: 14)، "**فمِنْ ثَمَّ يقدر أن يُخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم**" (عب 7: 24،25).

وعن تمتُّع الأمم بخلاص المسيح ابن داود، يُشير القديس بولس إلى نبوَّة إشعياء: "**سيكون أصل يسَّى والقائم ليسود على الأمم، عليه سيكون رجاء الأمم**" (إش 11: 10؛ رو 15: 12).

(5) نبوَّات أخرى عن المسيح

+ إنه يأتي من نسل المرأة ويسحق رأس الحيَّة (الشيطان): "**وأضع عداوة بينكِ (الحيَّة) وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسكِ، وأنتِ تسحقين عقبه**" (تك 3: 15).

+ ويأتي من نسل إبراهيم، وفيه تتبارك كل قبائل (أمم) الأرض: "**وتتبارك فيك (في نسلك) جميع قبائل (أمم) الأرض**" (تك 12: 3؛ 22: 18).

+ ومن نسل يعقوب : "**يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل**" (عد 24: 17) (نبوءة بلعام).

+ ومن سبط يهوذا : "**لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب**" (تك 49: 10) (بركة يعقوب ونبوءاته لأولاده).

+ ويرث كرسي داود: "**ويخرج قضيبٌ من جذع يسَّى، وينبُت غُصن من أصوله، ويحلُّ عليه روح الرب.**" (إش 11: 1).

+ وهو الإله القدير الأبدي ورئيس السلام والملك سليل داود : "**لأنه يولَد لنا ولدٌ، ونُعطى ابناً، وتكون ال رياسة على كَتِفِه، ويُدعى اسمه : عجيباً مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام لنموِّ رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته، ليُثبِّتها ويَعْضُدَها بالحق والبر، من الآن إلى الأبد**" (إش 9: 6،7؛ لو 1: 32،33) (الملاك يُشير إلى النبوَّة في بشارة العذراء).

+ وفي محاكمته لم يُدافع عن نفسه وبَذَلَ نفسه للموت : "**ظُلِمَ أما هو فتذلَّل ولم يفتح فاه كشاةٍ تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازِّيها فلم يفتح فاه**" (إش 53: 7)، ويُقابلها: "**فلم يُجِبْ يسوع أيضاً بشيء**(أمام

بيلاطس)" (مر 15: 5).
+ وعن خيلة يهوذا له: "**رجل سلامتي الذي وثقت به، آكل خبزي، رفع عليَّ عقبه**" (مز 41: 9).
+ وعمَّا تعرَّض له من إهانات (وهو ما تنبَّأ به الرب): "**ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويُسلِّمونه إلى الأمم (الرومان)؛ فيهزأون به (ويُشتم) ويجلدونه ويتفلون عليه (ويجلدونه)**" (مت 20: 18،19؛ مر 10: 33،34؛ لو 18: 31،32). وهو ما سجَّله البشيرون : "**فعرَّوْه ... وكانوا ... يستهزئون به ... حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه، وآخرون لطموه... وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه**" (مت 26: 67؛ 27: 28-30). وجاء في النبوَّات: "**بذلتُ ظهري للضاربين، وخدَّيَّ للناتفين وجهي لم أستر عن العار والبصق**" (إش 50: 6).
+ وعن جراحاته وآلامه : "**وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحُبُره شُفينا**" (إش 53: 5)، "**ثقبوا يديَّ ورجليَّ، أحصي كل عظامي**" (مز 22: 16،17)، "**فينظرون إليَّ الذي طعنوه، وينوحون عليه كنائح على وحيد له**" (زك 12: 10).

الرمـــــوز

كثيرة هي رموز الكتاب المقدس التي تشير إلى شخص المسيح عَبْرَ الأجيال، وقد اخترنا هنا أبرزها
+ **آدم**، أبو البشر، هو الرمز القديم **للمسيح** آدم الثاني، ابن الله وابن الإنسان مخلِّص العالم. وإذا كان بموت آدم الأول، الذي خدعه الشيطان فسقط، ساد الموت على جميع الناس؛ فبموت المسيح كانت غلبة الموت وإبليس ووُهِبَت الحياة لكل مَن يؤمن "**كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت. فبالأولى كثيراً نعمة الله، والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح، قد ازدادت للكثيرين ... لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعِلَ الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً**" (رو 5: 12،15،19)، "**الإنسان الأول من الأرض ترابي، الإنسان الثاني الرب من السماء**" (1كو 15: 47).
+ **هابيل**، البار، الذي قُتِلَ بغير ذنب؛ كما أن المسيح "لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر ... الذي حَمَل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة" (1بط 2: 22،24)، ودمه المرشوش "يتكلَّم أفضل من هابيل " (عب 12: 24).
+ **إسحق** ، الابن الوحيد المحبوب، ا لذي قدَّمه أبوه (إبراهيم)

ذبيحة، فأطاع وحَمَلَ الحطب ووُضِعَ على المذبح ولكنه عاد حيّاً (تك 22: 1-13). **والمسيح** ، الابن الوحيد الحبيب، الذي بذله أبوه من أجل خلاص العالم (يو 3: 16)؛ فأطاع وحَمَلَ صليبه ورُفع عليه، وقَبلَ الآب ذبيحة ابنه وأقامه من الموت، فوهَبَ الحياة لكل مَن يؤمن (يو 11: 25،26).

+ **ملكي صادق**، ملك ساليم، يحمل كثيراً من سمات **الرب**، فهو ملك السلام وكاهن لله، وأرفع مقاماً من إبراهيم الذي عشَّر له من كل شيء (تك 14: 18-21)، وبالتالي فإن كهنوته أرفع من كهنوت هارون الذي كان في صُلب إبراهيم عندما عشَّر له. ويواصل القديس بولس المقابلة مع الرب فيذكر أنه "**بلا أب بلا أم بلا نسب، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة، بل هو مُشبَّهٌ بابن الله هذا** (أي المسيح) **يبقى كاهناً إلى الأبد** " (عب 7: 3). ويشير الكتاب المقدس أن ملكي صادق "أخرج خبزاً وخمراً " (تك 14: 18)، وهي مقابلة من أعماق التاريخ لتأسيس سر العشاء المرتبط بذبيحة الصليب. وفوق ذلك، فالمسيح ينفرد كرئيس كهنة بأن قدَّم نفسه ذبيحة مرة واحدة، فوجد فداءً أبدياً (عب 9: 12).

+ **العليقة المتقدة بالنار** دون أن تحترق (خر 3: 1-5)، هي رمزٌ للتجسُّد. فالعذراء هي العليقة التي حلَّ فيها ملء اللاهوت ووُلِدَ منها ابن الله المخلِّص دون أن تحترق أو تفقد عذراويتها

+ **موسى**، هو قائد العبور في البحر والبرية من العبودية إلى الحرية، والمُدافِع عن إخوته أمام فرعون **وبالمسيح** عبرنا من الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، وخلصنا من أسر إبليس

+ **خروف الفصح** (خر 12)، الذي كان في دمه خلاص إسرائيل من ضربة الملاك المُهلِك "**فأرى الدم وأعبر عنكم**" (خر 12: 13)، هو رمز صريح للرب: "**لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبحَ لأجلنا** " (1كو 5: 7). وفي رؤيا يوحنا وسط العرش يبدو المسيح المنتصر كـ**خروف قائم كأنه مذبوح**" ويترنَّم أمامه الكل قائلين: "**مستحق... لأنك ذُبحتَ واشتريتنا لله بدمك** " (رؤ 5: 6،9). وقد رتَّب الرب أن يكون صليبه مواكباً للفصح القديم كي يتحقَّق الرمز فيه كما أن في التفاصيل المتعلقة بخروف الفصح ما يتطابق مع ما جاز فيه الرب، فالخروف كان بلا عيب (خر 12: 5؛ 1بط 1: 19)، واشتُرِط ألاَّ يُكسَر منه عظم (خر 12: 46؛ يو 19: 36)، كما أن ذبائح اللاويين هي رموز واضحة لذبيحة الرب (لا 3-5؛ كو 1: 20؛ أف 2: 15؛ عب 1: 3؛ 9: 14؛ 1يو 1: 7).

+ **المنّ** (خر 16)، الذي أمطره الرب خبزاً من السماء ليقتات منه الإسرائيليون، هو رمزٌ **للرب** أشار هو إليه عقب معجزة إشباع الجموع

الذين لما أشاروا إلى آية المنِّ القديمة وجَّه أبصارهم إليه قائلاً : **"ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي يُعطيكم الخبز الحقيقي من السماء، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياةً للعالم. أنا هو خبز الحياة. مَن يُقبل إليَّ فلا يجوع، ومَن يؤمن بي فلا يعطش أبداً ... آباؤكم أكلوا المنَّ في البرية وماتوا.. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم ... مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير"**(يو 6: 32-54). فالمن كفل حياة بني إسرائيل في البرية وليس أكثر، ولكن جسد المسيح المبذول على الصليب، والذي يعطيه في سرِّ الإفخارستيا على مدى الأيام، يضمن الشبع والارتواء على الأرض ويهب الحياة إلى الأبد

+ **الصخرة**: في مسيرتهم في سيناء بعد عبور البحر الأحمر، جاء بنو إسرائيل إلى رفيديم وعطش الشعب هناك فقال الرب لموسى: **"ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب، فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب"** (خر 17: 1-6). ويستعيد القديس بولس المشهد على اتساعه، ويُفسرِّ الأحداث على ضوء عمل المسيح . فالآباء في مسيرهم خلف عمود السحاب (خر 13: 21،22) واجتيازهم البحر (خر 14: 21،22) "اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر "، وفي أكلهم المنّ وشربهم الماء من الصخرة **"جميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً ، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح "** (1كو 10: 2-4). والمسيح، صخر الدهور (إش 26: 4)، يؤكّد أن مَن يشرب من الماء الذي يُعطيه **"فلن يعطش إلى الأبد"** (يو 4: 14).

+ **الحية النحاسية**: هذا الرمز أشار إليه الرب في حديثه مع نيقوديموس مستعيداً ذلك المشهد من العهد القديم عندما صنع موسى حية من نحاس ووضعها على راية -كأمر الرب -فكل مَن لدغته الحيات ونظر إليها كان يحيا (عد 21: 6-9). فكان الرب وهو على الصليب، سر الحياة لكل مَن لدغته الحية القديمة إبليس ومات بالخطية: **"وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية** (يو 3: 14،15).

+ **يونان**: أشار إليه الرب من ناحيتين أنه بَقِيَ في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ **رمزاً لبقاء الرب في قلب الأرض(القبر) ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ**، كما أن كرازته قادت شعب نينوى للتوبة، بينما **خلاص الرب سينقذ**

العالم كله من الموت . وهكذا سيدين رجال نينوى هذا الجيل من اليهود الذين رفضوا مناداة الرب لهم بالخلاص(مت 12: 39-41).

Z Z Z

خلاصة القول إن المسيح هو "كلمة السر". فهو **موضوع النبوَّات والرموز الكتابية** وهو **المصدر الأساسي للإنجيل ومحور الكرازة**، وهو **رئيس الإيمان والطريق إلى الآب** (يو 14: 6)، وهو **رأس الكنيسة** (كو 1: 18) **ورأس الزاوية**(مز 118: 22؛ مت 21: 42؛ أف 2: 20؛ 1بط 2: 7)، **رئيس خلاصنا**(عب 2: 10)، **ألف حياتنا ويائها** (رؤ 22: 13). **فبغير المسيح لايبقى شيء**

والذين ليسوا للمسيح، فالمسيح ليس لهم . ومَن ليس له الابن، فليس له الآب أيضاً. والمسيحيون المتغرِّبون عن المسيح مهما تعبوا لن ينالوا شيئاً، فقانون الإيمان المسيحي هو : "مَن له الابن فله الحياة. ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة" (1يو 5: 12).

قضية الخلاص

+ المعاني المختلفة للخلاص في الكتاب
+ هبة الحياة الأبدية للمؤمنين
+ عن الإيمان والأعمال
+ عن المجازاة

المعاني المختلفة للخلاص في الكتاب

لعل أخطر سؤال واجه الإنسان ويواجهه هو **"كيف أخلُص "؟** وهذا السؤال لم يجد إجابته في كل الم عتقدات سوى عند الرب يسوع الذي يقف وحده أمام كل البشر ، وآثار الشوك والمسامير والحربة وصليبه المنتصب على الجلجثة تشهد بالثمن الذي كلَّفه خلاصنا . فهو مخلِّص العالم الوحيد : **"وليس بأحد غيره الخلاص "** (أع 12:4).

وعندما سأل حافظ سجن فيلبِّي **"ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟"** كانت إجابة بولس وسيلا له ولكل مَن يسأل : **"آمِن بالرب يسوع فتخلُص أنت وأهل بيتك"** (أع 30:16و31).

وفي الكتاب المقدس تأتي كلمة**"الخلاص"** ومشتقَّاتها بأكثر من معنى والتعرُّف على المعاني المختلفة للخلاص يُعطي رؤيتنا للخلاص المسيحي شمولاً وفهماً، ويهب المؤمنين معرفة بأبعاد الخلاص الذي نالوه بالفداء، بتجسُّد المسيح وموته وقيامته، والذي سيكتمل في مجيء الرب الثاني في اليوم الأخير.

وهذه المعرفة ضرورية، وفي سفر هوشع يقول الرب **"قد هلك شعبي من عدم المعرفة "** (هو 6:4). **فمن خلال كلمة الله يُدرك المؤمنون المواعيد العظم ى والثمينة التي وُهبت لهم بالخلاص لكي يصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية،** وفي نفس الوقت **ينالون القوة للهروب من الفساد الذي في العالم مجتهدين أن يجعلوا دعوتهم واختيارهم ثابتَيْن؛ وهكذا يُقدَّم لهم بسِعَة دخول ملكوت المسيح الأبدي** (انظر 2بط 4:1و10و11).

وسوف نرى في الآيات المختارة التالية من الكتاب المقدس بعهديه أن كلمة **"الخلاص"** قد تأتي **بالمعنى الحرفي،** أو قد تأتي **عامة شاملة** مشيرة إلى عمل المسيح الفدائي بصورة كليَّة، أو إلى **بدء خلاص المؤمن،** أو إلى **مسيرة خلاص المؤمن** فترة حياته على الأرض، أو إلى **تمام الخلاص** الذي سيُعلنه الرب في الزمان الأخير عند مجيئه

الثاني. كما يمكن أن تأتي بأكثر من معنى في آنٍ واحد.

أولاً: الخلاص بالمعنى الحرفي أو الرمزي أو المطلق (الذي يَرِد عموماً في العهد القديم)

أي بمعنى النجاة من التجربة أو الضيقة أو المحنة أو الإنقاذ من الهلاك بتدخُّل الرب : "لا تخافوا . **قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم ... ** الرب يُقاتل عنكم وأنتم تصمتون " (خر 13:14و14)؛

فموسى هنا يُخاطب شعب إسرائيل، الواقف عند حافة الماء والعدو يُطارده من الخلف ، أن يضع ثقته في الرب ذى الذراع الرفيعة الذي يتدخل بقوة مُقاتلاً عنهم، فينقِذهم من أعدائهم ويجتاز بهم البحر بسلام وهم صامتون.

فالخلاص هنا هو من عدو ظاهر وبحر هائج، وإن كان بشكل ما يرمز إلى الخلاص الذي صنعه المسيح لنجاة كل مَن يؤمن من الموت، ونوال الحياة الأبدية. كما أن ذبيحة الفصح التي سبقت نجاة بني إسرائيل كانت رمزاً مباشراً لذبيحة الصليب التي دخل بها الرب مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً (عب 12:9).

وتأتي كلمة **الخلاص** (ومشتقاتها) كثيراً في مزامير داود النبي وفي سفر إشعياء النبي أيضاً بمعنى النجاة والإنقاذ من الضيق والتجربة والعدو، كما تشير رمزياً إلى الخلاص من الضيقة العظمى أي موت الخطية وانتزاع الإنسان الأسير من قبضة إبليس، هذا الذي صنعه مخلِّصنا العظيم:

"لأنك أنت **إله خلاصي**، إيَّاك انتظرتُ اليوم كله" (مز 5:25)؛

"الرب نوري **وخلاصي** مِمَّن أخاف" (مز 1:27)؛

"هوذا **الله خلاصي**، فأطمئن ولا أرتعب" (إش 2:12)

وإنْ أفصَحَ الوحي في بعض الآيات عن عمل المسيح الخلاصي كما في آية المزمور: "ماذا أردُّ للرب من أجل كل حسناته لي. **كأس الخلاص أتناول** وباسم الرب أدعو" (مز 12:116و13). فهنا إشارة مستترة إلى دم الخلاص وكأس الإفخارستيا والسير على طريق آلام المخلِّص ردًّا لكل إحساناته

وفي قول الر ب في سفر إشعياء "ارفعوا إلى السموات عيونكم

وانظروا إلى الأرض من تحت . فإن السموات كالدخان تضمحل، والأرض كالثوب تبلى، وسكانها كالبعوض يموتون . أما **خلاصي فإلى الأبد يكون**، وبرِّي لا يُنقَض" (إش 6:51)، إشارة إلى **الخلاص الأخير** في السماء الجديدة والأرض الجديدة : "لأني هأنذا **خالقٌ سموات جديدة وأرضاً جديدة**، فلا تُذكَر الأولى ولا تخطر على بال " (إش 17:65).

ثانياً: الخلاص بالمعنى العام أو الشامل

بمعنى مجيء المسيح وعمله ومهمته العظمى : أي الخلاص من عقوبة الخطية (الموت) وسلطانها ونوال الغفران، كما يتبيَّن من الآيات المختارة التالية:

+ "لأن **الخلاص** هو من اليهود" (يو 22:4)

فالمسيح المتجسِّد جاء من نسل يهوذا وداود، ابناً لمريم العذراء، قاصداً خاصته الذين استُودِعوا المواعيد والإيمان بالله، وإذ لم يقبلوه صار لكل الذين يطيعونه ـ من اليهود والأمم ـ سبب خلاص أبدي (انظر عب 9:5).

+ "مباركٌ الرب إله إسرائيل لأنه افتقد **وصنع فداءً لشعبه**، وأقام لنا **قرْن خلاص** في بيت داود فتاه، كما تكلَّم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر، **خلاص** من أعدائنا ومن أيدي جميع مُبغضينا، ليصنع رحمة مع آبائنا **ويذكر عهده المقدس ...** وأنت أيها الصبي نبيَّ العليِّ تُدْعَى، لأنك تتقدَّم أمام وجه الرب لتُعِدَّ طُرُقه، لتُعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم... ليُضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت " (لو 1:68-72 و76-79)

هذه كلمات زكريا الكاهن عند ولادة يوحنا بعد أن انفتح فمه ولسانه، فتنبَّأ عن مهمة ا لمعمدان كمتقدِّم أمام **المخلِّص** المزمع أن يولد من العذراء.

+ "وتدعو اسمه يسوع، لأنه **يُخلِّص** شعبه من خطاياهم " (مت 21:1)

وهذه كلمات الملاك ليوسف في الحلم مطمئناً قلبه من جهة مريم وحملها المقدس، وهو يشير بصورة عامة إلى مهمة المسيح الخلاصية كما يُنبئ عليها اسمه دون أن يُفصح عن كيف سيتم هذا الخلاص.

+ "الآن تُطلِق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن **عينيَّ قد**

أبصرتا خلاصك، الذي أعددته قدَّام وجه جميع الشعوب . نور إعلان للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيل" (لو 2:29-32)

هنا سمعان الشيخ وهو يحمل الصبي ذا الأربعين يوماً - بعد العمر الممتد له من الله انتظاراً للمخلِّص - يُعبِّر عن استعداده للانطلاق بعد رؤيته للمخلِّص حسب الوعد، مشيراً إلى أن **الخلاص** هو لكل الشعوب سواء لإسرائيل أو للأمم. وإن كان في حديثه لمريم العذراء قد تنبَّأ عن علاقة الخلاص **"بعلامةٍ تُقاوَم"** (لو 2:34)، مشيراً إلى الصليب، وعن الآلام المصاحبة ومنها تلك التي ستُعانيها العذراء، بقوله **"وأنتِ أيضاً يجوز في نفسك سيف، لتُعلَن أفكارٌ من قلوب كثيرة"** (لو 2:35)

+ وفي كل الآيات التالية تأتي أيضاً كلمة **الخلاص** بالمعنى العام الشامل:

"لأن ابن الإنسان قد جاء (لكي يطلب) **ويُخلِّص** ما قد هلك "(مت 18:11، لو 19:10)؛

"لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليُهلك أنفس الناس، بل **ليُخلِّص"** (لو 9:56)؛

"إن دخل بي أحدٌ **فيخلُص** ويدخل ويخرج ويجد مرعى " (يو 10:9)؛

"مَن آمن واعتمد **خَلَصَ"** (مر 16:16)؛

"وليس بأحدٍ غيره **الخلاص.** لأن ليس اسم آخر تحت السماء، قد أُعطِيَ بين الناس، به ينبغي أن **نَخْلُص"** (أع 4:12) (من حديث معلِّمنا القديس بطرس أمام رؤساء الكهنة بعد شفاء الأعرج)؛

"لأنكم **بالنعمة مُخلَّصون، بالإيمان"** (إف 2:8)؛

"لأن الله لم يجعلنا للغضب، بل لاقتناء **الخلاص** بربنا يسوع المسيح" (1تس 5:9)

ثالثاً: الخلاص بمعنى الإنقاذ من الموت الأبدي والانتقال من حياة الخطية وبدء الحياة الجديدة كأولاد الله بالمعمودية وممارسة الإيمان والتوبة والتغيير المستمر

+ فالآيات التالية تشير إلى **البداية:** أي **بدء الخلاص** والميلاد الثاني **والتبرير** Justification. وهي بشكل ما تشبه دخول المدرسة أو الجامعة كبداية ضرورية للدراسة ونوال الشهادة الدراسية، ولكن مجرد دخول الجامعة ليس هو نهاية المطاف وإنما بدايته المبشِّرة. ومن ناحية أخرى

فإنه بدون هذه الخطو ة الأساسية ـ أي دخول الجامعة ـ لا يمكن نوال شهادة التخرُّج:

"قال للمرأة إيمانكِ قد **خلَّصكِ**" (لو 50:7) (من حديث الرب في بيت الفرِّيسي إلى المرأة الخاطئة التي وقفت من ورائه باكية، وبلَّت قدميه بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها، وقبَّلت قدميه ودهنتهما بالطيب دون كلام)؛

"اليوم حصل **خلاص** لهذا البيت، إذ هو أيضاً ابن إبراهيم" (لو 9:19) (الرب يُعلن دخول زكَّا الإيمان، وبالتالي أهل بيته الذين سيتبعونه)؛

"مَن آمن واعتمد خَلَص" (مر 16:16)؛

"وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة **الذين يخلصون** " (أع 47:2) (أي الذين يقبلون الرب مُخلِّصاً بالإيمان ويعتمدون)؛

"آمِن بالرب يسوع المسيح فتخلُص أنت وأهل بيتك" (أع 31:16) (رد بولس وسيلا على سؤال حافظ سجن فيلبِّي عن طريق الخلاص)؛

"متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح " (رو 24:3)؛

"لأنك إن اعترفتَ بفمك بالرب يسوع، وآمنتَ بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خَلَصتَ . لأن القلب يُؤمَن به للبرِّ، والفم يُعتَرَف به للخلاص" (رو 9:10و10)؛

"لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغِنَى علينا بيسوع المسيح مُخلِّصنا . حتى إذا تبرَّرنا بنعمته، نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (تي 3:5-7)

+ **التبرير، إذ اً، عمل إ لهي** دبَّرته نعمة الله ورحمته مجاناً . ففي المعمودية نتجدَّد بالروح القدس بموتنا وقيامتنا مع المسيح، أي نصير خليقة جديدة، أولاداً لله وورثة للحياة الأبدية التي نتوقَّعها بالرجاء . **وليس للخطاة الآتين للرب أن يعملوا شيئاً لأنهم خطاة . وليس أمامهم غير أن يقبلوا ا لمسيح مخلِّصاً بالإيمان. وليس الإيمان هنا ثمناً مقابل الخلاص، فالخلاص هو هبة النعمة المجانية بدم المسيح الفادي،** أما الإيمان فهو إعلان قبول هذه الهبة والاغتسال بالدم وتبعية المخلِّص في طريق الحياة الأبدية.

رابعاً: الخلاص بمعنى حياة القداسة واستمرار الجهاد ورَفْض الخطية

الآيات التالية تُعبِّر عن **مسيرة الخلاص: الطريق إلى الحياة الأبدية،** حيث يُختبر **التقديس** Sanctification، ويُعلن الانتماء للمخلِّص والمناداة باسمه برفض حياة الخطية والعالم مع التوبة المستمرة، وحِفْظ الوصية (خاصة وصية المحبة)، والتمتُّع بمساندة ال روح القدس وحضور المسيح في الضيقات، وقبول الألم من أجله والفرح بألوان العبادة وقمتها شركة الإفخارستيا، وخدمة الرب:

+ **"تمِّموا خلاصكم بخوف ورعدة" (في 12:2)؛**

فالفعل: **"تمِّموا"** يعني أن هناك عملاً مستمراً ومطلوب إتمامه . **فالخلاص ليس فعلاً انتهى، وإنما هو فعل م اضٍ حاضرٌ متجدِّد، وحياة تشمل عمر الإنسان بكامله، وتمتد إلى الأبدية .** فخلاصنا قد بدأ ساعة المعمودية، ولكن لابد من مواصلته حتى يحقِّق مقاصده في اتحادنا الدائم الأبدي في المسيح.

وكل مَن اعتمد قـد مات للمسيح : دُفِن ثم قام في جدَّة الحياة، وهو مدعوٌّ أيضاً لاختبارات الإيمان والمحبة للذي أحبنا ومات من أجلنا : **"جرِّبوا أنفسكم، هل أنتم في الإيمان؟ امتحنوا أنفسكم"** (2كو 5:13).

+ "لأنه إن كنا ونحن أعداء **قد صُولحنا مع الله بموت ابنه** (على الصليب)، فبالأولى كثيراً **ونحن مُصالحون نخلُص بحياته** (أي نتمتع بمساندته وغفرانه كشفيع دائم عن يمين الآب)" (رو 10:5)؛

"... **قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليُحضركم قديسين... إن ثبتُّم على الإيمان"** (كو 1:21-23)

معلِّمنا القديس بولس يشير هنا إلى مسيرة خلاصنا **الآن،** وأننا **نخلص بحياة المسيح كفعل حاضر** يعمل فيه الإيمان، فنوهَب حياة القداسة.

+ "وأريد أن تُقرِّر هذه الأمور، **لكي يهتم الذين آمنوا بالله أن يُمارسوا أعمالاً حسنة. فإنَّ هذه الأمور هي الحسنة والنافعة للناس** " (تي 8:3)

في هذه المرحلة الممتدة من مسيرة الخلاص **تظهر ثمار الإيمان وهي أعمال المحبة والقداسة والجهاد والتوبة والعبادة والخدمة**

وغيرها، والتي كان مستحيلاً أن توجَد قبل التبرير . وهذه الأعمال لا نقدر أن ننسبها إلى أنفسنا ونتفاخر بها لأن **"نعمة الله المخلِّصة لجميع الناس"** (تي 11:2) تستثير العمل الروحي وتؤيده بالقوة في الإنسان الباطن **"لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها "** (أف 10:2)، كما أن **"الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرَّة"** (في 13:2).

+ وعلى سبيل المشابهة، فبعد دخول الطالب إلى الجامعة تأتي الدراسة والمذاكرة والاجتهاد والسهر ودخول الامتحانات للانتقال من سنة دراسية إ لى سنة أعلى . وهكذا، فمطلوب من المؤمن السائر في طريق الخلاص أن يحيا مجاهداً ساهراً صاحياً راضياً بالتجارب والآلام التي تنشط الإيمان وتقويه:

"سيروا زمان غربتكم بخوف" (1بط 17:1)؛
"اسهروا وصلُّوا لئلا تدخلوا في تجربة" (مت 41:26)؛
"جميعكم أبناء نور وأبناء نهار، لسنا من ليل ولا ظلمة . فلا نَنَم إذاً كالباقين، بل **لنسهر ونصْحُ**" (1تس 5:5و6)؛
"جاهد جهاد الإيمان الحسن، وأمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت" (1تي 12:6)؛
"لأنه قد وُهِب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، **بل أيضاً أن تتألَّموا لأجله"** (في 29:1)؛
"إن كان أحد يُجاهد لا يُكلَّل إن لم **يُجاهد قانونياً"** (2تي 5:2)؛
"أُوصيك أمام الله الذي يُحيي الكل، والمسيح يسوع ... **أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح** " (1تي 13:6و14)؛
"فاذكر مِن أين سقطت وتب واعمل الأعمال الأولى" (رؤ 5:2)
والقديس بولس ألزم نفسه بما أوصى به : **"قد جاهدتُ الجهاد الحسن. أكملتُ السعي. حفظتُ الإيمان"** (2تي 7:4).

+ وفي كل هذا الجهاد والمقاومة واحتمال الألم، فإن الروح القدس هناك يساند ويدفع ويُدافع: **"لأننا لسنا نعلم ما نصلِّي لأجله كما ينبغي . ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنّاتٍ لا يُنطق بها"** (رو 26:8).

خامساً: الخلاص كحقيقة اسخاتولوجية (أُخروية)

eschatological

بمعنى دخول الحياة الأبدية ونوال إكليلها (أي حياة الدهر الآتي حسب تعبير قانون الإيمان المسيحي).

+ هذا هو **الخلاص الأخير أو الخلاص المستعد أن يُعلَن في الزمان الأخير** (انظر 1بط 5:1). وهو يُعلن فصل الختام ونوال الإكليل أي **التمجيد** Glorification، حيث سيتجلَّى الكيان كله جسداً وروحاً، كما سيتجلَّى الكون كله في سماء جديدة وأرض جديدة بعد أن تمضي السماء الأولى والأرض الأولى (2بط 13:3، رؤ 1:21).

ولكن كل ما هو مستقبلي فإنه يبدأ الآن ثقةً فـي وعد الله **"ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر "** (2بط 13:3)، ورجاءً في مجيء الرب الثاني الذي نراه منذ الآن بعين الإيمان **"ها ملكوت الله داخلكم"** (لو 21:17).

+ وهذه بعض كلمات الكتاب المتعلّقة **بالخلاص الأخير** المرتبط بمجيء الرب وقيامة الحياة:

"ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلُص " (مت 22:10؛ 13:24)؛

"لأننا بالرجاء خَلَصنا" (رو 24:8)؛

"حتى إذا تبرَّرنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية " (تي 7:3)؛

"أنتم الذين بقوة الله محروسون، بإيمانٍ، **لخلاصٍ مُستَعَدٍّ أن يُعلَن في الزمان الأخير**" (1بط 5:1)؛

"هذا وإنكم عارفون الوقت، أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم، **فإن خلاصنا الآن أقرب مِمَّا كان حين آمنا . قد تناهى الليل وتقارَب النهار**، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور " (رو 11:13و12)؛ الإشارة هنا إلى مجيء الرب الأخير أو الانطلاق إلى السماء؛

"وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يُطيعونه سبب **خلاص أبدي** " (عب 9:5)؛

"فمِن ثَمَّ يقدر أن **يُخلِّص أيضاً إلى التمام** الذين يتقدَّمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم" (عب 25:7)؛

"هكذا المسيح أيضاً، بعدما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، **سيظْهَر ثانية بلا خطية للخلاص** للذين ينتظرونه " (عب 28:9)؛

فظهور المسيح الأول كان للتعامل مع الخطية التي حرَّر الإنسان من سلطانها وأزال عقوبتها . أما ظهوره الثاني المخوف المملوء مجداً فسيكون لتمجيد قديسيه الذين ينتظرونه ولدينونة الرافضين؛

"فإن سيرتنا نحن هي في السموا ت، التي منها أيضاً ننتظر مُخلِّصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (في 3:20و21)؛ فالمسيح لم يفقد لقبه **"المخلِّص"**، ولكن إذا كان الخلاص الأول بالصليب والموت، فالخلاص الأخير بالمجيء الممجَّد ودعوة قديسيه لدخول العُر س السماوي؛

"وأخيراً قد وُضِع لي إكليل البر، الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديَّان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبُّون ظهوره أيضاً " (2تي 4:8)؛ في الرجاء الذي لا يُخزي رأى القديس بولس نفسه مكلَّلاً في اليوم الأخير مع كل المترجين مجيء الرب؛

"وسمعتُ صوتاً عظيماً قائلاً في السماء : **الآن صار خلاص إلهنا وقدرته ومُلْكه وسلطان مسيحه**،لأنه قد طُرح المشتكي على إخوتنا، الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً. وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم، ولم يُحبوا حياتهم حتى الموت" (رؤ 12:10و11)؛ فالصوت العظيم برؤيا المستقبل يتكلَّم عن خلاص **"الآن"**، الذي موعد إعلانه اليوم الأخير . والمؤمنون المجاهدون عينهم على الخلاص الأخير ومجيء الرب. وهتافهم منذ الأيام الأولى: **"ماران آثا"** أي: **"تعالَ أيها الرب"** (انظر 1كو 16:22، رؤ 22:20).

+ وبحسب التشبيه الذي استخدمنا(أي: دخول الجامعة، اجتياز سنوات الدراسة وامتحاناتها، الحصول على الشهادة)، فالخلاص الأخير هو نوال الشهادة. ولكن إذا كانت الشهادة الجامعية هي مقابل اجتهاد التلميذ وسهره واجتيازه الامتحانات بنجاح، فإن دخول الأبدية صار ممكناً فقط بعمل دم المسيح الذي فدانا والذي بذله الآب حبًّا في العالم **"لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية"** (يو 3:16). فلا استحقاق أو فضل لأعمال القداسة في دخول الملكوت، وإنما هي تشهد لحيوية إيماننا وثبوتنا في المسيح، وهي التي عند تقييمها ستحدِّد موقعنا في الأبدية : "فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، **وحينئذ يُجازي كل واحد حسب عمله"** (مت 16:27)، **"لأنك تُكافَى في قيامة الأبرار "** (لو 14:14)، **"لأن نجماً يمتاز عن نجم في المجد"** (1كو 15:41)، "ها أنا

آتي سريعاً وأُجرتي معي، **لأُجازي كل واحد كما يكون عمله** " (رؤ 12:22).

+ فالأعمال ليست شيئاً مستقلاً عن الإيمان، بل هي الثمار الطبيعية للإيمان الحي - أي **العامل بالمحبة في المسيح يسوع** (انظر غل 6:5) - وأصالة هذا الإيمان وصدقه قد اجتاز اختبارات الله، فأنعم الرب علينا بخلاصه (كما بدا صدق إيمان إبراهيم بتصديقه وعد الله بولادة إسحق - رو 22:4، وبتقديم ابنه إسحق على المذبح - يع 21:2). فالإيمان الذي يؤهِّل للخلاص نوعٌ واحد، أما الإيمان الشكلي السطحي (الذي يصفه معلِّمنا يعقوب بأنه بدون أعمال) فليس إيماناً ولا يستحق هذا الاسم، وهو بالفعل ميت (يع 20:2)، ولا قيمة له "فالشياطين يؤمنون (أي يعتقدون ويُصدِّقون) ويقشعرون" (يع 16:2). وبالمثل فالأعمال التي لا تستند إلى الإيمان كأعمال الناموس (رو 28:3، غل 16:2) وكل أعمال البر الذاتي المستقلة عن الإيمان بالمسيح، هي أيضاً لا شيء، أي ميتة: "فكم بالحري يكون **دم المسيح ... يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة**" (عب 14:9)

+ الخلاص الأخير ودخول الأبدية يختلف، إذاً، عن نوال الشهادة الجامعية - التي نأخذها باستحقاقنا - بأنه **هبة مجانية لكل مؤمن تمَّم خلاصه بخوف وقداسة وقبول للألم حتى الساعة الأخيرة** . ويبقى التقدير المتراوح بين الممتاز والمقبول- والذي سيُعلن في اليوم الأخير - مرتبطاً بأعمال الإيمان والحب والخدمة والبذل وقبول الألم والموت من أجل المسيح: **"ولكن كل واحد في رتبته "** (1كو 23:15). وقتها يتألق الأنبياء والتلاميذ والرسل والشهداء والقديسون : **"حينئذ يُضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم"** (مت 43:13).

❋ ❋ ❋

بين هذه المراحل للخلاص، وهي حلقات متصلة متكاملة تؤدِّي كل منها للأخرى بلا انفصال، يُركِّز البعض على **بداية الخلاص** (وهذا مهم بالطبع، فالذي لم يبدأ لن يواصل ويستكمل مسيرته إلى النهاية)، ولكن مجرد البدء لا يعني الوصول إلى النهاية.

والبعض يُركِّز على الحياة الروحية **ومسيرة الخلاص** أثناء الحياة

وتتميمه بخوف ورعدة واتضاع(وهذا أيضاً غاية في الأهمية، فالذي ابتدأ ولم يُكمل - لو 29:14 - لن يحقق شيئاً)، ولكن من المهم أن نحث الجميع أن يتيقَّنوا أنهم قد بدأوا بالفعل توبة شاملة، وأنهم يسيرون في طريق الرب مجاهدين.

والبعض يكتفي بأن يجاهد دون أن يضع عينه على **الحياة الأبدية** وهي أعظم الهبات التي وهبنا إيَّاها الرب. فلا يقين عنده ولا رجاء، مع أنها ليست مبالغة أن يثق مَن يتبعون الرب ولا نصيب لهم غيره **"يا رب إلى مَن نذهب . كلام الحياة الأبدية عندك "** (يو 68:6) أنهم يعيشون الحياة الأبدية منذ الآن (لو 21:17)، وهي نصيبهم الذي سوف يُعلن في اليوم الأخير. فإذا غاب عنا يقين ورجاء الحياة الأبدية، فماذا يكون معنى الإيمان بالمسيح كمخلِّص إذاً ؟ ونقول مع بولس الرسول : **"إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح، فإننا أشقى جميع الناس"**(1كو 19:15).

]]]

إن الخلاص - كما كشفت عنه كلمة الله - هو حياة بأكملها، ليس نقطة أو لحظة أو خطوة واحدة، إنه عملية وفعل متجدِّد مستمر حتي وإن كان يبدأ بلحظة أو خطوة أو فعل أو لقاء يغيِّر الحياة وينقل من الظلمة إلى النور، ويصنع خليقة جديدة، ليستمر عابراً كل الحياة ومحتوياً كل جوانبها، حيث المسيح يملك على كل القلب والنفس والفكر والقدرة (مر 30:12)، ويمتد إلى الحياة بلا نهاية.

ومن هنا فلا يصح أن يضطرب المؤمن، جهلاً أو خوفاً أو توجُّساً، عندما يُسأل عن خلاصه. والإجابة التي تُمجِّد خلاص الرب الثمين الذي صنعه فينا هي : **إننا بنعمة الله سائرون في طريق الخلاص .** المسيح خلَّصنا بفدائه، بذبيحة الصليب، واشترانا بدمه، ونحن قبلنا هذا الخلاص بالمعمودية والإيمان (أو بالإيمان والمعمودية بالنسبة للبالغين) (المعنى الثاني والمعنى الثالث). ولكننا نواصل ثابتين مجاهدين مثابرين في مسيرة الخلاص (المعنى الرابع)، لنزال ونكمل خلاص الرب لنا عند مجيئه الثاني في الملكوت الأبدي (المعنى الخامس).

فنحن، نعم، خلصنا، ونخلُص، وسنخلص؛ بنعمة الله ومساندة الروح القدس والشفيع الوحيد بين الله والناس (1تي 2:5، 1يو 1:2) القادر وحده أن يحفظ وديعتنا إلى اليوم الأخير (2تي 12:1).

"خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني . وأنا أعطيها حياةً أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحدٌ من يدي . أبي الذي أعطاني إيَّاها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي " (يو 10:27-29)

ويبقى أن نظل ساهرين مُقاومين إبليس عدونا الذي لا يهدأ، وعيننا على كنز خلاصنا الثمين مُمسكين بالحياة الأبدية، وو اثقين في دوام محبة الرب وعنايته **"فهو يبقى أميناً لن يقدر أن يُنكر نفسه "** (2تي 2:13)، وراذلين كل ثقة بالذات، ومحاذرين من الارتداد إلى الجسد بعد أن بدأنا بالروح، وراجعين بالتوبة كلما أخطأنا (1يو 1:2و2)، ومتمثلين بإيمان مَن سبقونا إلى وليمة عُرس الخروف (عب 13:7):

"إذاً مَن يظن أنه قائمٌ، فلينظر أن لا يسقط" (1كو 10:12)؛

"إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لو 13:5)؛

"فلا نَنَمْ إذاً كالباقين، بل لنسهر ونصْحُ" (1تس 5:6)؛

"أقمع جسدي وأستعبده، حتى بعدما كرزتُ للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً" (1كو 9:27)؛

"تمسَّك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك" (رؤ 3:11)

Z Z Z

+ وإلى كل مَن سلَّم حياته للمخلِّص : فليُتمِّم خلاصه بخوف ورعدة، محتمياً في **"نعمة الله المخلِّصة لجميع الناس "** (تي 2:11) حتى الساعة الأ خيرة، مترجِّياً يوماً يأتي فيه الرب لإعلان الخلاص الأخير وتمجيد قديسيه.

+ وإلى الأتقياء المتمِّمين لوصايا الرب، ولكنهم محاصرون بالخوف من يوم اللقاء أو غياب اليقين من جهة المصير : فليعرفوا أن الخوف والشك هما ضد الإيمان والمحبة، وليتمسكوا بوعد راعي الخراف العظيم **أنهم محفوظون في يده ولن يهلكوا إلى الأبد** (يو 10:28).

+ وإلى المتدينين الشكليين والمؤمنين المدَّعين الذين يكتفون بظاهر العبادة وحرفها دون روحها، والذين يجتهدون عبثاً لخدمة السيدين تفادياً لعبء التبعية وتسليم الحياة للسيد الحقيقي : هذا طريق لن يوصِّل إلى شيء، **وعليهم أن يدخلوا الخلاص من بابه الوحيد المؤدِّي إلى الحياة الأبدية، أي شخص المسيح : "أنا هو الباب . إن دخل بي أحدٌ فيخلُص"** (يو 9:10) بإعلان الإيمان الحقيقي به كمخلِّص، والذي يُترجم إلى توبة شاملة تطرح الماضي بجملته لتبدأ حياة جديدة في النور، أي لتبدأ مسيرة الخلاص كل الحياة، حيث المسيح فيها هو أيضاً **"الطريق": "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي"** (يو 6:14).

+ وأخيراً، إلى التائهين الشاردين الذين تحملهم الرياح على غير هدي وتدفعهم الأحداث أو تحتويهم محبة العالم وفساده أو لا وقت عندهم للتبصُّر في المصير الأبدي؛ هؤلاء هم موضع اهتمام الرب ومحبته ومن أجلهم جاء ومات **"لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويُخلِّص ما قد هلك"** (لو 10:19)، والكتاب يقول : **"إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم"** (رو 11:13). والمخلِّص محب الخطاة واقف على الباب يقرع منتظراً دعوة العشاء (رؤ 20:3).

"رنموا للرب ترنيمة جديدة،

رنموا للرب يا كل الأرض،

رنموا للرب باركوا اسمه،

بشّروا من يوم إلي يوم بخلاصه"

(مز 96:1، 2)

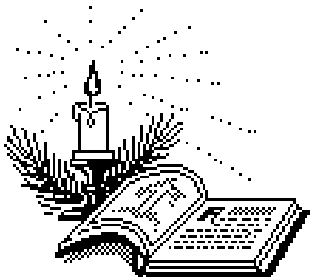

هبة الحياة الأبدية للمؤمنين
..بين الإيقان بها والحرص عليها

الحياة الأبدية هي ه بة الخلاص للمؤمنين. والإيمان الحقيقي يقتضي الإيقان بنوالها، ولكنه يتطلب أيضاً الأمانة والحرص ودوام التوبة والسهر ومساندة النعمة.

أولاً: الخلاص: الحياة الجديدة والحياة الأبدية

يُترجم فعل الخلاص في الإنسان المؤمن على بُعْدين:

أولهما: على مستوى الحياة الح اضرة، وهو التمتُّع بالحياة الجديدة في المسيح يسوع: "فدُفنَّا معه بالمعمودية للموت، **حتى كما أقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدَّة الحياة ... فإن كنَّا قد مُتنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه** " (رو 4:6و8)، "نحن نعلم أننا قد **انتقلنا من الموت إلى الحياة**" (1يو 14:3). ويتضمن الخلاص هنا الانتقال من **حياة الخطية** إلى **حياة البر**، كما ينتقل الإنسان من الظلمة إلى النور : **"كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب** " (أف 8:5). وكأن الإنسان بموته مع المسيح قد خُلِق من جديد **"إن كان أحد في المسيح فه و خليقة جديدة"** (2كو 17:5). فجدَّة الحياة ساطعة غير مختلطة بشيء من الفساد القديم، والانحياز للمسيح وكلمته هو دستور الحياة "الذين **هم للمسيح** قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل 24:5)، ورَفْض الخطية والجهاد ضدها هما سمات الطبيعة الجديدة، والتوبة مفتوحة الأبواب إذا حوصر الإنسان بالضعف: **"لنُحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين إلى رئيس**

الإيمان ومُكمِّله يسوع " (عب 1:12و2). والحصيلة في النهاية إيجابية، والإيمان ينمو، وثمار القداسة ومحبة الله والقريب تُكلِّل الحياة.

والبُعْد الثاني: يضرب في أعماق الزمن ا لآتي وهو نوال الحياة الأبدية (كما يضرب في أعماق الماضي للذين م اتوا على هذا الرجاء - عب 11:13-16). والبُعْدان متلازمان ويُمثــلان وجهين لحقيقة واحدة . فإذا كان الموت هو أجرة الخطية، **فالحياة الجديدة هي بداية وعربون الحياة الأبدية ودخول الملكوت، وإليها يتطلَّع كل مؤمن يحيا في المسيح هنا على الأرض كميراث لكل المُخلَّصين:**

"وأما الآن إذ أُعتقتم من الخطية، وصرتم عبيداً لله، فلكم ثمركم للقداسة، **والنهاية حياة أبدية"** (رو 6:22)؛
"شاكرين الآب الذي أهَّلنا **لشركة ميراث القديسين في النور** "(كو 1:12)؛
"فإن كنَّا أولاداً فإنّنا ورثة أيضاً: ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو 8:17)؛
"حتى إذا تبرَّرنا بنعمته، نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية " (تي 3:7)؛
"أمَا اختار الله فقراء هذا العالم **أغنياء في الإيمان، وورثة الملكوت الذي وعد به الذين يحبونه؟"** (يع 2:5)؛

"رثوا المملكوت المُعدّ لكم منذ تأسيس العالم" (مت 25:34)؛
"وكل مَن ترك ... من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف **ويرث الحياة الأبدية"** (مت 19:29، مر 10:30، لو 18:30)

ثانياً: الحياة الأبدية عنصر أصيل في التدبير الإلهي للخلاص

الخلاص هو التدبير الذي صنعه الله أبونا لإنقاذ الإنسان من الهلاك الأبدي.وهو إذا كان يبدأ خطواته الحاسمة بصليب المسيح وموته وقيامته، فهو يتواصل عَبْرَ الإيمان والجهاد والقداسة (عمل الروح القدس في المؤمنين) حتى يبلغ خطوته المجيدة في نوال الحياة الأبدية، النهاية السعيدة لتدبير الخلاص التي تعود بها الخليقة الجديدة إ لى الملكوت، الذي تعثَّرت الخليقة القديمة في دخوله بسبب السقوط ودخول الموت إلى العالم **"لأجل هذا هو وسيط عهد جديد، لكي يكون**

المدعوُّون - إذ صار موت لفداء التعدِّيات التي في العهد الأول - ينالون وعد الميراث الأبدي"(عب 15:9).

وهذه الحياة الأبدية نأخذ عربونها ه نا على الأرض **"ها ملكوت الله داخلكم"** (لو 21:17)، ولم تَعُد هناك مسافة بين السماء والأرض، والروح القدس يملأ الكنيسة منذ يوم الخمسين ويلد كل يوم للكنيسة الذين يخلصون، والمؤمنون المنتقلون إلى السماء هم الجناح المنتصر الحاضرون دوماً مع الكنيسة التي لا تزال تجاه د على الأرض، وسرّ الشركة في جسد الرب ودمه يلغي الزمن ويُعلن حضور المسيح ويوحِّد ما بين الروح والجسد ويفتح السماء على الأرض.

بدون الحياة الأبدية يبدو الفداء ثمناً غالياً لهدف لا يُقارَن . فهل جاء الرب لمجرد أن يترك لنا وصايا للحياة هنا، أو يصنع "دِيناً" ثم يتركنا للموت ينهشنا كالآخرين كما كان الحال منذ آدم؟ وأي قيامة هذه يدخلها "المؤمنون" وهم، كغيرهم، لا يُدركون أن نصيبهم الأبدي قد كفله لهم المسيح بصليبه وموته وقيامته وصعوده؟

نعم، بغير الحياة الأبدية يصبح اسم **"المسيحي"** وهماً، وتصدق كلمات الوحي الإلهي **"إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس"** (1كو 19:15).

ثالثاً: الحياة الأبدية هبة الخلاص

تحفل آيات الكتاب ببيان أن الحياة الأبدية - كعنصر أساسي في الخلاص - هي هبة لا فضل فيها لغير نعمة الله وغِنَى عطاياه ومحبته غير المحدودة للإنسان ولا تطلب لاقتنائها غير الإيمان الحيّ والتمسُّك بالوعد: **"وعد الحياة التي في يسوع المسيح"** (2تي 1:1)، الذي سجَّله الوحي الإلهي لكل الأجيال على مدى الدهور، لكل مَن يحيا ابناً لله، إنساناً جديداً مخلوقاً **"بحسب الله في البر وقداسة الحق"** (أف 24:4)، يُمارس سلوك الأبناء - كما هو متمتع ببركات الأبوَّة - فيحفظ وصايا أبيه محتمياً به من الأعداء، رافضاً خيانته، وينفلت راجعاً تائباً إذا زلَّ مخدوعاً. وفي هذا يتساوى كبار القديسين وأصاغر المؤمنين، الجميع ينالون الحياة الأبدية على سبيل النعمة وليس عن استحقاق أو جدارة، فليس أحد بلا خطية (1يو 8:1). والأمر هنا لا يتعلق بلحظة الموت،

وإنما هل كنا في الإيمان أم لم نكن . **فغير المؤمن الذي لم يصنع خطية ساعة الموت لن يدخل الحياة؛ كما أن المؤمن المُمسك بالحياة الأبدية** (1تي 12:6)، **حتى ولو كان قد أخطأ بالضعف، فخطيته ليست للموت** (1يو 16:5و17)، لأنه بالخلاص قد **انتقل من الموت إلى الحياة** (يو 24:5):

"وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به : الحياة الأبدية " (1يو 25:2)؛

"لأنه إن كان بخطية الواحد قد مَلَكَ الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً **الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح .** فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببرٍّ واحد صارت **الهبة** إلى جميع الناس، لتبرير الحياة" (رو 17:5و18)؛

"حتى كما مَلَكَت الخطية في الموت، هكذا **تملك النعمة بالبر، للحياة الأبدية، بيسوع المسيح ربنا"** (رو 21:5)؛

"لأن أجرة الخطية هي موت، **وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا"** (رو 23:6)

رابعاً: الحياة الأبدية والإيمان بالمسيح

تؤكّد كلمة الله - كما رأينا - **أن الحياة الأبدية هي هبة ووعد ننناله على سبيل النعمة بالإيمان بالرب كمخلّص** ، ولا يجرؤ واحد- مهما كانت درجة قداسته- أن يدَّعي أنه ينال الوعد مفتخراً بأعماله **"وإلاَّ فليست النعمة بعد نعمة"** (رو 6:11).

هذا ليس حطًّا من قدر **الأعمال** - وجه الإيمان الآخر الذي لا ينفصل عنه - فالإيمان يوصف بأنه **العامل بالمحبة** (غل 6:5)، والأعمال بأنها **أعمال الإيمان** (تمييزاً لها عن أعمال الجسد والناموس و البر الذاتي). فهي جزء طبيعي لا يستقل عن حياة الإيمان، لأنها ثماره **التي سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها** (أف 10:2)، وهي هبات الروح القدس وعطاياه (غل 22:5و23)، وهي التي تشهد على حيوية الإيمان واتصاله بينبوع الحياة. فالخلاص وختامه - أي الحياة الأبدية - هما هبة الله ونعمته لمن يقبلون الرب مخلّصاً.

الإيمان الحقيقي هنا هو إعلان القبول وتسليم الحياة والارتباط العضوي لشخص المسيح والكنيسة، والأعمال الحقيقية - أي أعمال

الإيمان والجهاد والقداسة، وليس أعمال البر الذاتي والتديُّن الشكلي - هي التي ستُحدِّد موقعنا في بيت الآب وسط كل المفديين حيث يتألق الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم (مت 43:13)[٦].

وهذه آيات مختارة - لا نملّ مِن ذكرها - تشير إلى الدور المحوري للإيمان بالمسيح في نوال الحياة الأبدية:

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو 16:3)؛

"أنا هو القيامة والحياة . مَن آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل مَن كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" (يو 25:11و26)؛

"الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية" (يو 36:3)؛

"لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني : أن كل مَن يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير..مَن يؤمن بي فله حياة أبدية" (يو 40:6و47)؛

"وهذه هي الشهادة: **أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. مَن له الابن فله الحياة، ومَن ليس له ابن الله فليست له الحياة . كتبتُ هذا إليكم، أنتم المؤمنين باسم ابن الله، لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية"** (1يو 11:5-13)؛

"مَن يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (يو 24:5)؛

"وآيات أُخَرَ كثيرة صنع يسوع قدَّام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت **لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه"** (يو 30:20و31)

نعمة الحياة الأبدية - كما تُسجِّل كلمة الله - هي للمؤمنين. هؤلاء معروفون عند الله، لا مجال للاختلاط هنا أو الأخطاء، حاشا لله، وأسماؤهم مكتوبة في سفر الحياة منذ تأسيس العالم (لو 20:10، في 3:4، رؤ 8:17)، وحسب علم الله السابق قد تم اختيارهم وتعيينهم للتبنِّي بيسوع المسيح (رو 29:8و30، أف 4:1و5و11). **فالمؤمنون**

---

(1) يرجي الرجوع إلي المقال التالي في هذا الفصل "**عن الإيمان والأعمال**" لمزيد من التفاصيل عن هذا الأمر .

هم المختارون، والمختارون هم المؤمنون "وآمن جميع الذين كانوا مُعيَّنين للحياة الأبدية" (أع 48:13):

"أعرف خاصتي وخاصتي تعرفني ... خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إيَّاها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي" (يو 14:10و27-29)

خامساً: الإيمان والإيقان بالحياة الأبدية

يكتب معلّمنا القديس بولس إلى العبرانيين عن **الإيمان** أنه **"الثقة بما يُرجَى والإيقان بأمور لا تُرى "** (عب 1:11). فالعين الجسدية تنظر إلى الأشياء التي تُرَى (وهي وقتية)، أما عين الإيمان فتتطلَّع إلى الأشياء التي لا تُرَى (وهي أبدية) (2كو 18:4). **الإيمان، إذاً، يحتوي اليقين**. وإذا كان المؤمنون بالمسيح ينجون من الهلاك وينالون الحياة الأبدية، **فالإيمان الحقيقي يفترض إيقان المؤمن بنواله الحياة الأبدية : "كل ما يُعطيني الآب فإليَّ يُقبل، ومَن يُقبل إليَّ لا أُخرجه خارجاً "** (يو 37:6)، **"صادقة هي الكلمة أنه إن كنَّا قد مُتنا معه فسنحيا أيضاً معه. إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه ... إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً، لن يقدر أن يُنكر نفسه"** (2تي 11:2-13).

وهذا الإيقان حاضر في قلب المؤمن وعقله ولسانه وسلوكه، لا يغيب عنه لحظة، وينعكس على كل مواقف الحياة، خاصة وسط الت جارب والآلام وقسوة المرض وساعات الحصار والاضطهاد وسيادة الظلم، وأمام موت الجسد سواء أصاب الأحباء أو واجه المؤمن.

ما يؤازرنا في هذا الإيقان بالأبدية ليس مجرد شعورنا وأحاسيسنا مهما كانت إيجابية – وهي بالطبع كذلك بالنسبة للمؤمنين الحقيقيين – وإنما يستند إلى ا لأسس الثابتة التالية:

(1) كمال عمل المسيح

نحن نوقن بالحياة الأبدية، لأن المسيح، وقد تولّى قضية خلاصنا بتجسُّده وصليبه وموته وقيامته، **كان الذبيحة الكاملة التي دخل الرب بدمها"مرة واحدة إلى الأقداس**

فوجد فداءً أبدياً (عب12:9)، وتمثَّل هذا الفداء في هبات الخلاص من التبرير والتبنِّي والتقديس كسمات الحياة الجديدة المجاهدة هنا على الأرض، وقيامتنا المنتصرة في المجيء الثاني للمسيح ودخول ملكوته الأبدي

فعمل الرب تام، وهباته ودعوته هي بلا ندامة (رو 29:11).

(2) ثبات وعود الله

نحن نوقن بالحياة الأبدية، لأن هذا هو وع د الله وشهادته التي سجَّلتها كلمة الله الصادقة (1يو 11:5و12): **"مَن لا يُصدِّق الله، فقد جعله كاذباً، لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه "** (1يو 10:5). ومعلِّمنا بطرس يؤكِّد **"أما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد. وهذه هي الكلمة التي بُشِّرتم بها"** (1بط 25:1).

(3) شهادة الروح القدس

نحن نوقن بالحياة الأبدية، لأن هذه هي شهادة الروح القدس في قلوبنا : "إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، **فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم** ... لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله... **الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله"** (رو 11:8و14و16).

(4) رجاؤنا الحي في المسيح

نحن نوقن بالحياة الأبدية، لأن رجاءنا في المسيح ليس مقصوراً على هذه الحياة فقط، وإنما هو ممتدٌّ إلى أعماق حياتنا الأبدية، هكذا كتب القديس بولس إلى تلميذه تيطس: "بولس، عبد الله، ورسول يسوع المسيح، لأجل إيمان مختاري الله ومعرفة الحق الذي هو حسب التقوى، **على رجاء الحياة الأبدية، التي وَعَدَ بها الله المُنزَّه عن الكذب، قبل الأزمنة الأزلية"** (تي 1:1و2).

o o o

إن الإيقان بالحياة الأبدية هو ما استند إليه الشهيد المسيحي وهو يتقدَّم بخُطىً ثابتة نحو الموت من أجل الإيمان. وهذا **اسطفانوس** – والموت يُحدق به – وُهِب أن يرى

السموات مفتوحة **"وابن الإنسان قائماً عن يمين الله "**، واستطاع والأحجار تنهال عليه أن يقفز بإيمانه هذا فوق الألم وفوق نوازع الجسد، ويتشبَّه بسيده صارخاً بصوتٍ عظيم سائلاً الغفران لراجميه (أع 7:55و56و60). وفي الذاكرة قصص كثيرة عن أتقياء بسطاء في الزمن الحاضر رأوا الرب وهم ينتقلون من هذه الحياة إلى الدهر الآتي، بينما هم – في وعيهم أو غيبوبتهم – يتهلَّلون ووجوههم تضيء بالنور.

وهذا الإيقان يسطع في كتابا ت رسل العهد الجديد . فالقديس **بطرس** يكتب: "أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم، أنا الشيخ رفيقهم، **والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد العتيد أن يُعلَن**" (1بط 5:1). والقديس **بولس**، الذي عاش شبابـــه يضطهد الرب وكنيسته (أع 7:58؛ 9:4و5؛ 22:7و8؛ 26:4و15، 1تي 1:13)، صارت له الأبدية يقيناً يعزيه وهو –في سجن روما –أسيرٌ ليسوع المسيح ينتظر ساعته الأخيرة (أف 3:1؛ 4:1، 2تي 1:8، فل 9)، فكتب في آخر رسائله لتلميذه الأسقف تيموثاوس **"لكنني لستُ أَخجل** (كسجين من أجل الشهادة للمسيح)، **لأنني عالمٌ بمن آمنتُ، ومُوقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلىذلك اليوم**.. فإني أنا الآن أُسكب‌سكيباً، ووقت انحلالي قد حضر. **قد جاهدتُ الجهاد الحسن، أَكملتُ السعي، حفظتُ الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر، الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديَّان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يُحبون ظهوره أيضاً"** (2تي 4:6-8؛ 1:12). فهو قبل أن ينتقل من هذا العالم يرى إكليله بل وأكاليل كل المنتظرين على رجاء مجيء الرب.

سادساً: النعمة تساند حرصنا على الحياة الأبدية

المؤمن الحقيقي يُدرك قدر هذه الهبة التي تُعبِّر عن عِظَم محبة الله . ورغم ثقته في وعود الله وأمانته وكمال عمله، ورجائه الذي لا يخزى في المسيح؛ لكنه يطلب معونة النعمة كي تنسجم كل توجُّهاته وهذا الخلاص الثمين الذي يُتمِّمه بخوف ورعدة (في 2:12)، ويسير زمان غربته بخوف (1بط 1:17)، ويحيا دوماً في النور موبِّخاً أعمال الظلمة (أف 5:11)، ساهراً مجاهداً مدقِّقاً تائباً، مُخضِعاً إرادته لمشيئة الله، محتضناً

هذه اللؤلؤة الواحدة كثيرة الثمن (مت 13:46)، وفي يده سلاح الله الكامل (أف 6:13) يدفع به سهام الشرير الملتهبة (أف 6:16)، وهكذا يظل مُمسكاً بالحياة الأبدية حسب وصية الكتاب : "**جاهد جهاد الإيمان الحسن، وأمسك بـ الحياة الأبدية التي إليها دُعيت**" (1تي 6:12)، "**تمسَّك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك**" (رؤ 3:11):

"**اسهروا** إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم" (مت24:42؛ 25:13، مر 13:33و35)؛

"**اسهروا. اثبتوا في الإيمان**" (1كو 16:13)؛

"فلا نَنَمْ إذاً كالباقين، بل **لنسهر ونَصْحُ**... نحن الذين من نهار، **فلنصْحُ لابسين درع الإيمان والمحبة، وخوذة هي رجاء الخلاص** . لأن الله لم يجعلنا للغضب، بل **لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح، الذي مات لأجلنا، حتى إذا سهرنا أو نمنا** (فترنا أو ضعفنا) **نحيا جميعنا معه**" (1تس 5:6-10)

وخلال حياتنا القصيرة على الأرض تفيض علين ا نعمة الله بكل ما يحقِّق انتصارنا هنا بالذي أحبنا (رو 8:37)، وما يدخل بنا مباشرة إلى الحياة الأبدية:

+ فهذه **كلمة الله** التي هي "**كلمة الحياة**" (1يو 1:1)، و "**كلام الحياة الأبدية**" (يو 6:68)، وكما يؤكِّد الرب "**أن وصيته هي حياة أبدية**" (يو 12:50).

+ وهذه **شركتنا في المسيح** واهب الحياة الأبدية في ذاته **وفي سر الجسد والدم** الذي "**يُعطَى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لِمَن يتناول منه** " (القداس الإلهي)؛

"**وهذه هي الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته**" (يو 17:3)؛

"متى أُظهِرَ **المسيح حياتنا**، فحينئذ تظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد" (كو 3:4)؛

"اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي **للحياة الأبدية الذي يُعطيكم ابن الإنسان**، لأن هذا الله الآب قد خَتَمَه... **أنا هو خبز الحياة... هذا هو الخبز النازل من السماء، لكي يأكل منه الإنسان و لا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من**

السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم. مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير" (يو 6:27و35و48و50و51و54)

والمؤمن الحقيقي العارف بضعفه والمُدرك أن قوته هي في احتمائه بالنعمة، يظل محتفظاً باتضاعه هاربـاً دوماً من الفساد الذي في العالم **"إذاً مَن يظن أنه قائمٌ، فلينظر أن لا يسقط "** (1كو 12:10)، "يُقاوم الله المستكبرين، وأما **المتواضعون فيُعطيهم نعمة"** (يع 4:6، 1بط 5:5).

سابعاً: لا للشك والخوف

رغم أن الحياة الأبدية هي هبة للمؤمنين، وليست استحقاقاً يعتمد على حجم أعمالهم، وأنها مكفولة بالدم الكريم، ووعد الله وأمانته، إلاّ أن البعض يفتقد اليقين بنوال الحياة الأبدية (٧).

+ ولماذا نشك في وعد الله بالحياة الأبدية رغم أننا نقبل أموراً أخرى صعبة؟ ولماذا نقبل أن الله خلق العالم، وأنه ظهر في الجسد، وعاش بيننا، وأنه صُلِب من أجلنا، وأنه مات وقام وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب، وأنه يُقدِّم لنا جسده ودمه على مذبح الكنيسة، وأنه سيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات؟

لماذا نقبل هذا كله وغيره مما في الكتاب بالإيمان بلا تردُّد، ولا نصدق وعد الله بالحياة الأبدية لكل مَن يؤمن به؟ هل لأن ذلك سيتم في قادم الأيام؟ وماذا في ذلك؟ إن الإيمان بطبيعته يعمل فيما يُرجَى وفيما لا يُرَى من الماضي والحاضر والمستقبل (عب 11:1).

بغير الإيمان ندخل في التيه ويضيع منا اليقين. ننحصر في الزمن والجسد والعالم الحاضر والموت القادم إن آجلاً أو عاجلاً.

الإيمان مثل الخلاص لا يتجزّأ. فإذا كنَّا نؤمن بالمسيح مخلِّصاً وحيداً، ومِن ثمَّ صرنا

---

(٧) هذا رغم ما تصلِّي به الكنيسة في أوشية الراقدين"فإنه **ليس موتٌ لعبيدك بل هو انتقال. فنيِّحهم وليستحقوا ملكوت السموات... فأعطِهم وإيَّانا نصيباً و ميراثاً مع كافة قدِّيسيك** "، وما يكتبه الكثيرون في نعي أحبائهم أنهم: **"انتقلوا إلى الأمجاد السمائية"**. أفليس هذا هو ما تسلَّموه من إيمان آبائهم؟!

أولاداً لله، **فنحن نؤمن أيضاً بميراث الحياة الأبدية** حسب وعده الذي لا يمكن أن يسقط (مت 29:19، مر 30:10، لو 30:18، رو 17:8، تي 7:3، يع 5:2)، و"**بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه**" (عب 6:11).

+ وأمام المخلّصين المؤمنين بالحياة الأبدية، كجزء أصيل لا يتجزّأ في ميراث الخلاص، يقف المقاومون الذين يرون في ذلك تزيُّداً وغروراً، وأن إبليس يقف للمؤمنين بالمرصاد كأسد زائر، وعليهم إذاً بالحرص والحذر والتستُّر على هذا الجزء الثمين من الميراث حتى الخروج من العالم. وتورد بعض الكتابات النسكية قصصاً عن ذلك القديس الذي يُحاصره إبليس ونفسه منطلقة نحو الفردوس، فيتحفَّظ القديس أن يُعلن خلاصه الموهوب ودخوله الوشيك إلى السماء حتى يدخلها بالفعل خوفاً من مكائد إبليس، أو عن ذلك القديس الذي إذ يقترب من الموت "يخاف من الحساب الأبدي".

ودون دخول في تحقيق هذه القصص وتقدير مدى دقَّتها، وحتى إن بَدَا هذا الخطاب ملائماً للنسَّاك المجاهدين لارتقاء المستويات الروحية العالية، والذين يُمثلون أهدافاً ثمينة للعدو، بقدر ما هم قدوة ومرشدون للكثيرين؛ وهكذا – اتضاعاً وحرصاً لا خوفاً – يأتي اجتهادهم لإخفاء انتصارهم وإيقاعهم بالأبدية في خطتهم للتعامل مع مؤامرات الشرير، إلاَّ أن هذا الخطاب يبدو "مُحبطاً" لعامة المؤمنين المجاهدين في العالم أصحاب "الموضع الأخير" في الملكوت الأبدي. فهذا التبشير بالخوف من إبليس، والرعب من الموت واليوم الأخير، يُستعاض عنه بالتبشير بعمل المسيح وقوة كلمة الله. فالرب قد غلب إبليس في معركة الصليب، وكلمة الله تحثنا أن نُقاوِم إبليس راسخين في الإيمان فيهرب منا (يع 7:4، 1بط 9:5)، وتؤكِّد أن "**كل مَن وُلِد من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم : إيماننا**" (1يو 4:5)، وأن رجاء المؤمن وضمان سه الأبدي هو في المسيح المُمسك بخرافه مع الآب (يو 28:10و29)، وحافظ وديعتنا إلى اليوم الأخير (2تي 12:1)، "**أنتم الذين بقوة الله محروسون، بإيمانٍ، لخلاصٍ مُستعدٍّ أن يُعلَن في الزمان الأخير**" (1بط 5:1)، ومكتوب عن الله كلِّي المحبة والبر والقداسة، العارف بنقص

الإنسان وضعفه، أنه **"لا يشاء أن يهلك أُناس، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة "** (2بط 9:3)، كما قال : **"إني لا أُسر بموت الشرير، بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا"** (حز 11:33).

نقول، إذاً، نَعَمْ للسهر، والحذر، والحرص، ومخافة الله، والجهاد، ورذل الذات؛ وإنما للخوف، فألف لا، فالخوف والإيمان لا يجتمعان.

Θ Θ Θ

نعترف أن اليقين بنوال الحياة الأبدية بالنسبة لكثير من المؤمنين الملتزمين المجاهدين، الذين تشهد حياتهم بانتمائهم المسيحي، ليس واضحاً، وأحياناً باهت أو غائب، فما بالنا بغيرهم من المسيحيين الإسميين، مِمَّن يهيمون في الحياة وتسحقهم الاهتمامات الصغيرة ولا يُفكِّرون في أبديتهم.

ربما كانت بداية التصحيح أن نُقرَّ أننا تباعدنا عن أصول الإيمان عندما غابت عنا معرفة كلمة الله، وتهيَّبنا الحديث عن **الخلاص** رغم أننا **مسيحيون**، وهي مفارقة تثير الحزن، فصرنا نخاف الموت كالعبيد، وكأن المسيح لم يَقُمْ، وأفلت منا اليقين وشحبت في عيوننا الأبدية لتصير أملاً يعسر بلوغه؛ بينما يحثنا الكتاب **أن نمسك بها منذ الآن** (1تي 12:6)، بل وأن **نغتصبها اغتصاباً** (مت 12:11) **مستندين إلى نعمة الله المُخلِّصة لجميع الناس**(تي 11:2).

فهيَّا إلى كلمة الله لنعرف معنى الخلاص، والإيمان، والوعد، والميراث، والحق الذي لنا في المسيح يسوع؛ لأننا إن لم نتمسَّك بهذا كله، فقد يأخذ غيرُنا إكليلنا (رؤ 11:3).

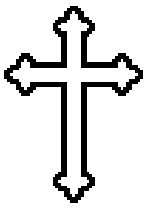

عن الإيمان والأعمال

القديسان بولس ويعقوب ..هل هما ضدان؟!

يظل الحديث عن العلاقة بين **الإيمان والأعمال** ودور كل منهما في التبرير والخلاص عموماً موضع الجدل، بل وبلغ الأمر تصنيف الرسولين **بولس ويعقوب** ووضعهما في معسكرين متقابلين: فالأول هو رسول **"الإيمان"**، والثاني هو رسول **"الأعمال"!**

ومن جهة المبدأ، فالكتاب هو كلمة الله، و**"كل الكتاب هو موحى به من الله،** ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب، الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهِّباً لكل عمل صالح" (2تي 3: 16،17). وما دام مصدر ا لكلمة والموحى بها واحداً، فلا يمكن أن تتناقض آيات الكتاب بأي حال إلاَّ لو انتُزعت قسراً من سياقها، ولكنها تتكامل، وفي تكاملها يُستعلَن الحق الإلهي.

الكتاب كلٌّ لا يتجزّأ، والمسيح لا ينقسم (1كو 1: 13)، وشريعته واحدة، وخدمة كل رسول تُكمل خدمة الآخر . واليهود والأمم بالإيمان الواحد صاروا واحداً في المسيح يسوع.

الفصل بين الإيمان والأعمال، أي جعل الإيمان **مقابل** الأعمال، فيه تعسُّف، فلا يقف أحدهما دون الآخر، كما لا ينفصل الروح عن الجسد في الإنسان الحي (يع 2: 26)؛ فارتباط الإيمان بالأعمال - والعكس - حتمي، وبانفصالهما يموت كلاهما . **الإيمان الحقيقي هو الإيمان العامل** (غل 5: 6)، **والأعمال الحقيقية هي أعمال الإيمان** (1تس 1: 3).

ولا يُعقل أن يُنادي كارزٌ بإيمان سطحي كلامي، مجرد من الفاعلية مقطوع الصلة بوصايا الكتاب، ولا يُترجَم إلى أفعال واتجاهات تشهد بانتقال الحياة من ال ظلمة إلى النور؛ أو يُنادي كارزٌ بأعمال شكلية وعبادات شفوية هي ليست ثماراً طبيعية لإيمان مسيحي حيّ، وشركة عضوية في شخص المسيح والكنيسة التي هي جسده.

ولا ننسى أن العبادات ليست قاصرة على كنيسة المسيح . فكل الديانات - حتى عبادة الشيطان والنار - لها صلواتها وطقوسها. وهناك جماعات تذلّل الجسد بالتقشُّف الشديد بل وبالسير على الجمر، ولكن لأن هذه كلها ليست من الإيمان بالمسيح **"الذي ليس بأحد غيره الخلاص"**، فأصحابها يستوفون أجرهم هنا على الأرض سواء من رضا الذات أو تقدير الآخرين.

ولكي نعرض لدور كل من الإيمان والأعمال في قضية الخلاص على ضوء كلمة الله، ربما يكون من المفيد أن نحدد في البداية المعنى الدقيق لكل من **الإيمان، والأعمال، والنعمة، والخلاص**، وبعدها ننطلق لدراسة ما كتبه كل من القديسَيْن **بولس ويعقوب** في هذا الصدد، والذي يرى فيه البعض تناقضاً. وسنتيقن في ختام الأمر أن الرسولَيْن بولس ويعقوب إنما هما يخدمان إنجيلاً واحداً وإيماناً واحداً، وإنهما جنديان مخلصان في كتيبة المسيح، يُعلّمان نفس التعليم الذي أخذاه عن معلّمهما وسيط العهد الجديد والمخلِّص الوحيد. فالهدف واحد، وإن اختلفت الوسائل والكلمات باختلاف الظروف والمخدومين

وسوف يتاح لنا أن نرى أن الجدل حول الإيمان والأعمال يحجب أمام البعض حقيقة عظمى، وهي أن الخلاص بكل روافده : التبرير والتقديس والتمجيد، لم ننلْه في المقام الأول بالإيمان أو بالأعمال، وإنما أساساً **بدم المسيح المُحب كنعمة مجانية** (أف 2: 8)، أو **هبة إلهية** (رو 6: 23؛ أف 4: 7) بغير أدنى فضل أو استحقاق، وأن الإيمان هو مجرد الوسيلة التي بها قَبلنا الخلاص ونلناه.

أولاً: معاني الكلمات

(1) الإيمان

كلمة **"الإيمان"** حرفياً Faith تكاد تترادف مع كلمة **"الاعتقاد"** Belief، حتى ليمكن لأي منهما أن تحل محل الأخرى أحياناً . ولكن إن كان **"الاعتقاد"** (أو **العقيدة**) ينصرف أكثر إلى الاقتناع أو التصديق

العقلي بشخص أو مبدأ، اعتماداً على البراهين والحواس، ربما دون تبعية أو تطبيق (كما وصف القديس يعقوب إيمان الشياطين - يع 2: 19)، فإن **"الإيمان "** يقترن أكثر بالروحيات متجاوزاً الواقع والمحسوسات، وقابلاً أموراً فوق العقل.

وفي الكتاب المقدس تُستعمل كلمة **"الإيمان "** بمعناها الاصطلاحي أي المتعلّق مباشرة بالله (مر 11: 22؛ يو 14: 1)، والنموذج هو **إيمان إبراهيم** (تك 15: 6) الذي صار أباً للجميع (رو 4: 16-18)، يهوداً وأُمماً، في المسيح يسوع (رو4 : 24،25؛ غل 3: 16).

وفي أصحاح الإيمان الشهير (عب 11) يكتب القديس بولس محدِّداً المعنى المجرد **للإيمان** أنه **"الثقة بما يُرجَى، والإيقان بأمور لا تُرَى "** (عب 11: 1)، ثم يُطبِّقه فيما يتعلّق بالإيمان بالله سارداً قائمة بأسماء آباء الإيمان من هابيل وأخنوخ ونوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى إلى داود وسائر الأنبياء الذين ماتوا على رجاء الوطن الأفضل (عب 11: 16) بمجيء وسيط العهد الجديد يسوع (عب 12: 24)، مُشدِّداً أنه **بدون إيمان لا يمكن إرضاء الله** (عب 11: 6).

والإيمان، في العهد الجديد، يقصد به تحديداً **الإيمان بشخص يسوع المسيح** (يو 6: 29؛ 14: 1؛ أع 20: 21) والاعتراف به ربّاً (1كو 12: 3) ومخلّصاً (أع 4: 12)، حيث المسيح هو **"رئيس الإيمان ومُكمِّله"** (عب 12: 2) الذي مَن يؤمن به ينال الحياة الأبدية (يو 3: 16،36)؛ وأيضاً **الإيمان بالإنجيل** (مر 1: 15)؛ وهو عطية الله (أف 2: 8؛ في 1: 29) والروح القدس (1كو 12: 9).

ولكي يكشف القديس بولس عن أن كلمة **"الإيمان "** وحدها تعني توجُّهاً حقيقياً فاعلاً يقود إلى تغيير الحياة كلها (وليس مجرد اعتراف بالشفاه)، ذكرها في رسالته إلى غلاطية هكذا : **"الإيمان العامل بالمحبة"** (غل 5: 6).

فبالإيمان الحقيقي نوهَب الخلاص (مر 16: 16؛ أع 16: 31)، وفيه نقاوم إبليس (1بط 5: 9)، ونغلب العالم (1يو 5: 4،5)، وننال

السلام (رو 15: 13)، والفرح (1بط 1: 8)، ونعبر الآلام والضيقات (في 1: 29).

(2) الأعمال

كأعمال الرسل في الكرازة Acts، والأعمال التي يفترض أن يقوم بها المؤمنون Works، وضمنها **أعمال الناموس** (رو 3: 2؛ غل 2: 16؛ 3: 2) أي التي تضمَّنها ناموس موسى . وهذه إما كانت رموزاً أُبطلت في المسيح (مثل: الختان والفصح وسائر الذبائح)، أو أُكملت بالمسيح مثل: التطهيرات والأمور المتصلة بالنجاسة وما تعلَّق بالسبت والكفُّ فيه عن كل عمل حتى أعمال الخير، فالذي يُنجِّس الإنسان صار هو ما يخرج من الفم لا ما يدخله (مت 15: 11)، وفعل الخير في السبوت كسائر الأيام صار واجباً (مت 12: 12).

[وقد أعفى مجمع أورشليم (أع 15) الأمم الراجعين إلى المسيح من الالتزام بالختان وحفظ الناموس بعد أن اعتبر البعض الختان شرطاً للخلاص بالنسبة للجميع].

أما فيما يتعلق بالوصايا الروحية في العهد القديم (لا تقتل - لا تزن - عين بعين وسن بسن)؛ فالرب أكملها ووسَّع مداها **"ما جئت لأنقض بل لأكمِّل "** (مت 5: 17)، **"قيل للقدماء ... أما أنا فأقول لكم..."** (مت 5: 21-48)، مُحذِّراً من الرياء في العبادة وتقديمها لله لا للناس.

والرب أكَّد على **عمل الآب وعمله هو : "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل "** (يو 5: 17)، وأنه يعمل "أعمال أبيه " (يو 10: 27)، أي إعلان هيمنة الله على الوجود وفيض محبته.

وهناك **أعمال البر** والفضائل والمحبة "التي تليق بالتوبة " (مت 3: 8؛ أع 26: 20). والرب اعتبر أعمال المسيحي إعلاناً عن نور الله فيه وأوصانا : **"فليُضِئ نوركم قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويُمجِّدوا أباكم الذي في السموات "** (مت 5: 16)، وهي ثمار الروح (غل 5: 22،23)، ودليل الإيمان والحياة الجديدة (غل 5: 6؛ يع 2: 18)، وهي التي ستشهد لنا في ال يوم الأخير (مت 25: 34-36؛ رؤ

14: 13). وهذه كلها إن انفصلت عن أن تكون باسم المسيح والإيمان به تصير لحساب الذات، وبالتالي تتحوَّل إلى أعمال فقدت كل قيمتها.

كما أن هناك بالمقابل **"أعمال الجسد "** (رو 8: 13؛ غل 5: 19)، أو **"أعمال الظلمة"** (رو 13: 12؛ أف 5: 11)، أي الأعمال الشريرة (يو 3: 19) النابعة من **"أعمال إبليس"** (1يو 3: 8).

(3) النعمة

المعنى الخاص **للنعمة** في العهد الجديد أنها تعبير عن عطاء الله الغني والثمين الذي يفيض الله به من خلال محبته على كل خليقته، نباتاً وحيواناً وبشراً: **"لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد"** (أع 17: 28).

وأعظم النِّعَم قاطبة هي نعمة **الخلاص** (أف 2: 8؛ تي 2: 11؛ 3: 7)، ورغم أنها ثمينة بهذا المقدار إلاَّ أنها مجانية كسائر النعم (مت 10: 8؛ رو 3: 24؛ رؤ 21: 6؛ 22: 17)، فلا أحد يستحق كما أن أحداً لا يقدر أن يُقدِّم شيئاً مقابلها غير أن يؤمن. وهبات الروح والأسرار ونور الكلمة خلال مسيرة الحياة وامتدادها إلى الحياة الأبدية، هي جوانب من فيض نعمة الله التي لا تُستَقصى.

وفي الكتاب، فإن عرش الله هو **عرش النعمة** (عب 4: 16)، أي أنه من الله تنحدر كل النعم؛ وإذا كان الكتاب يصف الله بأنه **محبة** (1يو 4: 8،16)، بمعنى أنه تتجسد فيه المحبة الكلّية، فكذلك يمكن القول إن **"الله فرح"** (أي فيه كل الفرح)، و**"الله سلام"** (أي فيه كل السلام)، و**"الله نعمة"** (أي فيه كل النِّعَم).

وتُنسب النعمة للابن: **"أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا "** (يو 1: 17)، كما تُنسب للآب والابن: **"نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح "** (رو 1: 7؛ 1كو 1: 3...، وباقي رسائل القديس بولس). والروح القدس هو **"روح النعمة "** (عب 10: 29) الذي يُعِدُّ القلوب للإيمان : **"ليس أحد يقدر أن يقول يسوع ربٌّ إلاَّ بالروح القدس"** (1كو 12: 3)، والذي من خلاله نلنا ثمار الخلاص وحياة القداسة؛ وهو الفاعل في الأسرار، ومؤسِّس الكنائس، ومعضِّد الخدمة، وواهب الثمر المتكاثر لحساب مجد الله.

(4) الخلاص[1]

---

(1) للمزيد راجع المقال السابق في هذا الكتاب"**المعاني المختلفة للخلاص في الكتاب**" ص 54.

المعنى الحرفي **للخلاص** هو النجاة والتخلُّص من ضيقة أو ظلم أو التحرُّر من قيد أو عبودية، أو الانفلات من خطر أو تجربة أو محنة أو هلاك.

ولكن في الكتاب تأخذ كلمة الخلاص **بُعداً** أعمق. **فالمخلِّص هو الله** (خر 14: 13): **"الرب نوري وخلاصي "** (مز 27: 1)، **"هوذا الله خلاصي"** (إش 12: 2).

وقد تأتي كلمة **الخلاص** بالمعنى **الحرفي** أو **المطلق** خاصة في العهد القديم كخلاص شعب إسرائيل من عبودية فرعون وخروجهم من مصر (والذي يرمز بشكل ما إلى الخلاص الذي صنعه الرب)؛ كما أن دم خروف الفصح الذي سبق الخروج يرمز إلى دم ذبيحة الصليب الذي به كان الفداء الأبدي (عب 9: 12)؛

أو تأتي بالمعنى **العام** أو **الشامل** دون تفصيل، اتصالاً بشخص الرب المخلِّص الوحيد: "وتدعو اسمه يسوع، لأنه **يُخلِّص** شعبه من خطاياهم" (مت 1: 21)؛ "عيني أبصرتا **خلاصك**" (لو 2: 30)؛

أو تأتي تعبيراً عن مراحل الخلاص الثلاث في حياة الناس:

(أ) بدء الخلاص (أو **التبرير**)، أي الإنقاذ من الموت الأبدي والانتقال من حياة الخطية إلى الحياة الجديدة بالمعمودية وممارسة التوبة والتغيير المستمر . والنفس الخا طئة تدلف إلى هذه المرحلة بالإيمان وتسليم الحياة الخالية من كل بر إلى المخلِّص؛

(ب) حياة الخلاص (أو **التقديس**)، حيث تظهر ثمار الإيمان كالنمو في القداسة والتوبة وحفظ الوصية والأعمال الحسنة والخدمة والجهاد وقبول الألم من أجل المسيح، وهي المرحلة التي تمتد كل الحياة بمساندة النعمة: **"تمِّموا خلاصكم بخوف ورعدة"** (في 2: 12)؛

(ج) تمام الخلاص (أو **التمجيد** أو **الخلاص الأخير**)، أي بلوغ الوطن السماوي عند مجيء الرب الثاني : **"الذي يصبر إلى المنتهى، فهذا يخلص "** (مت 10: 22؛ 24: 13)؛ **"وإذ كُمِّل، صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبد ي"** (عب 5: 9)؛ **"سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه"** (عب 9: 28)؛ **"أنتم الذين بقوة الله محروسون، بإيمانٍ، لخلاصٍ مستعدٍّ أن يُعلَن في الزمان الأخير "**

(1بط 1: 5)؛ **"وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء : الآن صار خلاص إلهنا"** (رؤ 12: 10).

ثانياً : الإيمان والأعمال في رسائل القديس بولس

لكي يُتاح لنا أن نفهم أبعاد ما كتبه القديس بولس عن الخلاص ودور النعمة والإيمان والأعمال، ينبغي أن نعود إلى اختبار القديس بولس الخلاصي وملابساته، فهو يعكس رؤيته الملهَمة للخلاص ويزيل أيَّ لَبْس في توجُّهه كأنه لا يتفق وروح الإنجيل أو مع ما كتبه القديس يعقوب.

ولا شكَّ أن اختبار القديس بولس الخلاصي يبدو مختلفاً متفرِّداً عند مقارنته باختبار الاثني عشر الذين رافقوا الرب خلال إرساليته على الأرض.

(1) بين اختبار القديس بولس، واختبار التلاميذ

اختبار التلاميذ

+ عندما تلاقى القديس بولس مع الرب ودعاه لكي يتبعه، لم يكن كلقاء التلاميذ الأوائل بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا . كان هؤلاء مجرد صيَّادين بسطاء يسعون كل يوم للحصول على قُوتهم. وكان الرب يستخدم سفنهم نهاراً ليقف يعلِّم الجموع المحتشدة على شاطئ بحر طبرية. ولكنه في إحدى المرَّات بعد انتهاء خدمته، دعاهم للابتعاد عن الشاطئ والصيد في العمق، بعد أن كانوا قد فشلوا في مهمتهم الليل كله. وهم على كلمته ألقوا الشباك رغم مجافاتها لأصول الصيد، وكانت النتيجة أن اصطادوا سمكاً كثيراً جداً . وهنا دعاهم ليكونوا صيَّادين للناس، فتركوا السفن والصيد الثمين ومهنة الصيد كلها وتبعوه (مت 4: 18-22؛ مر 1: 16-20؛ لو 5: 1-11).

+ كان اللقاء المُغيِّر للحياة هادئاً وحميماً . ومن هذه الساعة ظلوا في رفقة المعلم ثلاث سنوات ونصف، يسمعون أكثر مما يتكلمون، ويتعلَّمون، ويُشاهدون، ويختبرون . ومعرفتهم بالرب ظلت تنمو قليلاً قليلاً. بعضهم كان قبلاً من تلاميذ المعمدان، والذي كانت لشهاداته دورها في تبعيتهم للرب. وعندما صرَّح بطرس: **"أنت هو المسيح ابن الله الحي"**، طوَّبه الرب مؤكِّداً أن هذا لم يكن فكراً بشرياً، ولكنه إعلان

من الآب السماوي (مت 16: 16،17).

+ وخلال السنوات كان الإيمان ينمو ويتراجع، والمعرفة تجتاحها الشكوك أحياناً (مت 28: 17). ويُسجِّل الكتاب أنهم كثيراً ما اضطربوا وخافوا (مت 14: 26؛ 17: 6؛ مر 4: 40؛ 9: 32؛ لو 8: 25؛ 9: 34،45؛ 24: 37؛ يو 6: 19؛ 20: 19)، وكثيراً ما لم يفهموا ما يُقال أو ما كان يجري من حولهم (مر 9: 32؛ لو 9: 45؛ يو 8: 27؛ 12: 16؛ 13: 28).

+ الرب من جانبه كان يُتيح لهم أن يدركوا بعض ما خَفِيَ عنهم من لاهوته كرؤيتهم لتجلِّيه، أو بعض قوَّته : في معجزات الشفاء، وإخراج الشياطين، وإقامة الموتى، وانتهار الرياح، والسير على الماء. ومع هذا، ففي ساعة ضعفه، والرب يُحاصره أعداؤه، يتنكَّر بطرس لسيده ويُنكره قدام الخدَّام (مت 26: 69-75؛ مر 14: 66-72؛ لو 22: 57-62).

+ وكان الصليب المحنة الكبرى عند أكثر التلاميذ الذين تشتَّتوا وهربوا، وإن كانت القيامة قد أعادتهم بالكاد إلى صوابهم وإيمانهم بالرب الذي فتح ذ هنهم ليفهموا الكتب (لو 24: 45). ولأربعين يوماً ظل يُحدِّثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع 1: 3). وبعد صعوده بعشرة أيام حقَّق الرب وعده بإرسال الروح القدس الذي حل عليهم وعلى جماعة المؤمنين القليلة بصورة غير مسبوقة (أع 2: 1-4). ومن هذه الساعة رأينا التلاميذ جبابرة الإيمان وسط الرياح المضادة، وأبطال الكرازة بكل مجاهرة ودون خوف، وأكثرهم ختم شهادته بالدم.

اختبار القديس بولس

على غير ما كان التلاميذ، كان بولس (شاول) متقدِّماً في المعرفة وفي موقعه في المؤسسة الدينية اليهودية : فهو عالمٌ بالكتاب، تربَّى عند قَدَمي غمالائيل أحد كبار المعلِّمين في مسقط رأسه طرسوس (أع 22: 3)، وهو لم يكن مجرد يهودي (أع 21: 39، 3:22) أو إسرائيلي (رو 11: 1) أو عبراني (2كو 11: 22)؛ وإنما كان أيضاً فرِّيسياً (في 3: 5) يعرف الناموس ويلتزم به ويُعلِّمه:

+ وعندما افتقدته نعمة الله وظهر له الرب في مشهد باهر في نصف النهار كان بولس (شاول) يواصل ما عاهد عليه نفسه من مقاومة هذه الحركة الجديدة بكل وسيلة، فكان **"يدخل البيوت، ويجرُّ رجالاً ونساءً، ويُسلِّمهم إلى السجن"** (أع 8: 3)، وهو **"ينفث تهدُّداً وقتلاً على تلاميذ الرب"** (أع 9: 1). وكان في طريقه إلى دمشق مطارداً الذين تشتَّتوا من أورشليم ويكرزون خارجها بالإيمان الجديد ولكن اللقاء كان صاعقاً حتى أنه زلزل كيانه وأفقده بصره وطرحه أرضاً هو والذين معه، والرب يُجابهه بقوة ويستجوبه: **"شاول شاول لماذا تضطهدني"؟** حتى أنه وهو مرتعد ومتحيِّر لم يستطع إلاَّ أن يق ول مُذعناً: **"يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟"** (أع 9: 3-6).

وبعد ثلاثة أيام ، وهو فاقد البصر ولم يَذُق طعاماً وفارقته قوته وسطوته، يلتقي بحنانيا الذي عهد إليه الرب برعايته كإناء مختار يحمل اسم الرب أمام "أُمم وملوك وبني إسرائيل ". وتنفتح عيناه ويعتمد ويمتلئ من الرو ح القدس وينضم إلى تلاميذ الرب (أع 9: 9-22)، يشاركهم الآن البشارة بالخلاص واحتمال الآلام من أجل اسم الرب.

+ فالذي جاز فيه التلاميذ خلال أكثر من ثلاث سنوات من لقاء طبرية الهادئ حتى يوم الخمسين الناري، اجتازه بولس بصورة حادة وسريعة خلال ثلاثة أيام من ساعة اللقاء الصارم في طريق دمشق حتى معموديته وتوشحه بالروح القدس . فالتغيير هنا لم يأتِ بعد الرفقة والدراسة والمتابعة والمحاولات والأخذ والرد والمجاهدة طويلاً مع النفس، وإنما كان عملاً إلهياً جباراً، أوقف الرب به تيار العداء والخصومة، وحوَّل قلب شاول وعقله في اتجاه الحق الإلهي.

فها هي معجزة النعمة تتبدَّى كأعظم ما يكون البهاء، وبها يتحوَّل العدو الهائج العنيد الذي كان يجول كالأسد الزائر ملتمساً مَن يبتلعه من أتباع الرب ليصير هو أيضاً واحداً منهم، منتقلاً من المقاومة إلى الموالاة والتبعية، ومن الرفض إلى الإيمان، ومن تولِّي دور المدَّعي

الذي يُعدِّد الاتهامات ويُطالب بالعقوبات إلى دور المحامي الذي يُدافع بقلبه وعقله عن موكّليه، بل ومستعدٌّ أيضاً أن يتجرَّع معهم كأس الآلام التي أذاقها لهم من قبل، وأن يمضي معهم إلى السجن وإلى الموت (أع 21: 13).

إنه بالنعمة إذاً

لا غرو إذاً ولا عجب، عندما كتب القديس بولس عن الخلاص الذي صار لنا بالمسيح يسوع، أن يبدأ لا بالإيمان أو بالأعمال بل **بالنعمة،** فهذا هو اختباره الشخصي.

+ فالنعمة هي التي افتقدته بعد طول الزمان رغم العقبات، وجعلته يلحق بركب تلاميذ الرب، وحملته على أجنحتها كل مسيرة حياته الجديدة، خدمةً وجهاداً وسلوكاً، وهكذا كتب:

"وآخر الكل كأنه للسِّقط، ظهر (الرب) لي أنا، لأني أصغر الرسل، أنا الذي لستُ أهلاً أن أُدعى رسولاً، لأني اضطهدتُ كنيسة الله . ولكن بنعمة الله أنا ما أنا (ما أنا فيه) ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا تعبتُ أكثر منهم جميعهم، ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي " (1كو 15: 8-10).

"فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية، أني كنتُ أضطهد كنيسة الله بإفراط وأُتلفها، و ... إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي . **ولكن لما سرَّ الله، الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته، أن يُعلِن ابنه فيَّ لأُبشِّر به بين الأمم،** للوقت لم أستشر لحماً ودماً..." (غل 1: 13-16).

"وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا، الذي قوَّاني أنه حسبني أميناً، إذ جعلني للخدمة، أنا الذي كنتُ قبلاً مجدِّفاً ومضطهداً ومفترياً، ولكنني رُحِمت لأني فعلتُ بجهل في عدم إيمان، **وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع** . صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول **أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا"** (1تي 1: 12-15).

+ **والنعمة** هي التي فاضت عليه، فاختُطِفَ إلى السماء الثالثة حيث

الفردوس، وسمع كلمات "لا يُنطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم بها " (2كو 12: 2-4). وهي التي كَفَتْه إزاء ضعف جسده الذي كان يفوق خدمته. ولكن الرب كشف له أن شوكة جسده هذه كانت لئلا يرتفع بفرط ما اختبره من إعلانات. ويقول إنه تضرَّع ثلاث مرات أن تُفارقه شوكة الجسد التي كان يلطمه بها الشيطان، ولكن الرب قال له: **"تكفيك نعمتي لأن قوَّتي في الضعف تُكْمَل"** (2كو 12: 7-9).

وكان صدى هذه الكلمات عنده: **"لذلك أسرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح، لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي"** (2كو 12: 10)، أي قوي بنعمة الله.

+ وهو في خدمته يُقدِّم نفسه نموذجاً لعمل نعمة الله:

"لكنني لهذا رُحمت ليُظهِر يسوع المسيح فيَّ أنا أولاً كل أناة مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية" (1تي 1: 16)؛

"كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان (بالمسيح) **غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين "** (أع 26: 18).

+ **النعمة**، إذاً، هي قبل الإيمان والأعمال في مسيرة الخلاص، بل هي الفاعلة أيضاً في الإيمان وفي الأعمال.

وهي تعبير عن أن الله **"اختارنا في المسيح قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، إذ سبق فعيننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته** (نعمته)"، كما كتب القديس بولس لأهل أفسس (أف 1: 4،5).

(2) في بدء الخلاص، عمل النعمة لا يتطلَّب غير الإيمان

(أ) مخلَّصون بالنعمة بواسطة الإيمان، بدون أعمال الناموس

+ كما سبق ذكره، فالخلاص ليس فقط **نقطة تحوُّل** يمكن للبعض أن يذكر ملابساتها بالتدقيق: متى وكيف وأين (كما حدث مع **القديس بولس** مثلاً، وغيره)، ولكنه يصبح **مسيرة حياة** تبلغ غايتها في الأبدية. والنفس الخاطئة عندما تفتقدها **النعمة** ليس عندها ما تُقدِّمه غير أن تقبل عطية الله الغنية، وهذا هو **إيمانها**.

+ وكما هو معروف، فالكرازة بدأت أولاً وسط اليهود في أورشليم واليهودية، ثم امتدَّت إلى الأمم [بالقديس بطرس أولاً بكرازته لكرنيليوس قائد المئة في قيصرية (أع 10: 1-11: 18)، ثم بالقديس

بولس الذي صار رسول الأمم]. ولأن أوائل المؤمنين كانوا يهوداً، فقد ظن هؤلاء أن طريق الأمم إلى الخلاص ينبغي أن يمرَّ مثلهم بالترتيبات اليهودية ثم بالإيمان بالمسيح: "وقالوا إنه ينبغي أن يختتنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى" (أع 15: 5).

ودافع بولس "رسول الأمم " عن حق الأمم في المسيح دون شروط إضافية غير الإيمان، حتى أنه واجه القديس بطرس [2]: **"لماذا يُلزم الأمم أن يتهوَّدوا "** (غل 2: 14).

+ وهكذا انعقد أول مجمع كنسي برئاسة القديس يعقوب (أخي الرب) أسقف أورشليم الذي انتهى إلى **"ألاَّ يُثقَّل على الراجعين إلى الله من الأمم، بل يُرسَل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم"** (أع 15: 19،20). فطريق الأمم إلى المسيح لا يمر عَبْرَ التزامات الناموس كالختان والذبائح والتطهيرات وغيرها، وإن تطلَّبه بالطبع التخلِّي عن قباحات الحياة الوثنية القديمة وأدرانها.

(ب) الخلاص للكل، لليهود والأمم

+ وبالنسبة للقديس بولس، فإنه في كرازته ورسائله لم يكن فقط يُخاطب أُمماً يدعوهم إلى الإيمان أو آمنوا بالرب، وإنما أيضاً يهوداً لا زالوا يرون أنفسهم متميِّزين عن الأمم الذين لم يعرفوا الله من قبل مثلهم، ولا آباء لهم كإبراهيم، ولا ناموس عندهم كناموس موسى، وهذا ما اضطره في رسائله لكنائس رومية وغلاطية وأفسس أن يو ضِّح مفهوم **الخلاص** للجانبين، على ضوء اختباره هو أيضاً، **أنه بالنعمة بواسطة الإيمان دون أعمال الناموس أو غيرها:**

"لأنكم بالنعمة مُخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله. ليس من أعمالٍ كيلا يفتخر أحدٌ" (أف 2: 8،9).

ويُشير إلى ذلك أيضاً في رسالته إلى تلم يذه تيطس : **"ولكن حين ظهر لطف مخلِّصنا الله وإحسانه، لا بأعمالٍ في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلِّصنا، حتى إذا تبررنا بنعمته، نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية "** (تي 3: 4-

---

[2] من المفارقات أن القديس بط رس تعرَّض أيضاً للوم ومخاصمة أهل الختان (اليهود) عندما عرفوا أنه دخل بيت أممي (كرنيليوس) وأكل معه (أع 11: 2،3)!

7).

+ فهو يُمجِّد **"نعمة الله المُخلِّصة لجميع الناس"** (تي 2: 11)، لأنه هو مدين بخلاصه للنعمة التي اختارته رغم موقفه المناوئ من المسيح، فطرح وراءه كل أعمال ناموسه وبرِّه، وتقدَّم فقط بإيمانه بالرب الذي افتقده: **"إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، ب ل بإيمان يسوع المسيح، آمنَّا نحن أيضاً بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس"** (غل 2: 16).

وفي هذا كتب القديس بولس إلى أهل فيليبِّي قائلاً : **"لكن ما كان لي ربحاً، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة . بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خَسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح، وأُوجد فيه، وليس لي برِّي الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان"** (في 3: 7-9).

+ كما أنه وهو يُنادي بنعمة الخلاص يُدافع ضمناً عن حق الأمم الراجعين إلى الله في الخلاص بدون أي التزامات مُسبقة . فعدل الله ورحمته ولطفه وإحساناته، يقتضي إتاحة الخلاص للكل : **"لأن الله واحدٌ، هو الذي سيُبرِّر الختان بالإيمان والغُرلة بالإيمان "** (رو 3: 30). ومن ناحية أخرى، فإن نعمة الله التي وهبت الخلاص هي كافية وغنية جداً بما لا يُقاس ["الله الذي هو **غني في الرحمة"** (أف 2: 4)، **"غِنَى نعمته"** (أف 2: 7)، **"غِنَى المسيح الذي لا يُستَقصَى"** (أف 3: 9)، **"مجد نعمته"** (أف 1: 6)].

فبالنعمة الغنية صار الغرباء الأجنبيون ضمن رعية الله وأهل بيته، والبعيدون (الأمم) صاروا قريبين بدم المسيح، والع داوة سقطت وحلَّ السلام، وصار الاثنان (اليهود والأمم) واحداً وهيكلاً مقدساً في الرب مسكناً لله في الروح حيث المسيح حجر الزاوية (أف 2: 11-22): **"ليس يهودي ولا يوناني . ليس عبد ولا حُر . ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع"** (غل 3: 28).

(ج) "آمن فقط" (مر 5: 36)

وبسبب غِنَى النعمة فهي تهب الخلاص مجاناً ["**مجاناً أخذتم**" (مت 10: 8)، **"متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح "** (رو 3: 24)، **"أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً "** (رؤ 21:

6)، **"ومَنْ يُرد فيأخذ ماء حياة مجاناً "** (رؤ 22: 17)]، ولا مجال هناك، إذاً، للافتخار (رو3: 27).

ويصير إهانة للنعمة وطعناً في كفاية دم المسيح للخلاص والغفران أن يُفكّر أحد أن يُقدِّم مقابلاً أو ثمناً (ومن يقدر؟!) لبدء الخلاص غير أن يقبل ويثق في كمال عمل الله وخلاصه . **هذا هو الإيمان**، الذي مِن ثمَّ يصبح الشرط الوحيد المطلوب من الجميع سواء كانوا يهوداً أم أُمماً : **"بأي ناموس؟ أبناموس الأعمال؟ كلاَّ! بل بناموس الإيمان. إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس . أم الله لليهود فقط؟ أليس للأمم أيضاً؟ بَلَى للأمم أيضاً "** (رو 3: 27-29)، **"لهذا هو (أي الخلاص) من الإيمان** (المتاح للكل)، **كي يكون على سبيل النعمة، ليكون الوعد وطيداً (ثابتاً وأكيداً) لجميع النسل** (كل البشر). **ليس لمَن هو من الناموس** (اليهود) **فقط، بل أيضاً لمَن هو من إيمان إبراهيم** [3] (تك 15: 6) (الإيمان بدون أعمال الناموس)، **الذي هو أبٌ لجميعنا . كما هو م كتوب: إني قد جعلتُك أباً لأمم كثيرة** (تك 17: 5)" (رو 4: 16،17)، **"والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يُبرِّر الأمم، سبق فبشَّر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم... فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة"** (غل 3: 8،29).

+ على أنه لا يُمكن أن يُظَن أن الإيمان -رغم حتميته- هو الثمن الذي ندفعه مقابل الدخول إلى الخلاص، لأنه ليس أكثر من قبول الهبة والثقة فيما نرجوه من الله من عطايا النعمة، والاعتراف بأن الرب ببذله نفسه عنا قد دفع ثمن غفران خطايانا كما أننا لا نجسر أن ندَّعي أن إيماننا نوع من الفضل مقابل نوال الخلاص، فالذي يمدُّ يده ليأخذ صدقة لا يجرؤ على القول إنه هو بدوره مدَّ يده ليتناول الإحسان. **فالإيمان في ذاته هو عطية الله وهبة الروح القدس** (رو 12: 3؛ غل 5: 22؛ في 1: 29)، حتى أن القديس بولس في رسائله ينسب الإيمان مباشرة إلى شخص المسيح، أي الإيمان المتعلّق بالرب يسوع المخلِّص ورئيس الإيمان (غل2: 16،20،21؛ في 3: 9؛ عب 12: 2). وهو يُحذِّر الأمم من التفاخر

---

[3] أي الإيمان بالله بدون أعمال الناموس، لأن إيمان إبراهيم بوعد الله حُسِبَ له برّاً (تك 15: 6) وهو في الغُرلة ولم يكن بعد قد اختتن (أعمال الناموس) (تك 17: 10،24؛ رو 4: 1-10)، **"وأخذ علامة الختان ختماً لبرِّ الإيمان ... ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم في الغُرلة... وأباً للختان»** (رو 4: 11،12).

والتعالي على اليهود، الذين تعثَّروا في أعمال الناموس ولم يقبلوا المسيح، لأنهم - أي الأمم - إنما نالوا خلاصهم بغير استحقاق وهو فقط بسبب النعمة: **"لا تستكبر بل خَفْ"** (رو 11: 20).

(د) ليس من أعمال

+ وإذا لم يكن الإيمان ثمناً، فبالأوْلى أعمال الناموس أو أي أعمال بر (فلا برَّ هناك بغير المسيح أو قبل معرفة المسيح). والشعور بأننا دفعنا شيئاً مقابل الخلاص يُظهرنا كأننا لسنا مدينين بشيء : لقد أعطينا وأخذنا استحقاقنا؛ وهذا وهم وجسارة . والقديس بولس يشير إلى ذلك بقوله: **"أما الذي يعمل** (أي يُقدِّم مُقابلاً من الأعمال) **فلا تُحسَب له الأجرة** (المقابل، وهو هنا الخلاص) **على سبيل نعمة** (هبة مجانية)، **بل على سبيل دَيْن** (سداداً لدَيْن). **وأما الذي لا يعمل** (ليس عنده ما يُقدِّمه)، **ولكن يؤمن بالذي يُبرِّر الفاجر، فإيمانه يُحسَب له برّاً** (يُتيح له نوال التبرير)" (رو 4: 4،5)، **"لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسدٌ ما ... لأنه إن كان بالناموس برٌّ، فالمسيح إذاً مات بلا سبب "** (غل 2: 16،21).

+ **النعمة وأعمال الناموس لا يجتمعان** . فطالما أننا نقول إن الخلاص بالنعمة فلا يكون بالأعمال . كما أن **الإيمان وأعمال الناموس لا يجتمعان**. فعندما نقول إن الخلاص بالإيمان فلا يكون بأعمال الناموس : **"لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة "** (غل 5: 6)، **"فإن كان** (الخلاص) **بالنعمة فليس بعد بالأعمال، وإلاَّ فليست النعمة بعد نعمة** (عطية مجانية). **وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة** (لا يكون الخلاص مجانياً)، **وإلاَّ (إذا كان الخلاص بالنعمة) فالعمل لا يكون بعد عملاً** (لا يكون ثمناً مطلوباً لنوال الخلاص)" (رو 11: 6).

+ الله **"الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدسة** (أي أن الله هو الذي بدأ بالتحرُّك نحونا والعمل من أجل خلاصنا)، **لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطِيَت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرَت الآن بظهور** (بتجسُّد) **مخلِّصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت** (بموته) **وأنار الحياة والخلود** (بقيامته) **بواسطة الإنجيل** (بالبشارة بالخلاص)" (2تي 1: 9،10).

+ والقديس بولس في هذا لم يأتِ بجديد عمَّا نادى به المخلِّص من

أنه لم يأتِ ليدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة (مت 9: 13؛ لو 5: 32)، فماذا قدَّمت السامرية (يو 4) أو الزانية (يو 8) أو المرأة الخاطئة (لو 7)، وماذا قدَّم لاوي (مت 9: 9؛ لو 5: 27،28) أو زكَّا (لو 19: 6-10)، غير إيمانهم وطاعتهم وتوبتهم عن ماضيهم ! وأيُّ أعمال برٍّ كانت لهم ليُقدِّموها ويستحقوا أن ينالوا الخلاص؟

+ وصلوات وصدقات كرنيليوس الأممي صعدت تذكاراً أمام الله، ولكنها لم تكّفه ليخلُص، وإن كشفت عن توقه لمعرفة الله، فحنَّنت قلب الله الذي دبَّر لقاءه مع بطرس لكي يُعرِّفه طريق الخلاص (أع 10،11).

(ه-) لماذا الناموس إذاً؟

والقديس بولس في نفيه لأي دور لأعمال الناموس في نوال الخلاص، يشير إلى إخفاق الكل في الالتزام به وط اعته، بحيث إنهم صاروا - بحُكْم الناموس - تحت اللعنة (تث 27: 26).

ولكن شكراً لله أنَّ **"المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل مَن عُلّق على خشبة** (تث 21: 13)" (غل 3: 13)، **"لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن برَّ الله فيه"** (2كو 5: 21).

على أن القصور لم يكن في الناموس ذاته (الذي يصفه القديس بولس أنه مقدَّس وروحي وصالح والوصية مقدَّسة وعادلة وصالحة - رو 7: 12،14؛ 1تي 1: 8)، وإنما في أنه كشف الخطية دون أن يوفِّر القوة لغلبتها: **"الناموس لم يُكَمِّل شيئاً ... لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا"** (عب 7: 19؛ 10: 4). وهكذا قادنا الناموس إلى كمال عمل الله بخلاص المسيح . فإخفاقنا عن طريق الناموس جعل الرب وخلاصه طوق الإنقاذ التي يتعلَّق بها كل مَن أراد الحياة والنجاة من الموت:

"ولكن قبلما جاء الإيمان كنَّا محروسين تحت الناموس، مُغلقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن . إذاً قد كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح، لكي نتبرَّر بالإيمان ... لأن كلَّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (غل 3: 23،24،27)؛

"لأن غاية الناموس هي : المسيح للبرِّ لكل مَن يؤمن " (رو 10: 4).فالناموس أدَّى دوره وتوارى مُمهِّداً الطريق لناموس المسيح الكامل

(غل 6: 2).

(3) في "حياة الخلاص"، الإيمان يعمل

كما رأينا، فإن موقف القديس بولس من أعمال الناموس لم يكن موقفه وحده، وإنما كان موقف الكنيسة كلها وأعمدتها بمَن فيهم القديس يعقوب نفسه (كاتب رسالة يعقو ب) الذي رأس مجمع أورشليم (أع 15). **فبأعمال الناموس "لا يتبرر جسد ما "** (رو 3: 20؛ غل 2: 16)، **ولا فضل لليهودي على أممي، فالله ليس لليهود فقط** (رو 3: 29)، **وليس عنده محاباة** (رو 2: 11). كما أن الخاطئ الأممي الذي لم يعرف الرب بعد هو كالشجرة الجافة فلا ثمر هناك أو بر ليتقدَّم به، **فالنعمة هي "المُخلِّصة لجميع الناس"** (تي 2: 11).

ولكن القديس بولس - كسائر رسل المسيح المُنادين بإنجيل الخلاص - يُعلِّمون كسيِّدهم أن يكون للمؤمنين، الذين نالوا الخلاص وذاقوا الموهبة السمائية؛ ثمرهم للقداسة (مت 13: 23؛ مر 4: 20؛ لو 8: 15؛ رو 6: 22).

وإذا لم يكن للأعمال الصالحة من موضع قبل الولوج من باب الخلاص الذي ننالهِ فقط بعمل نعمة الله الغنية المجانية، فإنه ما أن تقبل النفس المسيحَ ويبدأ المؤمنون بالمعمودية "حياة الخلاص" ك "خليقة جديدة" (2كو 5: 17؛ غل 6: 15)؛ فمن الطبيعي أن تظهر منهم "ثمار الروح"، علامات هذه الحياة، **كراجعين "من ظلمات إلى نور"** (أع 26: 18)، **صائرين "أبناء النور"** (1تس 5: 5)؛ **و"كأنوار في العالم"** (في 2: 15) يُلبُّون صوت سيدهم الذي أوصاهم **"فليُضئ نوركم هكذا قدَّام الناس**، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويُمجِّدوا أباكم الذي في السموات " (مت 5: 14،16).

فأعمال المؤمن، هي الشهادة أن الحياة الجديدة تنبض وتتحرك وتتسع وتمتد إلى آفاق أعلى مع كل يوم، وكل اختبار ومحنة، وكل نمو في النعمة وفي الإيمان والمحبة ومعرفة الله (كو 1: 10؛ 1تس 3: 12؛ 2تس 1: 3).

والقديس بولس، الذي ينفي أعمال الناموس وأعمال ال بر الذاتي قبل معرفة المسيح والإيمان به (لأن هذا ينتقص من عمل النعمة الكافية بذاتها)، هو نفسه القديس بولس الذي تحفل رسائله بإلزام المؤمنين بالشهادة لصدق إيمانهم بكل عمل صالح وخضوع إرادتهم

لقيادة الروح بالتوبة والجهاد ومقاومة الشر، واحتمال الآلام من أجل المسيح، والحث على السهر والحذر كل الحياة، والتطلُّع إلى الوطن السماوي (مما سنورده فيما بعد).

فالإيمان[4] عند القديس بولس هو الإيمان بدون أعمال الناموس للدخول إلى خلاص المسيح. وبالسير في طريق الخلاص يصير الإيمان بفعل الروح عاملاً بالمحبة وتُعلِن عنه ثماره، ا لتي لم تَعُد هي أعمال الناموس أو البر الذاتي؛ وإنما **أعمال الإيمان بالمسيح** (1تس 1: 3) التي هي إفراز الحياة الجديدة والتزاماتها.

القديس بولس هو رسول **"الإيمان العامل بالمحبة"** (غل 5: 6)، وليس عدو الأعمال (على إطلاقها) كما يدَّعي البعض. وهو يقصد ما يقول، لأن اقتران الإيمان بالمحبة يضمن ألاَّ يصير الإيمان آلياً جامداً جافاً، أو ينحدر إلى التعصُّب ورفض الآخر وكراهيته، كما كان"شاول" قبل أن تدركه محبة المسيح ونعمته، وكما يفعل المتطرِّفون في أيامنا هذه **"وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكي ليس لي محبة، فلستُشيئاً"** (1كو 13: 2). **فالمحبة هي تكميل الناموس** (رو 13: 10)، **وهي التي تبقى بعد الإيمان والرجاء، ولن تسقط أبداً**(1كو 13: 8).

(4) القديس بولس وأعمال الإيمان

قبل أن نسوق نماذج من توجيهات القديس بولس في رسائله للمؤمنين، لممارسة حياة مسيحية نشطة تحفل بالعبادة والأعمال الحسنة والجهاد ورفض الخطية، نورد الملاحظات التالية:

+ إن القديس بولس يختم رسالته إلى رومية - التي أكَّد فيها على أن

---

(4) الإيمان الحقيقي كما يقولون ليس اسماً بل فعل Action Verb [وبنفس القياس، فالمحبة يجب أن تكون عاملة وعم لية: **"يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق»** (1يو 3: 18)]. وهذا ينطبق أيضاً حتى عند بدء الخلاص. فالإيمان هنا - الذي يوصف بأنه بغير أعمال الناموس - لم يكن رغم ذلك ساكناً سلبياً passive، وإنما نشطاً فاعلاً (بعمل النعمة) في تسليمه الكامل وثقته وطاعته لمخلِّصه حتى ليشبه توجُّه مَن يُلقي بنفسه في الماء، وهو لا يعرف السباحة، واثقاً أن هناك مَن سيلتقطه ويعبر به الأمواج [محمولاً على الأذرع الأبدية (تث 33: 27)، أو على أجنحة النسور (خر 19: 4) كما يقول الرب].

بدء الخلاص (التبرير) هو بالنعمة وحدها مع الإيمان بدون أعمال الناموس - بأصحاحات أربعة (12-15) عن سلوك المؤمنين، الذين اختبروا الخلاص، كما يحق لإنجيل المسيح.

+ وفي أصحاح واحد من رسالته إلى فيلبِّي يكتب القديس بولس عن مراحل الخلاص الثلاث، فيشير في الجزء الأول إلى **التبرير** بدون أعمال الناموس مُقدِّماً نفسه نموذجاً لمَن توفرت فيه كل صفات اليهودي الملتزم وأعماله، وكيف تخلَّى عن كل ميراثه ال ناموسي لكي يربح المسيح (في 3: 4-11)، وأن هذا لم يَعْنِ بالنسبة له نهاية المطاف بل بدايته والسير في طريق الخلاص بخوف ورعدة، ساعياً "... نحو الغرض، لأجل جعالة دعوة الله العُليا في المسيح يسوع " (في 3: 12-14) **(التقديس).**وفي الختام يوجِّه القلوب إلى الخلاص الأخ ير **(التمجيد): "فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها ننتظر مخلِّصاً هو الرب يسوع، الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده"** (في 3: 20،21).

+ بل إنه في آية واحدة (رو 6: 22) يتكلَّم عن كل مراحل الخلاص: "وأما الآن إذ أُعْتِقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله **(التبرير)**، فلكم ثمركم للقداسة **(التقديس)**، والنهاية حياة أبدية **(التمجيد)".**

+ وفي الأصحاح الثاني الشهير من رسالته إلى أفسس، بعد أن يتكلَّم القديس بولس عن الخلاص بالنعمة بدون أعمال الناموس (2: 1-9)، ينتقل مباشرة إلى الحديث عن أعمال الإيمان التابعة فيق ول إننا: "... **مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة"** (أف 2: 10).

+ وفي الفضائل الثلاث الشهيرة : الإيمان والرجاء والمحبة، يَقرن القديس بولس كُلاً منها (وليس الإيمان وحده) بما يكشف فاعليتها وديناميتها. فهو يكتب لمؤمني تسالونيكي : "متذكرين بلا انقطاع **عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح** " (1تس 1: 3)؛ فالعمل قرين الإيمان، والتعب قرين المحبة (عب 10:6)، والصبر قرين الرجاء .

+ على أن القديس بولس في حثِّه المؤمنين على الالتزام بحياة القداسة وكل ما تتضمنه، يؤكِّد في نفس الوقت على دور النعمة الإلهية في كل نواحي حياة الإيمان، عملاً وخدمةً وعبادةً وجهاداً وتوبةً واحتمالاً للتجارب، بحيث يتوارى الشعور بالذات ويسود عمل الروح القدس في النفس.

فالنعمة التي بدأت الخلاص هي التي تُكمِل حياة الخلاص إلى النهاية، وكل أعمال الحياة الجديدة هي بالتالي هبة النعمة وتدبير الله وثمر الروح القدس، حتى ليصبح نسبتها إلى الذات تجاوزاً للحق الإلهي واختلاساً لمجد الله.

وعلى خُطى السيِّد الذي قال : **"بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً "** (يو 15: 5)، **"لأنكم لستم أنتم المتكلّمين بل روح أبيكم الذي يتكلَّم فيكم"** (مت 10: 20)، **"غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله"** (لو 18: 27)، **"متى فعلتم كل ما أمرتم به، فقولوا إننا عبيد بطَّالون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا "** (لو 17: 10)؛ هكذا يكتب معلّمنا القديس بولس في هذا المجال:

"لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها" (أف 2: 10)؛

"تمِّموا خلاصكم بخوف ورعدة، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرَّة" (في 2: 12،13)؛

"وإله السلام ليُكمِّلكم في كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته، عاملاً فيكم ما يُرضي أمامه بيسوع المسيح" (عب 13: 21)؛

"وربنا نفسه يسوع المسيح والله أبونا ... يُعزِّي قلوبكم ويثبِّتكم في كل كلام وعمل صالح" (2تي 2: 16،17)؛

"واثقاً بهذا عينه أن الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً، يُكمِّل إلى يوم (مجيء) **يسوع المسيح"** (في 1: 6)؛

"فإننا نحن عاملان مع الله، وأنتم فلاحة الله، بناء الله " (1كو 3: 9)؛

"وكل ما عملتم بقول أو فعل، فاعملوا الكل باسم الرب يسوع، شاكرين الله والآب به" (كو 3: 17)؛

"لأننا لسنا نعلم ما نُصلّي لأجله كما ينبغي، **ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنَّات لا يُنطق بها"** (رو 8: 26)؛

"لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُ عطى لنا" (رو 5: 5)؛

"وأما **ثمر الروح** ، فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح

إيمان وداعة تعفُّف" (غل 5: 22،23)؛

"ليس الغارس شيئاً ولا الساقي، بل **الله الذي يُنْمِي**" (1كو 3: 7)؛

"فقال لي: تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكْمَل... لأني حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي" (2كو 12: 9،10)؛

"البسوا **سلاح الله الكامل** لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس ... فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم **بالحق**، ولابسين **درع البر**، وحاذين أرجلكم باستعداد **إنجيل السلام**، حاملين فوق الكل **ترس الإيمان** الذي به تقدرون أن تُطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. **وخذوا خوذة الخلاص، وسيف الروح الذي هو كلمة الله**" (أف 6: 11، 14-17)؛

"فتقوَّ أنت يا ابني **بالنعمة التي في المسيح يسوع**" (2تي 2: 1)

(أ) "أعمال الإيمان" شهادة والتزام وتتميم لإنجيل المسيح

و"**المعلِّم**" سبق وبيَّن أن للحياة الجديدة علاماتها والتزاماتها فقال: "**من ثمارهم تعرفونهم**" (مت 7: 16)، و"**إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي**" (يو 14: 15)؛ وها هو إناؤه المختار يوصي المؤمنين أن يعيشوا بحسب الإنجيل الذي قبلوه، مُكثرين في عمل الرب:

"عيشوا كما يحـق **لإنجيـل المسيح**" (في 1: 27)؛

"احملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا تمِّموا **ناموس المسيح**" (غل 6: 2)؛

"كونوا راسخين غير متزعزعين، **مكثرين في عمل الرب كل حين**، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب" (1كو 15: 58)؛

"مُقدِّماً نفسك **قدوة للأعمال الحسنة**" (تي 2: 7)؛

"ولنُلاحظ بعضنا بعضاً **للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة**" (عب 10: 24)؛

"... لكي يهتم الذين آمنوا بالله **أن يُمارسوا أعمالاً حسنة**، فإن هذه الأمور هي الحسنة والنافعة للناس" (تي 3: 8)؛

"... أَوصِ الأغنياء **أن يصنعوا صلاحاً**، وأن يكونوا **أغنياء في أعمال صالحة** " (1تي 6: 17،18)؛

"لتسلكوا كما يحق للرب في كل رضىً، **مثمرين في كل عمل صالح**، ونامين في معرفة الله" (كو 1: 10)؛

"فكما قبلتم المسيح يسوع الرب، **اسلكوا فيه**" (كو 2: 6)

(ب) توجيهات في حياة القداسة

+ عندما قال الرب لشعبه: "لا تُدنِّسوا أنفسكم ولا تتنجَّسوا ... **فتتقدَّسون وتكونون قديسين لأني أنا قدوس** " (لا 11: 44،45؛ 20: 7،26)، بدا أن التقديس يعني أن يصير المؤمن لله، مُخصَّصاً له ومُكرَّساً، وليس لإبليس والعالم والخطية والجسد. ولأن الإيمان يعني الانحياز لله وحده، فكل مؤمن – بغير تجاوز – هو قديس: "سلِّموا على **كل قديس** في المسيح يسوع ... يُسلِّم عليكم **جميع القديسين**" (في 4: 21،22)، والقديس بولس يفتتح رسائله إلى الكنائس بتوجيهها إلى **القديسين** أعضاء الكنيسة (رو 1: 7؛ 1كو 1: 2؛ 2كو 1: 1؛ أف 1: 4؛ في 1: 1؛ كو 1: 2). ثم امتدَّ معنى القداسة من التكريس لله ليشمل الالتزام بوصايا الله وألوان العبادة والالتزام الروحي وكل أعمال المحبة كما تعرضها الوصايا التالية:

"لأن هذه هي إرادة الله : قداستكم" (1تس 4: 3)؛

"اتبعوا السلام مع الجميع **والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب** " (عب 12: 14)؛

"فأطلب... **أن تُقدِّموا أجسادكم ذبيحة حيَّة مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية ... المحبة فلتكن بلا رياء ... غير متكاسلين في الاجتهاد. حارين في الروح. عابدين الرب. فرحين في الرجاء. صابرين في الضيق. مواظبين على الصلاة. مشتركين في احتياجات القديسين. عاكفين على إضافة الغرباء. باركوا على الذين يضطهدونكم ... إن كان ممكناً، فحسب طاقتكم سالموا جميع**

الناس... فإن جاع عدوك فأطعمه، وإن ع طش فاسْقِهِ... لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلاَّ بأن يحب بعضكم بعضاً " (رو 12: 1،9، 11-14، 18،20؛ 13: 8)؛

"واظبوا على الصلاة، ساهريـــن فيها بالشكر ... ليكن كلامكم كل حين بنعمة مُصْلَحاً بملح، لتعلموا كيف يجب أن تُجاوبوا كل واحد " (كو 4: 2،6)؛

"محتملين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً ... كما غفر لكم المسيح... و... البسوا المحبة التي هي رباط الكمال ... وكونوا شاكرين ... لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى، وأنتم بكل حكمة مُعلِّمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية بنعمة، مترنِّمين في قلوبكم للرب " (كو 3: 12-16)؛

"اهتموا بما فوق، لا بما على الأرض " (كو 3: 2)؛

"فانظروا كيف **تسلكون بالتدقيق،** لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت، لأن الأيام شريرة " (أف 5: 15،16)؛

"اسهروا... اثبتوا في الإيمان " (1كو 16: 13)؛

+ إضافة إلى وصاياه العامة في الحثِّ على أعمال الإيمان، اهتم القديس بولس بتقديم وصايا خاصة بكل فئة من فئات المجتمع المسيحي من أجل حياة أفضل للجميع فكتب للرجال والنساء (1تي 2: 8-10)، والزوجين (1كو 7: 3-5؛ أف 5: 22-25، 33؛ كو 3: 18،19؛ 1تس 4: 5؛ عب 13: 4)، والوالدين (1تي 2: 15؛ 5: 8)، والأولاد (أف 6: 1-4؛ كو 3: 20،21؛ 1تي 5: 4)، والشباب (تي 2: 6)، والشيوخ والعجائز (تي 2: 2-4)، والأرامل (1تي 5: 10). كما أفرد جانباً كبيراً من رسالته الأولى للقديس تيموثاوس ورسالته إلى تيطس، موجِّهاً خطابه إلى الأسقف والكهنة والشمامسة وحتى زوجات الخدَّام.

(ج) حياة الإيمان ترفض الشر

ولأن القديس بولس يعلم أن المؤمن لن يصير معصوماً وعليه، إذاً، أن يُجاهد بمعونة النعمة كي يغلب الشر والتجارب وميول جسده وحروب إبليس الذي لن يكفَّ عن قتاله. من هنا فهو يحضُّ المؤمنين على عدم النكوص إلى الوراء أو الاستجابة للأهواء، بل أن يهربوا من الشر مقاومين حتى الدم، متذكرين دعوة الرب للدخول من الباب الضيِّق المؤدِّي إلى الحياة (مت 7: 13،14)، وكلماته أنَّ **"ملكوت الله يُغصَب، والغاصبون يختطفونه"** (مت 11: 12). بل هو يكتب (حتى إلى الأسقف الشاب تيموثاوس) مُحذِّراً: **"وأما الشهوات الشبابية فاهرب منها، واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام"** (2تي 2: 2)، ومُشدِّداً على الانتباه والسهر وضبط النفس والجهاد ضد الخطية:

"إذاً مَن يظن أنه قائمٌ، فلينظر أن لا يسقط" (1كو 10: 12)؛

"فلا نَنَم إذاً كالباقين، بل لنسهر ونَصْحُ" (1تس 5: 6)؛

"فإن مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحم، بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويَّات " (أف 6: 12)؛

"كل مَن يجاهد يضبط نفسه في كل شيء ... أَقمع جسدي وأستعبده" (1كو 9: 25،27)؛

"**وأيضاً إن كان أحد يُجاهد لا يُكلَّل إن لم يُجاهد قانونياً** (أي جهاداً حقيقياً متواصلاً، لا شكلياً مؤقتاً)" (2تي 2: 5)؛

"اسلكوا بالروح فلا تُكمِّلوا شهوة الجسد ... ولكن الذين هم في المسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل 5: 16،24)؛

"**لا تُحزنوا روح الله القدوس** الذي به خُتمتم ليوم الفداء" (أف 4: 29)؛

"**فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور . لنسلك بلياقة كما في النهار... البسوا الرب يسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات** " (رو 13: 12،14)؛

"**كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ... إذاً لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكي تُطيعوها في شهواته، ولا تُقدِّموا أعضاءكم آلات إثم للخطية**" (رو 6: 11-13)؛

"**كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير ... لا يغلبنَّك الشر، بل اغلب الشر بالخير**" (رو 12: 9،21)؛

"**لنُطهِّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح،** مُكمِّلين القداسة في خوف الله" (2كو 7: 1)؛

"**لم تُقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية**" (عب 12: 4)؛

"**جاهد جهاد الإيمان الحسن،** وأمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت أيضاً " (1تي 6: 12)؛

"**محبة المال أصل لكل الشرور**" (1تي 6: 10)؛

"**ليتجنَّب الإثم كل من يُسمِّي اسم المسيح .. فإن طهَّر أحد نفسه من هذه** (آنية الهوان) **يكون إناءً للكرامة مُقدَّساً نافعاً للسيِّد مستعدّاً لكل عمل صالح** " (2تي 2: 19،21)؛

"**مَن يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً،** ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياةً أبدية" (غل 6: 8)؛

"**لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلَّموا بالصدق كل واحد مع قريبه ... لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم**" (أف 4: 25،29)؛

"**وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسمَّ بينكم كما يليق بقديسين، ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق ... ولا تشتركوا في أعمال الظلمة**

غير المثمرة، بل بالحري وبِّخوها... ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلئوا بالروح" (أف 5: 3،4،11،18)؛

"ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح. **أفآخُذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية، حاشا"** (1كو 6: 15)؛

"فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الردية، الطمع... إذ خلعتم الإنسان العتيق، ولبستم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو 3: 5،10،9)؛

"لا تُخالطوا الزناة... اهربوا من الزنا" (1كو 5: 9؛ 6: 18)

(د) الأعمال تشهد على الإيمان في اليوم الأخير

+ كما أعلن الرب أيام جسده أنه في مجيئه في مجد أبيه: **"حينئذ يُجازي كل واحد حسب عمله"** (مت 16: 27)، **"فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة"** (يو 5: 27). وفي رؤياه للقديس يوحنا يقول الرب: **"ها أنا آتي سريعاً وأُجرتي معي، لأُجازي كل واحد كما يكون عمله"** (رؤ 22: 12)، وفي الرؤيا أيضاً أن السماء تُطوِّب الأموات الذين يموتون في الرب: **"لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم** (أو تصحبهم وتشهد لإيمانهم)" (رؤ 14: 13)، وأن الأموات سيُدانون حسبما **هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم** (رؤ 20: 12)؛ هكذا يكتب القديس بولس للمؤمنين:

"فإنَّ كل واحد سيُعطي عن نفسه حساباً لله" (رو 14: 12)؛

"فعمل كل واحد سيصير ظاهراً" (1كو 3: 13)؛

"لأنه لابد أننا جميعاً نُظهَر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع، خيراً كان أم شرّاً" (2كو 5: 10)؛

"(الله) **الذي سيُجازي كل واحد حسب أعماله... أما الذين بصبرٍ في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء، فبالحياة الأبدية... مجد وكرامة وسلام لكل مَن يفعل الصلاح**" (رو 2: 6،7،10)

في النهاية، إذاً، سيُقدِّم كل واحد حساباً أمام كرسي الله لينال بحسب ما صنع، خيراً كان أم شرّاً، وستكون الحياة الأبدية نصيب الذين واصلوا العمل الصالح، صابرين ينشدون المجد والكرامة والبقاء (عدم الموت Immortality) والسلام (نهاية الحرب الروحية والتجارب والآلام).

+ ورغم أن نصوص الآيات السابقة لا تذكر غير الأعمال في اليوم الأخير كمعيار للمجازاة، لكن هذا لا يعني أن النعمة والإيمان التي بدأ بهما الخلاص ورافقا المؤمنين كل "**مسيرة الخلاص**" [5]، لن يكونا هناك في "**الخلاص الأخير**". فالحقيقة أن **النعمة** التي بدأ بها الخلاص، والتي عملت في المؤمن وساندت إيمانه ويقينه وهو يواصل "**حياة الخلاص**"، ووهبته أن يعمل عمل الرب (الذي سبق فأعدَّه له لكي يسلك فيه، وكان هو العامل فيه أن يريد وأن يعمل)؛ هي تتـزكّى جداً عند "**تمام الخلاص**" أو "الخلاص الأخير"، عندما يجيء الرب لتمجيد الذين ينتظرونه، ويُتمِّم نعمته على قديسيه بإكليل الحياة الأبدية: "**وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديَّان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً**" (2تي 4: 8).

فالمؤمن يبدأ الخلاص "**بالمسيح**"، ويواصل كل الحياة "**في المسيح**"، ويبلغ مداه في الأبدية "**مع المسيح**". والكل هنا يستوي، فلا فضل لأحد أو استحقاق، وإنما هي فقط نعمة الله المجانية لمَن يقبل ويؤمن. وأصحاب الساعة الحادية عشرة (في المَثَل

---

(5) والقديس بطرس يُسجِّل نصاً، ارتباط الإيمان بالخلاص الأخير: "**أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمانٍ لخلاصٍ مستعدٌّ أن يُعلن في الزمان الأخير**" (1بط 1: 5).

الشهير) نالوا نفس الأُجرة مثلهم مثل مَن بدأ أول النهار (مت 20: 9،10)، فالدينار الواحد هو الحياة الأبدية التي هي عطية مجانية من الله الغني لِمَن يؤمن.

ولأن الأعمال هي **"أعمال الإيمان"**، أي ثماره الطبيعية التي لا تنفصل عنه وهي صداه الشاهد على صدقه وحيويته وقامته؛ فتقييم الأعمال من أجل المجازاة هو في حقيقته تقييم للإيمان والمجازاة بحسبه. ذلك لأن الأعمال التي ستُقيَّم هي وحدها **"أعمال الإيمان"**، والأعمال التي ليست من الإيمان بيسوع (رو 14: 23) لن تأتي إلى الملكوت ولن يتمجَّد أصحابها. إنها أعمال ميتة (عب 6: 1؛ 9: 14)، لأنها لا تنتسب للرب وليست لحسابه ومجده[6].

فالإيمان هو الأصل والأعمال هي الفرع، والإيمان هو الروح والأعمال هي مظاهر الحياة والوسيلة الظاهرة للحُكْم على الإيمان القوة المُحرِّكة لها، ولأنها بادية للكل فبها تتحقَّق الشهادة بعدل الله ويستد كل فم يشتكي على الله الذي **"يدين المسكونة بالعدل"** (أع 17: 31).

ثالثاً: الإيمان والأعمال في رسالة القديس يعقوب

ثم نأتي إلى ما كتبه القديس يعقوب[7] في رسالته عن الإيمان والأعمال.

---

(6) حتى وإن كافأ الله أصحابها بصورة ما إن كانوا بلا لوم (بحسب ناموسهم) (أع 35:10، رو 14:2) فإن نصيبهم لن يكون مع المخلَّصين الذين يرثون الملكوت **"الذي لا يؤمن بالابن لن يري حياة "** (يو 36:3).

(7) القديس يعقوب هو يعقوب بن حلفى أو يعقوب الصغير (مر 15: 40) أحد الاثني عشر (مت 10:3؛ مر 3: 18؛ لو 6: 15)، وأخو يهوذا (يه 1: 1) (أو لبَّاوس الملقَّب تدَّواس –مت 10: 3؛ مر 3: 18)، أيضاً أحد الاثني عشر (لو 6:16)، ويوسي وسمعان (مت 13:55) [وهم أولاد مريم– زوجة كلوبا أو حلفي– شقيقة العذراء (مت 27:56، مر 15: 40، لو 24:10، يو 19:25)]. ومن هنا فقد دُعِيَ أخا الرب (مت 13: 55؛ مر 6: 3؛ 15: 41؛ غل 1: 19) مثله مثل يهوذا أخيه (مت 3: 55؛ مر 6: 3)، كالمتبع عند اليهود باعتبارهم في خالة الرب بالجسد وقد ظهر له الرب ظهوراً خاصاً بعد قيامته (1كو 15: 7). وبعد استشهاد القديس يعقوب ابن زبدي (أع 12: 2) صار القديس

ورسالة القديس يعقوب هي ضمن الرسائل العامة (الكاثوليكون) أي الموجَّهة إلى الكنيسة الجامعة في كـــل مكان، وليس إلى كنيسة بعينها، مثلها مثل رسالتي القديس بطرس ورسائل القديس يوحنا الثلاث ورسالة القديس يهوذا أخ ـــي القديس يعقوب.

وقد كتب القديس يعقوب رسالته من أورشليم. والبعض يعتبرها أول ما كُتِبَ من العهد الجديد (ربما سنة 49م) بعد استشهاد القديس استفانوس مباشرة وانتشار اليهود الذين آمنوا خارج أورشليم تحت وطأة الاضطهاد من إخوتهم وقبل انعقاد مجمع أورشليم (سنة 50م) وقبل أن يكتب القديس بولس رسالتيه إلى غلاطية ورومية (سنتا 49، 57م على الترتيب).

ويرى آخرون مع هذا أن القديس يعقوب كتب رسالته حوالي سنة 60م (أو قبلها بقليل) بعد أن كتب القديس بولس رسالته إلى رومية (وقبلها رسالته إلى غلاطية)، وأن القديس يعقوب فيما عرضه في رسالته لعلاقة الأعمال بالإيمان، يراه البعض مُخالفاً لِمَا أورده القديس بولس.

ولكن يمكن القول – كما سيتضح فيما بعد – إن ما كتبه القديس يعقوب في هذا الصدد يأتي في سياق سلوكي تعليمي وليس جدلياً فكرياً كما في رسالتي القديس بولس إلى غلاطية ورومية. كما أن ما جاء في رسالة القديس يعقوب في مجال الإيمان والأعمال يتكامل ولا يتعارض مع ما جاء في رسالتي القديس بولس المذكورتين وغيرهما، خاصة أن "**الأعمال**" التي يستبعدها القديس بولس غير "**الأعمال** " التي يؤكِّد القديس يعقوب على أهمية دورها، والتي يشترك معه القديس بولس في الحثِّ

يعقـــوب أول المتقدِّمـــين الثلاثـــة في الكنيســـة الأولى المعتبرين أعمدةيعقوب وصفا ويوحنا (غل 2: 9) ورئيس المجمع الأول(أع15: 13–21) كأول أسقف لأورشليم التي لم يُغادرها حتى استشهاده سنة62م، إذ ألقاه اليهود من فوق جناح الهيكل، ثم هشَّموا رأسه بعد ارتطامه بالأرض

عليها وفي حتمية اقترانها بالإيمان الحقيقي، ثماراً طبيعية لسُكنى الروح القدس في النفس المؤمنة.

الأصحاح الثاني من رسالة القديس يعقوب

والحديث عن الإيمان والأعمال في رسالة القديس يعقوب القصيرة (التي تتكوَّن من خمسة أصحاحات فقط) لم يستغرق إلاَّ جزءاً من الأصحاح الثاني (يع 2: 14-26)، وجاء في سياق انتقاده لبعض السلوكيات السلبية في الكنيسة، وتوبيخه للمنحرفين الذين لم يتحرروا بعد من ميراث حياة الجسد التي عاشوها قبلاً (مهاجماً أخطاء اللسان، الغيرة والتحزُّب، شهوة الجسد، محبة المال والاستغلال) وحاثّاً على التوبة ومخافة الله.

وهو بَدَأَ الأصحاح الثاني هكذا: "**يا إخوتي، لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح رب المجد في المحاباة**" (يع 2: 1)، وقد هاله أن البعض (ربما كان بينهم قادة الكنيسة) يُميِّزون بين أعضاء الكنيسة أثناء الخدمة، فيُحابون الأغنياء ويُكرِّمونهم ويحتقرون الفقراء ويهينونهم، ويُنكرون بذلك الإيمان: "**إن كنتم تُحابون تفعلون خطية موبَّخين من الناموس كمتعدِّين. لأن مَن حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة، فقد صار مُجرماً في الكل...**" (يع 2: 9،10).

من هنا تطرَّق القديس يعقوب إلى ارتباط الإيمان (بالمسيح) بالأعمال التي تشهد له: "**أرني إيمانك بدون أعمالك، وأنا أُريك بأعمالي إيماني**" (يع 2: 18). فالإيمان لا يتفق والخطية، كما أن هناك فرقاً بين إيمان الكلام وإيمان العمل. فالأول لا جدوى منه (مثل محبة الكلام واللسان - 1يو 3: 18): "**ما المنفعة، يا إخوتي، إن قال أحدٌ أن له إيماناً ولكن ليس له أعمال**"[8]. **هل يقدر الإيمان** (البارد، الشكلي، الاسمي، الفاقد الفاعلية والحيوية) **أن يُخلِّصه**" (يع 2: 14). وأيَّة خدمة مسيحية هذه إذا قيل لعريانين مُعتازين: "**امضيا بسلام، استدفئا واشبعا**" دون أن تعطوهما بالفعل حاجة الجسد (يع 2: 15،16). هذه خدمة

وهمية لا علاقة لها **بإيمان: "ربنا يسوع المسيح "** (يع 2: 1)، والكلام المُنمَّق وحده لن يسدَّ أعواز أحد [9].

فالإيمان ليس هو مجرد كلام الشفاه ولا يكتفي بالاعتقاد والمعرفة أو يعني الانتماء الشكلي، فحتى "الشياطين يؤمنون ويقشعرون" (يع 2: 19)، ولكنهم رغم هذا الإقرار لا يزالون شياطين منذ سقوطهم، ولا رجاء في توبتهم وعودتهم ولا أمل. نعم، **"إن الإيمان بدون أعمال ميت"** (يع 2: 20،26)[10].

وهذا صحيح، فالإيمان السلبي الساكن الذي لا يُترجم إلى عبادة ومحبة واستجابة وفعل خير وخدمة ورفض للخطية وجهاد وتوبة وحمل للصليب ومناداة بالخلاص، لا يستحق اسمه، هو لا شيء، ميت، صفر؛ مثله مثل أعمال العبادة الشكلية التي هدفها إرضاء الذات والناس **فالإيمان الحقيقي الجدير بهذا الاسم هو الإيمان العامل**(غل 5: 6)، **والأعمال الحقيقية الجديرة بهذا الاسم هي أعمال الإيمان وثماره**(1تس 1: 3).

وفي مَثَل الابنين الذي ساقه الرب (مت 21: 28-32)، فالابن الذي تعهَّد بالعمل في كرم أبيه ولكنه لم يمضِ، لم يأخذ شيئاً لأنه لم يُحقِّق إرادة أبيه . أما الابن الذي تقاعس في البداية ورفض العمل ثم ندم أخيراً ومضى، قَبِله أبوه . فالأمر ليس مجرد النوايا والتعهُّدات الكلامية مهما بولغ فيها، وإنما التنفيذ والعمل الفعلي هو الجدير حقاً بالتقدير والمكافأة.

---

(8) القديس يعقوب لا يقصد هنا بالطبع "أعمال الناموس" التي انتهي مجمع أورشليم الذي كان يرأسه إيلي عدم جدواه، لليهودي أو الأممي، لاقتبال الخلاص (أع15: 19،20) والتي سقطت مع ما تداعي من رموز العهد القديم، وإنما يقصد الإيمان الحي . والقديس يعقوب يستخدم تعبير "الناموس الكامل ناموس الحرية" (يع 1: 25)، و"الناموس الملوكي"(يع 2: 8) مقابل ناموس العهد القديم.

(9) وهو ذكر في الأصحاح السابق أنه لا يكفي سماع الكلمة، وإنما أيضاً العمل بها وإلاَّ فسوف تُنسَى مع الوقت. بالضبط، كمَن ينظر صورة وجهه في مرآة، ولكن بمجرد أن يتحرك من أمامها تختفي صورته (يع 1: 22-24).

(10) في تعاليم المسيح نماذج كثيرة لهذا المنطق الذي يحث على التعلُّق بالجوهر : **"م اذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه"** (مت 16: 26؛ مر 8: 36؛ لو 9: 25)؛ **"اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية "** (يو 6: 27)؛ **"الروح هو الذي يُحيي، أما الجسد فلا يفيد شيئاً "** (يو 6: 63)؛ **"ليس كل مَن يقول : يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل مَن يفعل إرادة أبي الذي في السموات"** (مت 7: 21).

والقديس يعقوب في تدليله على ضرورة أن يكون الإيمان عملياً، استخدم مثالين من العهد القديم، هما : أبونا **إبراهيم**، و **راحاب** الزانية. فيقول عن **الأول** إنه أكمل الإيمان بالأعمال (يع 2: 22): "**إذ قدَّم إسحق ابنه على المذبح**" حسب أمر الله "**وتمَّ الكتاب القائل: فآمن إبراهيم بالله فحُسِبَ له برّا** [11]"، ودُعِيَ خليل الله" (يع 2: 23،21).

ويقول عن **راحاب** إنها رغم حياتها الدنسة السابقة(يش 2: 1)، أعلنت إيمانها بالله، وقد برهنت عليه بأن"**قَبِلَت الرسل وأخرجتهم في طريق آخر**"(يع 2: 25) [12].

وهو يختم هذا الأصحاح بالقول: "**تَرَون إذاً أنه بالأعمال (أيضاً) يتبرر الإنسان، لا بالإيمان وحده** (بدون أعمال)" (أي يتبرر الإنسان بالإيمان الحقيقي الذي تُبرهن عليه أعماله)، "لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت، هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت" (يع 2: 26،24). فالأعمال هي روح الإيمان الحي كما أن الإيمان هو روح

---

(11) في الحقيقة أن الكتاب سجَّل هذه الآية "**فآمن إبراهيم بالرب، فحسبه له برّا**"(تك 15: 6)، لأن إبراهيم صدَّق وعد الله له أن يصير نسله كنجوم السماء، ليس من لعازر الدمشقي، بل من ابن من صُلبه رغم شيخوخته وامرأته سارة(تك 17: 17؛ 18: 12؛ رو 4: 19-22)، وذلك قبل سنوات كثيرة من تقديم إسحق على المذبح طاعة لأمر الله(تك 22: 1،2). والمقصود هنا أن إيمان إبراهيم الذي حُسِبَ له برّاً لم يكن إيماناً بالكلام(ولو لم يكن له عمل ظاهر)، وإنما إيماناً حقيقياً برهن عليه عملياً فيما بعدَ بتقديم إسحق –ابن الموعد –ذبيحة (تك 22: 3-14) دون تساؤل أو اعتراض رغم أن ذلك يتناقض بصورةٍ ما مع وعد الله القديم أن يأتي النسل الكثير من إسحق (تك 17: 19)، إذ كيف يتحقق الوعد مع موت مَن سيتحقق به الوعد؟ ولكن إبراهيم مع هذا أطاع و لم يُراجِع. وإذ عَبَرَ التجربة وتزكَّى إيمانه من جديد، أكَّد له الرب من جديد قسمه القديم (تك 22: 15-18).

(12) ولكن راحاب أكَّدت إيمانها بالله بقولها للجاسوسين بعد أن أخفتهما عن أعين الجنود"علمتُ أن الرب قد أعطاكم الأرض، وأن رُعبكم قد وقع علينا، وأن جميع سكان الأرض ذابوا من أجلكم،**لأننا قد سمعنا كيف يبَّس الرب مياه بحر سوف** (البحر الأحمر) **قدَّامكم عند خروجكم من مصر، وما عملتموه بملكَي الأموريين اللذيـــن في عَبْر الأردن لسيحون وعوج، اللذين حرَّمتموهما**" سمعنا فذابت قلوبنا و لم تبقَ بعد روحٌ في إنسانٍ بسببكم،لأن الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت" (يش 2: 9-11). ثم أطلقت الجاسوسين من كوَّة في السور وأرشدتهما إلى طريق آمِن بإيمانها نجت هي وعائلتها من الموت عند دخول بني إسرائيل أريحـــا التي احترقت كلها بالنار"**واستحيا يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكـــل ما لهـــا، وسكنت في وسط إســـرائيل إلى هـــذا اليوم، لأنها خبَّأت المُرسلَيْن اللذين أرسلهما يشوع لكي يتجسَّسا أريحا**" (يش 6: 25). وقد كرَّم الله راحاب بأن صارت في سلسلة الأنساب التي أدَّت إلى "**ميلاد يسوع المسيح ابن داود**" (مت 1: 1). فهي ولدت بوعز جدَّ يسَّى أبا داود النبي والملك (مت 1: 5،6).

الأعمال الأمينة المقبولة في نظر الله، وبانفصال الإيمان عن الأعمال أو العكس يموت كلاهما.

وهو إذا كان ينفي أن الإنسان يتبرر بواسطة إيمان شكلي مجرد من الفاعلية، فهو في ذات الوقت لا يمكن أن يقصد أنه يتبرر بأعمال أو ممارسات مقطوعة الصلة بالإيمان بالمسيح (أي بالأعمال وحدها). **والمؤمن الحقيقي يثق أنه مهما فعل كل بر، فليس خلاصه بأعماله، وإنما هو بدم المسيح**[13].

رابعاً: القديسان بولس ويعقوب، خادما الإنجيل الواحد

نتناول هنا معاً تعليم القديسين بولس ويعقوب عن الإيمان والأعمال (مقارنةً بتعليم الرب)، بما يكشف جوانب الاتفاق والتكامُل بينهما (وأيضاً لإيضاح ما قد يبدو للبعض تناقُضاً ظاهرياً بينهما)، وهذا ليس بغريب لأن مصدر تعليمهما هو المعلِّم الواحد والروح الواحد، كما أنهما يخدمان إنجيلاً واحداً.

(1) الإيمان والأعمال عند الرب

عندما تكلَّم الرب عن "**الإيمان**"، الذي يقود إلى الخلاص وبه نوهَب عطايا الله، تعامل معه كوحدة واحدة، جوهراً وسلوكاً: ["**آمِن فقط**" (مر 5: 36؛ لو 8: 5)، "**إيمانك خلَّصك**" (لو 7: 50)[14] ، "**إيمانك قد شفاك**" (مت 9: 22؛ مر 5: 34؛ 10: 52؛ لو 8: 48؛ 18: 42)، "**أتؤمن بابن الله**" (يو 9: 35)]. ولم يَحتَجْ الرب أن يوضِّح أنه المقترن بالأعمال، لأن الإيمان الذي يدعو إليه بالطبع هو تلك القوة المُغيِّرة للحياة كلها التي تقبل المسيح مخلِّصاً وحيداً وواهباً لكل عطية صالحة،

---

(13) والمصلِّي في الخدمة الثالثة من صلاة نصف الليل، يقول متشفِّعاً في محبة الخلاص ورحمته:"بعين متحننة يا رب، انظر إلى ضعفي. فعمَّا قليل تفنَى حياتي، **وبأعمالي ليس لي خلاص**. لهذا أسأل بعين رحيمة يا رب، انظر إلى ضعفي وذلي ومسكنتي وغربتي ونجِّني... فإنك محب البشر وحدك". وعلى أي حال فإنه إذا كان لا يليق الاعتداد بالأعمال الصالحة، فلا ينبغي التحرُّج من ذِكرها إذا اقتضى الحال، لأنها – من قبل ومن بعد – تنتسب إلى عمل الروح القدس في المقام الأول، والمؤمن هو مُشارك في العمل مع الله (1كو 3: 9) الذي سبق فأعدَّها له لكي يسلك فيها.

(14) وهي الكلمات التي ينشد المصلي سماعها من الرب في الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل.

فغير ذلك ليس إيماناً. كما لم يحتجْ الرب عند ذِكْر **"الأعمال الحسنة"** (مت 5: 16) التي تمجِّد الله، و **"الصالحات"** (يو 5: 29) التي يخرج أصحابها إلى قيامة الحياة؛ أن يذكر معها **الإيمان** الذي يقترن بها ويُثمرها. ولكن الواضح أنه ينسبها إلى مؤمنين به يصفهم أنهم **"نور العالم"** الذي ينبغي أن يُضيء نورهم قدَّام الناس كما يُضيء السراج الموضوع على المنارة لكل مَن في البيت (مت 5: 14-16).

(2) الإيمان عند القديسَيْن بولس ويعقوب

على أنه مع نشأة الكنيسة وبدء الكرازة بالإيمان الجديد لليهود والأُمم ، تطلَّب الأمر عند الدعوة للخلاص أن يوضِّح الرسولان بولس ويعقوب للمؤمنين العلاقة بين الإيمان وأعمال الناموس وأعمال الإيمان، ودور النعمة ودور الإنسان.

والإيمان الذي تكلَّم عنه كل من القديسين بولس ويعقوب هو نفس الإيمان الواحد، أي الثقة الكاملة والتصديق المطلق لله وكلمته والاعتراف بالرب مخلِّصاً وحيداً.

والقديس بولس في معرض حديثه عن الخلاص، أكَّد أن مَن يأتي إلى الرب أول ما يأتي سواء من اليهود أو من الأمم، ليس عنده غير الإيمان الصادق دون أعمال الناموس أو غيرها، فلا مكان للبر قبل الإيمان بالمسيح شمس البر (مل 4: 2). ليس هناك غير اليقين والتوبة وتسليم الحياة ثم مع الحياة الجديدة التي يُنشئها الروح القدس، بدءاً بالمعمودية، تتصاعد ثمار الإيمان وأعماله[15] التي تأتي نتاجاً طبيعياً لا افتعالاً. وهو يوصي المؤمنين التزاماً بنهج المسيح أن يُمارسوا أعمالاً حسنة لتمجيده.

والقديس يعقوب من جانبه يؤكِّد أن حياة القداسة العملية هي الدليل على صدق إيمان الذين يسيرون في طريق الخلاص، وغيابها يعني أن إيمانهم شكل بلا مضمون. فهو في الحقيقة يُعلي من قدر الإيمان بالمسيح، وأنه لا يليق أن يصبح مجرد اعتقاد عقلي بارد كإيمان الشياطين، أو تبعية صورية خالية من الالتزام القلبي بوصايا الإنجيل[16]،

---

(15) والرب يؤكد على أن علاقتنا العضوية به هي مصدر الثمار والأعمال إذ يقول "كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيَّ. **الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً** (يو15: 4،5).

(16) "**من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه**" (1يو2: 4).

فينطبق عليهم القول الإلهي : "**يقترب إليَّ هذا الشعب بفمه ويُكرمني بشفتيه، أما قلبه فمبتعد عني بعيداً**" (إش 29: 13؛ مت 15: 8)، أو مَن "**لهم صورة التقوى، ولكنهم منكرون قوَّتها**" (2تي 3: 5).

والقديس بولس يستكمل الصورة ويدين المتَّكلين على أعمال برِّهم الشخصي (رو 10: 3)، فتبريرهم هو بنعمة الله (كما دان الرب سلوك الفرِّيسي المعتدّ ببرِّه، وقَبِلَ توبة العشار – لو 18: 14)، ويحثُّ مَن آمنوا على اتِّباع القداسة.

(3) الأعمال عند القديسَيْن بولس ويعقوب

وفيما يتعلَّق بالأعمال فإنه لا يوجد تناقُض بين أن يقول **القديس بولس** للمعتدِّين بناموسهم وأنبيائهم: "لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان ... **ليس من أعمال** كي لا يفتخر أحد" (أف 2: 8،9)، أو "**لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما**" (رو 3: 20؛ غل 2: 16)، أو "الذي خلَّصنا، **لا بمقتضى أعمالنا**، بل بمقتضى القصد والنعمة" (2تي 1: 9)؛ وبين أن يقول **القديس يعقوب** للمؤمنين الشكليين المُرائين: "تَرَوْنَ إذاً أنه **بالأعمال يتبرَّر الإنسان لا بالإيمان وحده**" (يع 2: 14). ذلك أن "**الأعمال**" التي ينتقدها القديس بولس ويستبعدها من مسيرة الخلاص هي "**أعمال الناموس**" بالنسبة لليهودي [17]: "**الناموس ليس من الإيمان**" (غل 3: 12)؛ بينما "**الأعمال**" التي يشترط القديس يعقوب توفُّرها مع الإيمان هي "أعمال الإيمان" (1تس 1: 3) (وفي هذا فالقديس بولس يتكلَّم عن "**بداية الخلاص**"، بينما يتكلَّم القديس يعقوب عن "**حياة الخلاص**").

والقديس بولس يتفق بالطبع مع **القديس يعقوب** في حتمية وجود "**أعمال الإيمان**" في حياة مَن اختبروا الخلاص بالفعل ويُتمِّمونه : "... مخلوقين في المسيح

---

(17) والأمر ينسحب بالطبع علي الأممي (وكل من لم يؤمن بعد) حيث لا أعمال بر في حياته قبل أن يعرف الله" **لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضي رحمته خلصنا** .." (تي 3:5)، فإذا افتقدته نعمة الله للخلاص فهو لا يتقدم إلا بإيمانه " **أما الذي لا يعمل** (البر،لأنه لا يستطيع) **ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر** (الخاطئ المتجاسر الذي يجاهر بخطيته) **فإيمانه يحسب له براً**" (رو4:5).

يسوع **لأعمال صالحة** قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها " (أف 2: 10)، "... لكي يهتم الذين آمنوا أن يُمارسوا **أعمالاً حسنة**" (تي 3: 8).

(4) الأمثلة المشتركة

في استخدام القديسَيْن بولس ويعقوب نفس المثالَيْن في العهد القديم (وهما أبونا إبراهيم وراحاب الزانية) للتدليل على **التبرير بالإيمان بغير أعمال الناموس** (عند القديس بولس)، **والتبرير لا بإيمانٍ اِسميٍّ بكلمات الشفاه، وإنما بالإيمان مع أعماله** (عند القديس يعقوب)؛ الشهادة الساطعة أنهما يتكاملان ولا يتناقضان، إذ هما يخدمان قضية واحدة، ولا يختلفان إلاَّ في الزاوية التي ينظر كل منهما إليها.

فالقديس بولس يقول: "**إنه حُسِبَ لإبراهيم الإيمان برّاً** (أي نال التطويب على إيمانه)... **وهو... في الغرلة** (أي لم يكن قد اختتن بعد)، **وأخذ علامة الختان** (فيما بعد) **ختماً لبر الإيمان ... فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم، بل ببرِّ الإيمان ... لهذا هو من الإيمان كي يكون على سبيل النعمة...**" (رو 4: 11،13،16).

وعندما جاء ملء الزمان وأكَّد الرب وعده القديم بالنسل، تزكَّى إيمان إبراهيم من جديد، فهو رغم شيخوخته هو وسارة امرأته ومجافاة الوعد لطبيعة الأشياء، صدَّق وعد الله . وفي هذا كتب القديس بولس : "**أمام الله الذي آمن به الذي يُحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة. فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير أباً لأُمم كثيرة، كما قيل هكذا يكون نسلك. فإذ لم يكن ضعيفاً في الإيمان، لم يعتبر جسده وهو قد صار مُماتاً، إذ كان ابن نحو مئة سنة، ولا مماتية مستودع سارة** (وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء – تك 18: 11)، **ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله بل تقوَّى بالإيمان، مُعطياً مجداً لله . وتيقَّن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً، لذلك أيضاً حُسِبَ له برّاً** " (رو 4: 17: 21).

وتأكَّدت أصالة إيمان إبراهيم وثقته في وعد الله فيما بعد عندما أطاع أمر الله

وقدَّم إسحق وحيده الذي كان به الوعد بالنسل الكثير (عب 11: 17،18). وهو ظل على إيمانه بقدرة الله على تنفيذ وعده رغم الطلب الصعب بتقديم إسحق ذبيحة، وحتى إن تمَّ الذبح بالفعل: "**إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً** " (عب 11: 19).

فالقديس بولس يُقدِّم **إبراهيم** مثالاً لجانب **الإيمان** في معاملاته مع الله، بينما **القديس يعقوب** وهو يستخدم نفس الموقف **لإبراهيم** يُقدِّمه نموذجاً لجانب الأعمال وجه الإيمان الآخر، دليلاً وبرهاناً على صِدقه وأصالته قائلاً : "**ألم يتبرَّر إبراهيم أبونا** (لا بإيمان الكلام وإنما) **بالأعمال** (التي شهدت لإيمانه)، **إذ قدَّم إسحق على المذبح. فترى أن الإيمان عمل مع أعماله، وبالأعمال أُكمِلَ الإيمانُ**" (يع 2: 21،22).

أما عن **راحاب**، فإن **القديس يعقوب** بالمثل التفت إلى برهان إيمانها في خشوعها واتضاعها أمام الله، وقبولها وإخفائها الرسولَيْن، وكيف غامرت بإخراجهما في طريق آخر (يع 2: 25). وفي نظره أنها تبرَّرت بما عملته رغم المخاطرة، وتميَّزت به عن سائر أهلها، وأن هذا هو ما شهد لصدق إيمانها.

بينما نظر **القديس بولس** إلى المحرِّك والدافع لهذا التصرُّف من امرأة خاطئة لا تعرف الله، وهو إيمانها الذي يتضح من قولها للرجلين : "**لأن الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت** " (يش 2: 11). فهي ألقت بنفسها تحت قدمي الله، محتمية به وراغبة في الانضمام إلى شعبه (يش 2: 25)، وربطت به مصيرها ومصير عائلتها؛ وهكذا "**بالإيمان... لم تهلك مع العُصاة** (الذين رفضوا الله وقاوموا شعبه)" (عب 11: 31)، وذلك على الرغم من حياتها المشينة السابقة.

(5) القديسان بولس ويعقوب خادما الإنجيل الواحد

نخلص إلى أن القديسَيْن بولس ويعقوب لا يمكن أن يكونا ضدَّين بأيِّ حال . فهما لم يُبشِّرا باسم نفسيهما، وإنما باسم الرب المخلِّص الوحيد، وهما خادمان لإنجيل واحد هو إنجيل يسوع المسيح (مر 1: 1)، وتعليمهما يتكامل ويكشف العلاقة الوثيقة بين الإيمان وأعماله، ويُلقي الضوء على علامات الإيمان الحي والأعمال

المقبولة، وهيمنة النعمة على كل أمور الخلاص.

وقد شبَّه أحدهم موقف القديسَيْن بولس ويعقوب من قضية الإيمان والأعمال، بجنديين يقفان في الميدان معاً، ظهراً لظهر، وكلٌّ منهما يواجه من ناحيته عدوّاً يُحاربه بسيف الحق الذي يحمله : **فالقديس بولس** يُقاوم المخدوعين المتفاخرين ببرِّهم الذاتي وأعمال الناموس، ويراها تنتقص من غِنَى نعمة المسيح وكمال عمل الدم، وأن الأعمال الجديرة بالتقدير هي وحدها النابعة من الإيمان بالمسيح دون غيرها؛ **والقديس يعقوب** من ناحيته يواجه المرائين والشكليين المستهترين المنتسبين اسماً وزوراً للكنيسة، بينما هم موتى في الحقيقة، وإيمانهم الصوري لا جدوى منه، إلاَّ إذا تمَّ تفعيله بتوبة تُعيد إليه حيويته.

فكما أن الأعمال بغير الإيمان بالمسيح هي ميتة، فكذلك الإيمان بغير أعماله هو أيضاً ميت: **"أنا عارف أعمالك، أن لك اسماً أنك حي، وأنت ميت"** (رؤ 3: 1).

❋ ❋ ❋

في النهاية، نحث كل قارئ ألاَّ يغيب عن ذهنه قط هذه الحقيقة العظمى : **إننا مديونون بحياتنا، مِن قبل ومِن بعد، لنعمة الله ومحبته ورحمته، وفداء المسيح، وعمل الروح القدس. فبغير ذلك، لم يكن من جدوى للإيمان أو الأعمال، وأنَّ الخلاص هو في الأساس بدم المسيح، ونناله بواسطة الإيمان الحي، وتشهد له أعماله التي يُثمرها الروح القدس الساكن في المؤمن.**

عـن المجـــــازاة

أولاً : في معنى المجازاة

+ **المجازاة** في واقعها تتضمن شقّين : **الأول** هو نوال الحياة الأبدية للمتبررين بدم المسيح، أو الوقوع تحت الدينونة والموت الأبدي لمن رفضوا المسيح مخلصاً، **والثاني** هو الرتبة (1كو 23:15) أو الحالة (مت 15:10، 23:11، 14:23) التي سيكون عليها كل من المخلَّصين في فرح السيد، والمدانين في هاوية العذاب.

+ والفيصل في **الشق الأول** (دخول الأبرار العرس الأبدي) هو **الإيمان بالمسيح** بالقلب والفعل ومحبته وتعبيته كل الحياة . وتأتي الأعمال هنا لا كعنصر مستقل له وزنه الخاص وإنما كوجه الإيمان الآخر، وهي لا تضيف أو تنتقص من الجائزة العظمى : **الحياة الأبدية** كنعمة لكل مؤمن، وهي أعظم وأغلى بما لا يقاس من أن يكون لها مقابل لا يملكه أحد مهما كانت قداسته.

وبالنسبة للأشرار، أو المعتمدين على برهم الشخصي، فالفيصل هو عدم إيمانهم بالرب ورفضهم الخلاص وانحيازهم للظلمة (يو 19:3). والمجازاة هنا هي بالموت الأبدي **"الذي يؤمن بالأبن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله "** (يو36:3).

+ في **الشق الثاني،** تصير **أعمال الإيمان** هي الفيصل، حيث يأتي

"كل واحد في رتبته" (1كو 23:15)[1]. وبالنسبة للأبرار فإن **"نجما يمتاز عن نجم ف ي المجد"** (1كو 41:15)؛ ويتألق الآباء والأنبياء والتلاميذ والرسل والشهداء والقديسون وسائر الأمناء (وبالأكثر القديسة المملوءة مجداً العذراء كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم التي ولدت الله الكلمة بالحقيقة - صلاة المجمع في القداس الإلهي)، ويضيئون **"كالشمس في ملكوت أبيهم "** (مت 43:13). ولا ننسى قول الرب لتلاميذه قبل صلبه الوشيك أنهم، وقد ثبتوا معه في تجاربه، فعند مجيئه **سيكونون على مائدته في ملكوته ويجلسون على كراسي يدينون أسباط إسرائيل الأثنى عشر** (مت28:19، لو 28:22-30)،كما أن من نقض إحدى الوصايا الصغرى (الناموس) وعلّم الناس هكذا يُدعى **أصغر** في ملكوت السموات (مت 19:5).

وأصحاح الإيمان (عب 11)، وهو يسرد القائمة النبيلة لمن احتملوا الآلام من أجل الإيمان، يشير إلى الذين "عُذِّبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا **قيامة أفضل**" (عب 35:11)، ولا يُقصد بالقيامة الأفضل مجرد قيامة الحياة، فهي واحدة لكل الأبرار، ولكن **"الأفضل"** يتصل برتبتهم في الأبدية . ونحن نطلب شفاعة القديسين وصلواتهم لأنهم متمتعون بقيامة أفضل.

وبالمثل فإن الذين سقطوا من النعمة وكان نصيبهم الدينونة، ستترتب مواقعهم (بالمعنى المجازي المطلق وليس الحرفي، فالمكان والزمان لا موضع لهما في الحياة الآتية) وينالون جزاءهم بحسب شرهم. فرغم ما صارت إليه أرض سدوم وعمورة التي احترقت بالنار(تك 24:19)، فإن الرب يقول إنه سيكون لها في "يوم الدين حالة **أكثر احتمالاً** " مما لكفرناحوم التي رفضت سماع صوت الخلاص (مت 15:10، 11: 23)، وأن صور وصيداء ستكون لهما في يوم الدين حالة **أكثر احتمالاً** مما لكورزين وبيت صيدا العاصيتين (مت 22:11). والرب يصبّ الويلات على الكتبة والفريسيين المرائين منبئاً أنهم سيأخذون **دينونة أعظم** من غيرهم (مت 14:23). **فحتى في العذاب الأبدي تتفاوت الأنصبة.**

+ وفي مثل الفعلة الذ ي أورده الرب (مت 1:20-6)، فإن عطية

---

[1] ، (2) استعرنا هاتين الآيتين لاستخدامهما هنا، رغم اختلاف المقصود عما في سياقهما الأصلي في أصحاح القيامة.

الحياة الأبدية يمثّلها هذا **"الدينار الواحد "** يأخذه من كانوا بطالين في السوق وسعى إليهم الرب واستخدمهم دون أن يكون لأحد فضل في ذلك . والدينار ناله الجميع سواء منهم من بدأ من الصبح أو خلال ساعات النهار أو من التحق بالكرم في ا لساعة الأخيرة (أي من عاش كل حياته في الإيمان أو من عرف الرب مع آخر أنفاسه).

+ بعد دخول الحياة يأتي دور **الأعمال** لتحديد رتبة المؤمن . فدخول السماء مثل "جنسية الدولة" يتمتع بها الجميع على قدم المساواة ولكن تتفاوت الأنصبة فيما وراء ذلك، أو هو مثل نوال "الشهادة الجامعية" وهي واحدة للجميع ولكن الاختلاف يكون في "التقدير" بحسب الاجتهاد والمستوى (وفيما نحن بصدده : بحسب الجهاد والأعمال).

هنا المجال الذي تبرز فيه قيمة أعمال المحبة والإيمان وبذل الذات . وبالطبع لن يتساوى المجاهدون العظام، كالشهداء والمبشرين والآباء والمكرسين والنساك ولبّاس الصليب وكل المضطهَدين من أجل المسيح، مع بسطاء المؤمنين الذين تواضع نصيبهم وقنعوا بالقليل (رو 3:12).

هذا لا علاقة له بالمدى الزمني لمعرفة الله . فكثيرون ممن عرفوا الرب وآمنوا في أيامهم الأخيرة كانت أعمالهم وحبهم للملك المسيح أعظم بما لا يقاس مما لآخرين اقتربوا من الرب طويلاً ولكن ظلت علاقتهم محدودة وعطاؤهم قليلاً ومن ثم يسبقونهم في مواقع المجد **"هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين "** (مت 16:20)، كما يسبق الخطاة التائبون إلى ملكوت الله أولئك المعتدّين ببرهم والمتجاهلين دعوة التوبة والخلاص (مت 31:21)؛ وكما سبق الأمم اليهود في قبول الخلاص رغم دور هؤلاء وتاريخهم الطويل في الإعداد له وتحقيقه.

ثانياً : المجازاة والأعمال

(1) شهادة الكتاب

رغم التشديد على أن الخلاص ونوال الحياة الأبدية هو بعمل دم المسيح لكل من يؤمن به (يو 16:3 ، أف 8:2)، فإن ا لكتاب يربط بوضوح بين أعمال الإيمان والمجازاة (في شقها الثاني)، كما في الآيات المختارة التالية :

+ ففي الموعظة على الجبل، وبعد أن علّم الرب بأن تكون الصدقة والصلاة والصوم في الخفاء، ختم بالقول **"فأبوك الذي يرى في الخفاء**

هو يجازيك علانية" (مت4:6، 6، 18).

+ وبعد شفاء مريض بيت حسدا، ومع تصاعد الأصوات المعادية للرب وسعى اليهود لقتله، قدم الرب نفسه ديّاناً للعالم مبيناً **" أن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن** (الذي حمل خطايا الناس في جسده بالصليب)"، وأضاف بعدها **" فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة "** (يو 18:5، 22، 28، 29) فالأعمال تحدد المصير.

+ وهو حثّ على أن يكون للمؤمنين ثمار تليق بالتوبة، وأن مصير الشجرة التي لا تصنع ثمراً جيداً (أي الشخص ذي الإيمان الشكلي عديم الثمر) أن تقطع وتلقى في النار (لو 8:3، 9)، وأدان الرب أولئك الذين ليس لهم أصل أصحاب الإيمان الوقتي الذين إذا داهمتهم التجربة يرتدّون (لو 13:8).

+ وقبل أيام من تجليه، قال الرب لتلاميذه **"أن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله "** (مت 27:16).

+ وفي أحاديثه الأخيرة قبل الصليب امتدح الرب المؤمنين الذي يطعمون الجياع ويسقون العطاش ويأوون الغرباء ويكسون العرايا ويزورون المرضى ويأتون إلى المسجونين وبشّرهم أنه سيقال لهم في اليوم الأخير **"تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم"** (مت 25:34-36).

+ والقديس بولس من ناحيته يؤكد أن الجميع سيظهرون أمام كرسي المسيح **"لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً"** (2كو5:10)

+ ويكتب القديس يوحنا في رؤياه **"وسمعت صوتاً من السماء قائلاً لي طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن. نعم يقول الروح لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم "** (رؤ 13:14)، وأن الأموات سيدانون كما **"هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم "** (رؤ 12:20).

+ وفي ختام رؤيا القديس يوحنا يسجل الكتاب كلمات الرب المنتصر **"ها أنا آتي سريعاً وأجرتي معي لأجازي كل واحد كما يكون عمله "** (رؤ 12:22).

+ وفي العهد القديم قال أيوب **"لأنه** (الله) **يجازي الإنسان على**

فعله " (أي 11:34)، وكتب داود في المزمور **"لأنك أنت تجازي الإنسان كعمله"** (مز 12:62).

(2) ارتباط المجازاة بالأعمال

فظاهر كلمات الكتاب أنه في القيامة سيجازي كل واحد حسب عمله : الذي يصلي ويصوم ويتصدق في الخفاء سيجازي علانية، والذين يفعلون الصالحات يمضون إلى قيامة الحياة، والذين يفعلون السيئات إلى قيامة الدينونة، وأن من يهتم بأعمال الرحمة والخير سيرث الملكوت[3].

وليس غريباً أن تكون المجازاة (في شقها الثاني) على أعمال الإيمان، باعتبار أن الإيمان هو مصدرها وروحها والقوة المحركة لها كما أنها الشاهد على حيوية الإيمان وأصالته[4]. ومن ناحية أخرى فإن الأعمال – لكونها ظاهرة – فبها تتحقق علانية الشهادة بعدل الله أمام الكل (مز 9:19، رؤ 7:16، 2:19). [بالطبع فإن الأعمال التي **ليست من إيمان يسوع المسيح** (غل 16:2) لن تأتي إلى الملكوت ولن يتمجد أصحابها لأنها **أعمال ميتة** (عب 1:6، 14:9) وأصحابها قد استوفوا أجرهم على الأرض (مت 2:6، 5، 16)].

(3) الله لا يحتاج إلى برهان

على أن الله ليس بحاجة إلى براهين كي يقدّر ويقيم، وبالتالي لا يحتاج هو إلى الأعمال كي يقيّم الإيمان، لأنه كلي المعرفة وقادر على تقييم الإيمان بغير علامات ظاهرة . والذي يؤمن في ساعته الأخيرة ويترك العالم قبل أن يعمل شيئاً ذا بال الله قادر أن يقيّم إيمانه إن كان صادقاً، حقيقياً أم زائفاً:

+ **فاللص اليمين** المعلق على الصليب وهو في طريقه إلى الموت – وإن شهد ببر المخلص، كما اعترف بخطيته هو وزميله، وآمن أن

---

(3) لا تقتصر **الأعمال** بالطبع علي جوانب العبادة والنسك وفعل الرحمة، ولكنها تشمل أطيافاً متسعة مما يعكسه الإيمان والرجاء والمحبة بإلهام الروح القدس وعمله كخدمة الله، واحتمال التجارب والآلام وصلب الجسد ومقاومة الهواء والشهوات والصمود أمام الاضطهاد، والمجاهرة باسم المسيح والشهادة له في العالم بكل وسيلة، والأمانة في العمل وأداء الواجب، وبذل النفس من أجل المسيح حتي الدم

(4) وبالمثل في عالمنا، فالحياة والكهرباء لانراها ولكن ندركها فقط بمظاهرها : كالحركة والنمو كعلامات للحياة ، وتوهج النور في المصباح ودوران الآلات كعلامات للكهرباء.

المسيح هو الرب الديان الذي سيأتي في ملكوته – لكنه لم يعش كي يقدم أعمالاً تشهد على إيمانه، إلا أن الرب فاحص القلوب والكلى أدرك صدق إيمانه دون برهان ظاهر غير الكلمات وأدخله الفردوس معه (لو 43:23)؛

+ **والمرأة الخاطئة** بدورها جلست من وراء الرب باكية وكانت تبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها وإن لم تفه بكلمة، ولكن الرب أدرك أصالة إيمانها وأمانتها ومحبتها وصدق توبتها بغير عمل أكثر مما فعلت، وقال إنها أحبت كثيراً ومن هنا غُفرت خطاياها الكثيرة (لو 47:7).

+ ونحن نصلي من أجل الناس في ساعاتهم الأخيرة (كالمحتضرين والمحكوم عليهم بالإعدام) ونحثهم أن يتوبوا ويستعدوا للقاء الرب دون أن نلقى بالاً أنه لن يتاح لهم عمل شئ يُجازون عليه تاركين الأمر لله الذي بيده مفاتيح الحياة والموت (يو 21:5، رؤ 18:1) وهو مرجعها الوحيد والعارف بالقلوب (أع 8:15).

+ والمؤمن من جانبه لا يقدّم أعماله قاصداً أن يبرهن لله على صدق إيمانه فالله لا يحتاج إلى براهين، وإنما لأن النور الذي فيه لا يمكن إخفاؤه، كما أن الأعمال بالنسبة للمؤمن نفسه شهادة ضمنية أنه يسلك في النور، وهي للعالم بشارة مطلوبة يتمجد بها اسم الله بين الناس (مت 16:6، غل 24:1، 1بط 12:2).

(4) عبيد بطالون

من مراحم الله أن الخلاص هو بالإيمان العامل بالمحبة . ولو كان دخول الملكوت ونوال الحياة الأبدية هو بالأعمال لما دخلها أحد. فالفشل هنا مضمون لأن من يستطيع أن يوفي وصية الله **"فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل "** (مت 48:5)؛ ومن هو المعصوم الذي لا يخطئ؟ والكتاب يؤكد **أننا نخطئ** وأن تطهيرنا مكفول فقط في دم المسيح إن اعترفنا **بخطايانا** (1يو 8:1، 9). والرب علّمنا أن نطلب في صلاتنا أن يغفر الله لنا **ذنوبنا** (مت 12:6، لو 4:11). والقديس بولس الذي اختطف إلى الفردوس (2كو 4:12) يرى نفسه **أول الخطاة** (1تي 5:1). ونحن في كل قداس نهتف **"كرحمتك يارب وليس كخطايانا"**.

ورغم أن الخطية لا تسود المؤمنين لأنهم تحت النعمة (رو 14:6) إلا أنهم يظلّون يخطئون. فالحياة الجديدة لا تخلو من الضعف والهزائم، خاصة إذا عرفنا أن الخطية ليست هي فقط فعل الشر وإنما أيضاً عدم

فعل الخير **"من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له "** (يع 17:4).

(5) دمه يطهر من كل خطية

ومع هذا فالخطية في مسيرة المؤمنين تظل هي الاستثناء الدخيل على حياة القداسة، ولكن ملاحقة المؤمنين لخطيتهم بالتوبة واحتماءهم في الدم الكريم، وشركتهم في الأسرار وحفظهم للكلمة، وأمانتهم في السير وراء المخلص بخوف ورعدة، وتمتعهم فوق كل شئ برحمة الله ومحبته – رغم قصورهم – يتيح لهم غفران خطاياهم بعمل دم المسيح الوسيط الواحد بين الله والناس (1تي2:5) وشفيعنا عند الله الآب، والذي هو كفارة لخطايانا (1يو 2:1، 2). ومن هنا فهم يمضون إلى قيامة الحياة. ذلك أن خطايا ضعفهم هذه **"ليست للموت "** (1يو 16:5، 17) بعكس خطايا الأشرار وغير المؤمنين أو الذين ينكرون المسيح بعد أن عرفوه، فهي تضيف إلى رصيد هلاكهم **"توجد خطية للموت "** (1يو 16:5).

(6) شهادات الآباء

رغم أهمية الأعمال وضرورتها، واقترانها الطبيعي بحياة الإيمان ثمراً ونوراً، فإن آباء الأرثوذكسية في اتضاعهم وتعظيمهم لعمل النعمة يخفّفون كثيراً من دور الأعمال وألوان الجهاد والنسك ويحذرون من الانزلاق إلى الرضا عن النفس والشعور بالاستحقاق، ويتبنون موقف العشار (في المثل الشهير) متأسفين على ما قصّروا فيه أكثر مما هم راضون عن جهادهم وتعبهم وخدمتهم، حري صرين ألا يسلبوا الله حقه ومجده في أي تقدم يحرزونه.

وهذه اقتباسات مختارة من بعض أقوال الآباء ونماذج الصلوات في هذا المجال :

+ فالقديس **مقاريوس** يقول "أن الإنسان الذي لا ينظر إلى فوق بل يكتفي بعمل يديه، **فمهما كان جهده وصلاته وتقشفه وبُعده عن الماديات ومحبته للإخوة الغرباء فإنه لا يأخذ ثمار جهاده وحبه إن لم يشرق عليه ندي رحمة الله".**

+ وفي قول آخر **"نحن محاطون بالضعف والنقص والله يسمح بتعثرنا كي لا نتكل على ذواتنا وأعمالنا ولكي نظل ملتحفين بالنعمة فهي التي بدأنا بها والتي سننتهي بها وهي تحثنا أن نسهر حتى الساعة الأخيرة".**

+ وفي قطع الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل يقول المصلي المجاهد شاعراً بتقصيره وسائلاً من أجل جهاد أشدّ : **"اعطني يارب ينابيع دموع كثيرة** كما أعطيت منذ القديم للمرأة الخاطئة . واعطني أن أبل قدميك اللتين اعتقتاني من طريق الضلالة وأقدم لك طيباً فائقاً **واقتني لي عمراً نقياً بالتوبة** كي أسمع أنا ذلك الصوت الممتلئ فرحاً : **"أن إيمانك خلصك"**.

وهو في قطع الخدمة الثالثة من نفس الصلاح يمجّد النعمة واضعاً كل رجائه في المخلص معترفاً أنه لا يخلص بأعماله فيقول **"بعين متحننة** يارب انظر إلي ضعفي فعما قليل تفنى حياتي **وبأعمالي ليس لي خلاص** (سواء أن أعمال تشي بضعف وتهاونه، أو أنه مهما كان قدرها ومداها فليست هي التي تخلص لأنها ليست قائمة بذاتها وإنما بمؤازرة الروح الساكن فيه والشاهدة لإيمانه وأمانته) فلهذا **أسأل بعين رحمة انظر إلى ضعفي وذلي وغربتي ومسكنتي ونجني**، اشفق عليّ أيها المخلص فإنك أنت **هو محب البشر وحدك"**.

ثالثاً : المجازاة... مرحلتان

المجازاة بمعناها العام الشامل هي التي ترتبط بمجيء الرب الثاني وجلوسه على كرسي مجده، حيث يجتمع أمامه جميع الشعوب بعد قيامة الأجساد من الموت، فيميز الأبرار من الأشرار فيمضي هؤلاء (الأشرار) إلى عذاب أبدي وأولئك (الأبرار) إلى حياة أبدية (مت25:31-46).

هذه هي **المرحلة النهائية** من المجازاة والتي تبدأ بالقيامة الأخيرة وتمتد إلى الأبد.

ولكن هناك **مرحلة تمهيدية** من المجازاة يتم فيها فرز أوّلي (مت13:49) لنفوس من يرقدون (كأنه الحكم الابتدائي في محاكمنا) ويبقون في الانتظار حتى القيامة واتحادهم بأجسادهم وإعلان المجازاة النهائية في الخلاص الأخير. **فالمجازاة الأولى هي في الحقيقة عربون مجازاتهم الأبدية.**

(أ) عن المجازاة التمهيدية

لقد عرفنا جانباً مما يتصل بالمجازاة الأولى التي تتم فور موت الشخص من كلمات الرب في قصة **الغني ولعازر** الرمزية الحافلة بالإيحاءات عما تجتازه النفس بعد الموت (لو16:19-31).

فنحن أمام نقيضين : **غني** يتنعم مترفهاً ولا يُلقي بالاً إلى **مسكين** بائس اسمه لعازر، مطروح عند باب قصره، يعاني الجوع والحرمان

والوحدة، ولا يلقى المواساة إلا من كلاب الطريق التي كانت تقاسمه الفتات وتلحس قروحه.

ومضى الزمان ومات **المسكين**، ومات **الغني** أيضاً. وعند هذه النقطة من القصة يأتي ذكر **المجازاة التمهيدية** التي تشي **بالمصير النهائي الأبدي**، ونعرف شيئاً عن **مكان انتظار نفوس الراقدين** (الجحيم Hades أو الهاوية)[5]:

(1) فلعازر المسكين ربما بقيت جثته في الطريق ولكن الملائكة حملت نفسه إلى حضن إبراهيم أبي الأباء الذي سبقه إلى مكان الانتار هذا قبل زمان. فأُعلن **حكم مبدئي** لصالح المسكين الذي لم يعرف في حياته غير البلايا والآن جاء وقت التعزية والراحة لحين إعلان **الحكم النهائي** في اليوم الأخير.

(2) أما الغني الذي شيعت جنازته ودفن جسده في قبر، مضت نفسه إلى **الجحيم، مكان الانتظار للجميع**، ولكنه ينقسم، بحسب كلمات السيد، **إلى منطقتين** متباعدتين واحدة للأبرار (وهي التي كان فيها إبراهيم وسائر الآباء من بعده)، وواحدة للأشرار يعانون فيها العذاب والندم (في اللهيب) بعد أن استوفوا خيراتهم أثناء حياتهم على الأرض. فالمصائر إذاً تتحدد منذ مفارقة النفس للجسد دون تغيير.

(3) بيّن الرب أن نفوس الجانبين مع هذا يمكن أن يروا بعضهم بعضاً. فالغني عرف إبراهيم الذي رآه من بعيد، ولعازر في حضنه، وناداه متوسلاً أن يرحمه ويرسل لعازر بقطرة ماء على طرف اصبعه يبرد بها لسانه ليخفف عذابه (صورة رمزية).

(4) هنا كشف الرب على لسان إبراهيم عن أمرين؛ **الأول**: أن كل نفس، بحسب معرفة الله وحكمه، تمضي إلى موضعها الخاص بها، إما مع الأبرار وإما مع الأشرار، **والثاني** أن جانبي الجحيم منفصلان تماماً **بهوة عظيمة**. فالعبور مستحيل بين الجانبين.

(5) وفي محاولته أن يجنّب إخوته الخمسة الأحياء مصيره

---

[5] حزناً على يوسف ابنه قال يعقوب منتحباً: إني **أنزل** إلى أبني نائحاً إلى **الهاوية**" (تك 35:37). وبعد مؤامرة قورح وداثان وأبيرام ضد موسى يقول عنهم الكتاب "وفتحت **الأرض** فاها وابتلعتهم وكل مالهم **فهبطوا** أحياء إلى **الهاوية**" (عدد 30:16).

الأليم، سأل الغني أب اه إبراهيم من جديد أن يوفد لعازر (الذي يعترف به الآن بعد أن أهمله كل حياته !) كي يشهد لهم (بمعنى أن يعيده إلى الحياة وينزل لينذرهم). فنعرف من كلمات إبراهيم بأن على إخوته أن يسمعوا لما كتبه **موسى والأنبياء** . فالكرازة والحث على التوبة هي الترتيب الذي وضعه الله لتوصيل رسالته . كما يشير أيضاً أن النفوس بعد تحررها من سجن الجسد بالموت لا تتوقف معرفتها بما يجري في العالم في الأزمنة التالية (فإبراهيم يشير إلى موسى الذي جاء بعده بحوالي خمسة قرون).

(ب) موضع الانتظار بعد الصليب

(1) ما سبق ذكره هو ما كان عليه حال الجحيم حتى يوم الصليب . ونحن نعرف أن الرب ساعة الصليب خاطب اللص المصلوب إلى جانبه (والذي أعلن إيمانه به سائلاً إياه أن يذكره عند مجيئه في ملكوته) وقال له **"اليوم تكون معي في الفردوس "** (لو 43:23). ولما ذاق المسيح الموت، وانفصلت نفسه من جسده ومضت متحدة باللاهوت، **نزل إلى الجحيم** وبشّر المنتظرين فيه، مِن آدم ومَن بعده من آباء العهد القديم وأنبيائه وأتقيائه، على رجاء مجيئه، **وأصعدهم** إلى موقع جديد هو **"الفردوس"** الذي دخله اللص معهم، والذي عرفنا مما كتبه القديس بولس أنه **"فوق " في السماء الثالثة** (التي اختطف إليها يوماً) (2كو 2:12، 4). وهو الآن مكان انتظار نفوس الأبرار إلى يوم مجئ الرب الثاني فينتقلون إلى الملكوت.

وبالتالي **فالجحيم الآن هو مقر نفوس الأشرار وحدهم** وهو لا يقع **"فوق"** مثل الفردوس وإنما **"تحت"** في **"أقسام الأرض السفلى "** حيث **نزل** الرب أولاً بعد موته (أف 9:4). وبعد الدينونة سينتقل إلى مكانه الأبدي في **بحيرة النار** (رؤ 15:20) بعد أن تنحل الأرض وكل عناصرها .

(2) وفي فردوس الانتظار تتمتع نفوس الأبرار بالتعزية، أنها دخلت الحياة، ونهاية الآلام، وإن كانت لا تختبر كامل المجد المعدّ لها في الملكوت الأبدي . كما أن الجسد الذي شاركها إيمانها وجها دها لا يزال بعد في الأرض عظاماً أو تراباً، وسيكون له أن يقوم ويتحد بها ليشاركها إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه (يع 12:1).

كما أن نفوس الأشرار في الجحيم لا تقاسي كامل العقاب رغم شعورهم الساحق بالندم والحزن على مصيرهم الأليم وخسارتهم التي لا تُعوّض بحرمانهم من شركة الحياة الأبدية . وفي القيامة عندما يقوم الجسد سيشارك هو أيضاً في العقوبة مع النفس وهكذا تكون النهاية الحزينة.

(ج) عن المجازاة النهائية

بمجئ الرب الثاني وإعلان القيامة الأخيرة ينهض الجسد من الموت ويتحد بالنفس كي يواجهان المصير معاً : المجد (للمؤمنين) أو الهوان (للأشرار وغير المؤمنين) والذي أُعلنت مقدماته قبل زمان طال أم قصر.

وفي هذا النطاق يكشف لنا الوحي الإلهي بعض التفاصيل :

(1) فهناك **علامات تسبق مجئ الرب** أشار هو إليها في أحاديثه الأخيرة قبل الصليب (مت24، مر 13، لو 212) مثل **اندلاع الحروب وانتشار المجاعات والأوبئة وقيام الأنبياء الكذبة** الذين يساندهم الشيطان بالآيات حتى إنهم يضلّون الكثيرين، وفي نفس الوقت **امتداد الكرازة إلى كل المسكونة.**

+ ويؤمّن القديس بولس على أقوال الرب هذه مؤكداً على سبق **الارتداد** ليوم القيامة . ويحدّد من الأنبياء الك ذبة : **انسان الخطية إبن الهلاك** المقاوم والمرتفع "حتى إنه يجلس في هيكل الله مظهراً نفسه أنه إله" والذي سيؤيده الشيطان "بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم في الهالكين لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا "؛ وهذا **الأثيم** سيبيده الرب بنفخة فمه ويبطله الظهور مجيئه ويدُان الذين ساروا وراءه (2تس2:1-12).

+ ويشير القديس يوحنا إلى إنسان الخطية الأثيم، المشار إليه آنفاً، **بالمُضِلّ وضد المسيح** (بل أضداد المسيح) (1يو2:18، 19، 2يو 7).

(2) أما عن **العلامات المصاحبة ليوم مجيئه** فالرب أشار إلى اضطراب الأفلاك بما يؤدي إلى إظلام الشمس والقمر وتساقط نجوم السماء محترقة، مع ظهور علامة ابن الإنسان (أي صليبه) في السماء . وسيكون ظهوره ساطعاً للدنيا كلها ويبصر الجميع (بعد قيامتهم) ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته بالأبواق ويجمعون مختاريه من المسكونة كلها.

+ وهنا يُفصح الوحي في رسائل القديسين بطرس وبولس عن بعض ملابسات يوم مجئ الرب وقيامة الأجساد والمجازاة :

فيكتب القديس بطرس أن يوم الرب سيأتي كلص في الليل، وفيه تزول السموات بضجيج وتنحلّ ملتهبة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها، كما تنحل العناصر محترقة تذوب (2بط 3:10-12).

ويضيف القديس بولس أنه يوم مجئ الرب سيكون هناك أحياء علي الأرض: **"لا نرقد كلنا ولكننا كلنا** (الأحياء الأبرار) **نتغيّر في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير فيُقام الأموات** (الأبرار) **عديمي فساد** (أولاً) (باتحاد أجسادهم مع نفوسهم الآتية من الفردوس) **ونحن** (الأحياء المؤمنين – متوقعاً أن يكون حياً عند مجئ الرب-) **نتغير لأن هذا الفاسد** (الجسد) **لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت عدم موت** **"** (1كو 15:51-53). وفي موضع آخر يقول أن **الراقدين بيسوع (الأبرار) سيقومون أولاً** (قيامة الأبرار : مت 24:31 ، لو 14:14، يو 5:29)، **ومن ثم الأحياء الباقين الذين يتغير جسدهم في لحظة** (أي يعبر الموت ويقوم في طرفة عين)، **ويُخطفون جميعاً في السحب لملاقاة الرب في الهواء ويرافقونه في مجيئه للدينونة حيث الباقون على الأرض هم الأشرار** (سواء كانوا أحياء أم راقدين) **الذين سيقومون للدينونة** (قيامة الدينونة – يو 5:29) (1تس 4:14-17).

ولكن القيامتين لن تكونا متتابعتين بفارق زمني بل متلازمتين، فالزمن وقتها لن يكون، والسماء والأرض تحل محلهما أخريان جديدتان (2بط 3:13، رؤ 21:1).

+ تجدر الإشارة أنه بينما **المرحلة التمهيدية من المجازاة** ، وإن كانت عربون المجازاة الأخيرة – تتم هادئة بغير مراسم ساطعة، فالملائكة تحمل أرواح القديسين وتدخل بهم إلى الفردوس حيث تتعزى في أحضان الآباء، فإن **المجازاة الأخيرة** ، التي يشترك فيها النفس المتحدة بالجسد الناهض من الموت، تتم باحتفال كبير عندما يأتي **"ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه ويجتمع أمامه جميع الشعوب"** (مت 25:31)

(3) وعن **مجازاة الأبرار** ، بتمجيد جسدهم ليكون على صورة جسد مجد المسيح (في 3:21) يكتب القديس بولس **"يزرع في فساد ويقام في عدم فساد. يزرع في هوان ويقام في مجد. يزرع في ضعف ويقام في قوة . يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً ... وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي .. إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد "** (1كو 15:42-44، 49، 50).

(4) وعن **دينونة الأشرار** يكتب القديس بولس أنه **"عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً... في نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله ولا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته متى جاء ليتمجد في قديسيه"** (2تس 1:6، 8-10).

(5) وعن **طبيعة المجازاة**، أي ما يكون عليه حال الأبرار والأشرار في مقرهم الأ بدي، فيلخّص الكتاب الصورة بأن الأبرار يتمتعون **بالراحة**، بينما سيُحرم الأشرار من الراحة ويعانون الضيق **والعذاب.**

+ فعن **الأبرار** يقول الكتاب :

" طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآب **لكي يستريحوا من أتعابهم** وأعمالهم تتبعهم" (رؤ 13:14)؛

" وإياكم الذين تتضايقون (يجازيكم) **راحة** معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته" (2 تس 1:7).

و"**الراحة**" هي الهبة التي ينعم بها الرب على مؤمنيه في العالم عندما يواصلون تمسّكهم بإلههم رغم الآلام والتجارب، كما في قوله "إحملوا نيري عليكم وتعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب **فتجدوا راحة لنفوسكم"** (مت 11:29).

وكما جاء في المزمور "ارجعي يا نفسي إلى **راحتك** لأن الرب قد أحسن إليك " (مز 116:7). فالمرتل هنا بعد استجابة الرب لتضرعه يخاطب نفسه أن تعود إلى سلامها الذي كان لها بعدما كابدته من ضيق وحزن.

والراحة هي أيضاً هبة الله لمحبيه [والتي تبدأ وهُم في الفردوس مكان الانتظار، حيث تمتع لعازر بالراحة في حضن إبراهيم "هو **يتعزى"** (لو 16:25)] في الملكوت أي حالة السلام والفرح بعد توقف الأتعاب والآلام والجهاد وجفاف الدموع وختام قصور الإنسان وهزائمه، وفوق كل شئ نهاية الموت العدو الأخير.

في مدينة النور، حيث **"لا يكون ليل هناك ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس لأن الرب الإله ينير عليهم "** (رؤ 22:5)، سيأخذ كل مؤمن نصيبه كاملاً ممتلئاً حتى ولو تفاوتت الأنصبة، بحسب ما صنع كل واحد (2كو 5:10)، ولكن الكل سيكونون مكتفين والفرح بالعريس ورفقة القديسين يشمل الج ميع، ولا تعال هناك أو صغر نفس، فلا مكان في الأبدية للعيوب الروحية والذاتية، فالكل سيكونون **"مثله "** وسيرونه **"كما هو "** (1يو 3:2)؛ " وهم

سينظرون وجهه **واسمه على جباههم** "(رؤ 4:22).

+ وعن **الأشرار** يقول الكتاب :

"فيمضي هؤلاء (الذين على اليسار) إلى **"عذاب أبدي "** (مت 46:25)؛

"ويصعد **دخان عذابهم** إلى أبد الآبدين . **ولا تكون راحة** (أي توقف للعذاب) نهاراً وليلاً للذين يسجدون للوحش ولصورته ولكل من يقبل سمة اسمه " (رؤ 11:14)؛ **"وسيعذبون نهاراً وليلاً** إلى أبد الآبدين" (رؤ 10:20).

ففي الأبدية يُحرم الأشرار من الراحة ومن رؤية وجه الله . وهذا هو **الضيق** الذي سينتهون إليه (2تس 6:1، 7). وهو **العذاب الأبدي** الذي لن يتوقف بغير راحة لالتقاط الأنفاس، و **"أتون النار "** (مت 50:13). **والنار الأبدية "** (مت 41:25، مر 43:9) ،و**"نار لهيب" (**2تس 8:1) ، و**"بحيرة النار "** (رؤ 20:19، 14،10:20) و**"الدخان"** ، وكلها تعبير عن محنة هؤلاء التي لا تتوقف . كما أن **"البكاء وصرير الأسنان "** (مت 12:8، 42:13، 50، 13:22، 51:24، 30:25، لو 28:13) هما كناية عن الحسرة والندم اللذين بلا نهاية.

وهذا العذاب هو ما يبدأ أيضاً في **الجحيم** مكان انتظار الأشرار قبل الحكم النهائي . وهو ما أشار إليه الرب من أن الغني بعد موته "رفع عينيه **في الجحيم وهو في العذاب . وهو يتعذب ... موضع العذاب"** (لو 23:16، 25، 28).

]]]

سيظل ما خفى من جوانب المجازاة أكثر كثيراً مما ظهر ومما أفصحت عنه كلمة الله. ولن تتوقف التساؤلات التي تبحث عن إجابات.

ولكن إحاطتنا بالإجابة الكاملة وتفاصيل المشهد ونوع الحياة الآتية ستنتظر إلى يوم أن نستوطن عند الرب، بحيث أن ما ننظره الآن في مرآة سنراه هناك وجهاً لوجه (1كو 12:13).

وقتها ستنتهي حيرة الذين يشغلهم مصير الكثيرين ممن لمن تصلهم كلمة الخلاص وإن التزموا بما يملي الضمير، أو هؤلاء البلايين الأمناء لعقائد لا تؤمن بالمسيح ، أو هؤلاء الذين لم يصادفوا في حياتهم غير العذاب والإهمال والاستغلال والآلام والحرمان.

فعدل الله الرحيم هو الذي سيسود وإن كنا لا نعرف الآن كيف، ولكن حينئذ، كما يقول القديس بولس، سنعرف كما عُرفنا (1كو 12:13).

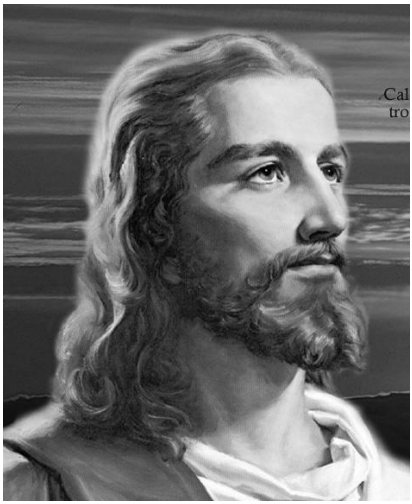

قضايا المسيحي والعالم

+ قضية الاضطهاد
+ قضية التسامح

قضية الاضطهاد

ربما يحسب البعض أنه كان للاضطهاد عصوره وأنه قد تصاعد طويلاً ولكنه قد انحسر فيما بعد وعفا عليه الزمن . وإننا إذ دخلنا عصر حقوق الإنسان فلا مجال لحديث الآن عن اضطهاد أو استشهاد.

وربما قَصَرَ البعض مجالات الاضطهاد حالياً فيما تعانيه بعض الأقليات المسيحية هنا وهناك من اعتداءات أو تمييز في الحقوق الاجتماعية وحرية العبادة، ويراها ضد التطور الطبيعي للحياة الإنسانية وأن المجتمع العالمي سيتكفل بحصارها واستئصالها طال الزمن أو قصر.

فهل يترتب على هذا أن اضطهاد المؤمنين غير وارد في المجتمعات ذات الأغلبية المسيحية؟

وهل سقطت كلمات الكتاب التي تؤكّد حتمية ودوام المواج هة بين المؤمنين -أينما كانوا - وبين العالم من حولهم، وأنها ستظل قائمة حتى انتصار الرب الأخير في مجيئه الثاني؟

أولاً : عن المواجهة بين العالم والكنيسة

لا يمكن القول إن ما سبق الرب ونبَّه إليه تلاميذه عمَّا سيُلاقونه في خدمتهم (وعن مساندة الروح القدس لهم) قد انتهت صلاحيته بنهاية عصر التلاميذ. ولكنه يظل موجَّهاً بالطبع لكل الخدام وسائر المؤمنين في كل زمان ومكان، فجميعهم تلاميذ : "اذهبوا **وتَلْمِذوا جميع الأمم** وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " (مت 19:28). كما أن تعاليم الرب لم تكن مقصورة على مَن سمعوها منه بآذانهم، ولكنها لكل مؤمن يقرأ ويسمع كلمة الله منذ أن دُوِّنت وإلى آخر الأيامِوتعالوا نقرأ:

(1) "(وقال للجميع) إن أراد أح د أن يأتي ورائي **فليُنكر نفسه ويحمل صليبه (كل يوم) ويتبعني."** (مت 24:16، مر 34:8، لو 23:9)؛ **"ومَن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً"** (لو 27:14)؛ "بِعْ كل ما لك... **وتعالَ اتبعني حاملاً الصليب"** (مر 21:10).

فالإيمان وتبعية المسيح يتضمنان با لضرورة إنكاراً للذات وانفصالاً عن العالم الشرير. فالصليب الذي نحمله (والذي يحملنا) يقف بيننا وبين العالم، يصلبه لنا ويصلبنا له : **"مع المسيح صُلِبتُ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ"** (غل 20:2)، **"أما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذ ي به قد صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم "** (غل 14:6)، **"ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات"** (غل 24:5)

فليس غريباً على كنيسة رأسها وسيدها مكلَّلٌ بالشوك ومخضَّبٌ بالدم أن تصير الآلام عنصراً أصيلاً في كيانها. وكما هي تنهض بقوة قيامته، فهي تتقوَّى بشركة آلامه (في 10:3).

(2) "إن كان العالم يُبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم . لو كنتم من العالم لكان العالم يُحِبُّ خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يُبغضكم العالم ... إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم "(يو 15:18-20)؛ **"في العالم سيكون لكم ضيق "** (يو 33:16)؛ **"بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله"** (أع 22:14)؛ **"جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون"** (2تي 12:3).

فطالما نحن نسير على درب المسيح وفي إثر خطواته، فسينالنا ما ناله من مقاومة العالم الشرير . فقانون العالم يتفق مع قانون المسيح في نقطة واحدة: إما أن نكون للعالم، أو نكون للمسيح: **"مَن ليس معي فهو عليَّ، ومَن لا يجمع معي فهو يُفرِّق."** (مت 30:12، لو 23:11)

ويصير منطقياً، إذ أ، أن يضيق بنا العالم ويعسر عليه أن يحتملنا، ويصير كل مَن يتبع المسيح موضعاً ل مقاومة الشهوة، ومُحركاً لبغضة العالم وعداوته، هذا العالم الذي يجتهد أن يهز إيمانه وينقله من موقف الخصم العنيد إلى موقف الأسير الذليل : "ولكن **كما كان** حينئذ الذي وُلِد حسب الجسد (إسماعيل) يضطهد الذي حسب الروح (إسحق)، **هكذا الآن أيضاً"** (غل 29:4).

يمكن القول إن علامة صدق إيماننا هي أن العالم يُبغضنا. وعلينا أن

نفحص أنفسنا من جهة استحقاقنا المستمر لبغضة العالم هذه لئلا تمضي بنا الأيام فنشتهي مع العالم صُلحاً . ولنحذر إقبال العالم وانفتاحه علينا واندماجه فينا وعدم تعرُّضنا لاضطهاده : **"ويلٌ لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً"** (لو 26:6)؛ فلعل هذا يكون علامة أننا تنكَّبنا الطريق وراء المسيح ورضينا بأن نلقي عنا صليبه وأن نخونه في بيت أحبائه.

(3) "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين " (مت 24:6)؛ **"لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم"** (1يو 15:2)؛ **"لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنّه أية خلطة للبر والإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟ وأيّ اتفاق للمسيح مع بليعال؟ وأيُّ نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟ وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان؟"** (2كو 14:6-16)؛ **"لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية "** (عب 4:12).

والمؤمن مُطالب أيضاً أن يكون في موقف المحارب المقاوم : **"فقاوموه راسخين في الإيمان "** (1بط 9:5)، مشتركاً في "احتمال المشقات **كجندي صالح ليسوع المسيح** " (2تي 3:2)، عابراً من **الباب الضيِّق**، وسائراً في **الطريق الكَرب** (مت 13:7و14، لو 24:13)، وأن يرفض الحلول الوسط أو الحياد، أو الشركة المؤقتة، وأن يكون استقلاله عن العالم ساطعاً لا لَبْس فيه. ففي هذه المواقف مع العالم لم يأتِ المسيح ليُلقي سلاماً واتفاقاً بل **سيفاً وانقساماً** (مت 34:10).

فهذه الحرب قد فُرضت علينا فرضاً عندما قبلنا المسيح مخلِّصاً . واضطهاد المؤمن الحقيقي من الخارج (العالم) ومن الداخل (الجسد) ليس أمراً عارضاً، ولكنه في صميم الحياة المسيحية . ولا طريق أمامنا غير رفض المصالحة ومواصلة الجهاد دون تراجع : **"هاربين من الفساد** الذي في العالم بالشهوة " (2بط 4:1)، مستندين إلى وصية الله و**"ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع"** (عب 2:12).

(4) على أننا لا ننشد الاضطهاد، لأننا مرضى نفسيون، أو أننا متشائمون نتفادى الفرح ونتوجس من مباهج الحياة، أو أننا نتلذَّذ بالألم ونفتش عليه، أو نسعى وراء تقدير الناس وتمجيدهم كمحتملين للعذاب أو كشهداء من أجل المبادئ. فسيف الاضطهاد مؤلم، ومحنة المؤمن في هذا العالم شديدة، ولكن الآلام مقبولة - رغم كل شيء - فقط لأنها حصاد تبعيتنا للمسيح الذي أحبنا وأسلم ذاته لأجلنا، ولأن طريق الصليب هو الطريق الوحيد للنور الأبدي : **"وُهِبَ لكم لأجل المسيح لا**

أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله " (في 29:1). فنحن بقبولنا المسيح، لا نسعى للاضطهاد، ولكن الاضطهاد هو الذي يسعى إلينا. والقديس أثناسيوس صار ضد العالم Contra Mundum، لأن العالم تحالف ضده.

ثانياً : الاضطهاد اليوم: تغيَّرت الوسائل والأهداف واحدة

قد يتغيَّر شكل الاضطهاد ووسائله بتغيُّر الزمن، ولكن مضمونه وهدفه باقٍ على حاله لا يتغيَّر أو يتوقَّف إلاَّ بنهاية الأيام؛ ذلك أن محرِّكه في كل العصور واحدٌ، وهو إبليس رئيس هذا العالم (يو 11:16)، خصمنا الذي لا يهدأ ولا يهادن، والذي يجول من حولنا كأسد زائر ملتمساً مَن يبتلعه (1بط 8:5)، وهو المشتكي علينا أمام إلهنا نهاراً وليلاً (رؤ 10:12)، وهو الذي له في كل عصر صورة ووجه، وله مع كل مؤمن أسلوب، وهو أحياناً يستخدم نفس أدواته القديمة بعد أن يجدِّدها ويصقلها لتُلائم العصر:

(1) أول مصادر المقاومة وأقربها إلى المؤمن هو **ذاته وإنسانه العتيق وخبراته الخاطئة الماضية،** فكم تؤرِّق المؤمن محاربات الداخل التي يثيرها إبليس.

(2) وكم يُضطهد المؤمن أحياناً من عائلته، فتُشهِّر به، وتُعطِّل مسيرته ودعوته، وتُحارب خدمته، وتسخر منه. والرب نفسه عانى من أقرب الناس إليه : **"ولما سمع أقرباؤه، خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا إنه مختل"** (مر 21:3)، حتى أنه قال : **"وأعداء الإنسان أهل بيته "** (مت 36:10).

(3) وكم يُضطهد المؤمن اليوم**باستغلال التقنيات الحديثة والفنون في تزيين الخطية** (والخطايا الجنسية بالذات). فلم يَعُد العالم يُقدِّم الخطية مجرَّدة فجَّة، ولكنه يجتهد أن يعرضها في أجمل صورة ويغلِّفها بأبدع الأقنعة، ويكرِّس كل مواهب العقل الإنساني وقدراته الحديثة في خدمتها، ليس فقط لتصير مقبولة غير مُنفِّرة، وإنما مُغرقة في الإبهار، سواء في الكتاب والقصة والمجلة أو في الفيلم والصورة الملونة عَبْر الأقمار الصناعية (على القنوات التلفزيونية العالمية والشبكة الدولية) التي تدخل

إلى كل بيت بحكم التطور[٢٨]. إضافة إلى استغلال الموسيقى والأغنية والأماكن المترفة (كل هذا باسم الثقافة والترفيه)، فضلاً عن موجات الانحلال المختلفة في الملبس والزينة (باسم الموضة) وألوان الرقص الخليع بالغ الإثارة (باسم التسلية والتحضُّر وترويض الغريزة).

كما لا نغفل هذه الإباحية الجنسية التي تسود الغرب - والتي تزحف علينا بكل الوسائل - باسم الحرية والتربية الواقعية والعولمة وحتى حقوق الإنسان! فبصورة عامة لم تَعُد العلاقات الجنسية قبل الزواج معيبة خاطئة، وإنما على العكس مؤهِّلاً طبيعياً للارتباط (دون زواج) أو للزواج ! وحتى الشذوذ الجنسي الذي كان في الماضي يثير الاستهجان والتقزُّز (والذي يشير اسمه إلى أنه ضد الطبيعة)، عُدِّل اسمه ليصير الجنسية المثلية، وصار في بعض بلاد الغرب حقًّا من حقوق الإنسان يكفله القانون، وتقوم من أجل قبوله التظاهرات، ويُدان مَن يُشهِّر بمن يمارسونه!

وعلى الناحية الأخرى اعتُبرت الطهارة تخلُّفاً حضارياً وتعبيراً عن نفسيات معقدة تناهض الطبيعة. واستُهلكت الغرائز، التي أودعها الله فينا لخيرنا، لحساب اللذة وعلى حساب مفهوم الحب المقدس والعائلة المسيحية، وصارت الحرية على عكس الوصية فرصة ل لجسد وسترة للشر (غل 13:5، 1بط 16:2).

إن انحسار الخطايا الجنسية بانتشار الإيمان في القرون المسيحية الأولى يتراجع الآن. بينما صار قرن الانتصارات العلمية هو أيضاً قرن التراجُع الخلقي وانتشار الخطية الفاجرة وارتفاع صوتها دون خجل أو مواربة، بل بكل جسارة وتبجُّح وتحدٍّ وادِّعاء وتفاخر : **"مجدهم في خزيهم"** (في 19:3)، كأنما صارت هي الحق المطلق! وأن حياة القداسة والعفة هي الانحراف المريض والتخلُّف الحضاري ومجافاة الطبيعة.

وسط هذا الجو الموبوء بلذة الجنس والخمر والمخدرات يتحرَّك المؤمنون والمؤمنات المتمسِّكون بطهارتهم ك السائرين على الجمر، يتعرَّضون للسخرية والعزلة كأنهم مرضى نفسيون لا يسندهم سوى

---

(٢٨) لابد أن نشير هنا إلى كيف استُخدمت وسائل الاتصالات الحديثة (إضافة إلى التليفونات المحمولة أو الخلوية) في سلب الوقت من العبادة ببرامج الكرة والتلفزيون والإنترنت، أو الدخول في محادثات وعلاقات قد تكون لها عواقبها السيئة.

إيمانهم بالمخلِّص الذي حرَّرهم، وثقتهم في غلبته في النهاية

(4) العالم يضطهد المؤمن **بسلاح المال** في وقت تنتشر فيه عبادة المال في كل مكان، فيحجبه عنه ليورِّثه الهمّ أو الإحساس بالظ لم، أو يغريه به للتخلُّص من ضائقته على حساب مبادئه والتزامه، أو يُحفِّزه للتطلُّع إلى حياة أكثر رفاهية وتنعُّماً حتى ينزلق إلى محبة العالم ويتوه منه هدفه الأبدي.

(5) العالم يتسلل إلى العائلة المسيحية ويجعلها **تختلف وتنقسم** على أمور ميتة (كالمال مثلاً) مستثيراً في القلب الطمع ومحبة الذات، أو **يغري بالخيانة** والتحلُّل من التعهُّد خضوعاً للشهوة، وقد ينخدع البعض وتكون النتيجة بيوتاً منهارة وضحايا كباراً وصغاراً.

(6) بينما يرى البعض أن التقدُّم العلمي الهائل واقتحامه لكل المجالات حتى الفضاء الخارجي، وانتصارات الطب ا لمختلفة وتطلُّعاته لحل مشاكل الإنسان، واستخدام الهندسة الوراثية في الطب والإنتاج الزراعي والحيواني وغيرها من ألوان البحث؛ كلها تمجِّد الله الذي وهب الباحثين (حتى غير المؤمنين منهم) هذه القدرات، **فإن العالم المضلّ يستغل الفكر العلمي المجرَّد لهزّ إيمان البس طاء** وتقديم العلم على أنه التحدِّي المعاصر للإيمان بحيث يفقدون ثقتهم في قدرة الله وأنه ضابط الكل.

نعم، كان هناك وقت تجاوزت فيه الكنيسة الغربية اختصاصها ودخلت في خصومة مفتعلة مع العلم والعلماء، بل واقتادت بعضهم إلى الموت في محاكمات ظالمة. ولكن هذا العهد انقضى بل - في اعتذار علني شجاع - أعادت الكنيسة الاعتبار إلى العالِم جاليليو، كما تراجعت عن مناوأة نظرية التطور . وعلى مر السنين ظهرت كتابات عظيمة تُصالح بين الدين والعلم وتؤكِّد أن كلاً منهما في النهاية يقود إلى تمجيد الله: الدين عن طريق الإيمان، والعلم عن طريق المعرفة والبحث. ولكن يبقى لكلٍّ منهما الدائرة التي يعمل في نطاقها دون أن يُعادي أحدهما الآخر. العلم الصحيح ليس ضد الله، بل إنه في خدمة الله والإنسانية، إنه نتاج الرحمة ومحبة المريض والفقير والمحتاج والجائع وتيسير حياة الناس. والمؤمن لا يهاب تقنيات العالم الحديثة أو ينفر منها، بل هو يستخدمها في المعرفة والعلم والعمل والاتصال لمجد الله، وهي ليست عنده أدوات لتغذية الشهوة.

(7) وأليست محنة للمؤمن، وهو يرى **نزعات الإلحاد والشكّ** تجتاح شعوباً بأكملها كانت يوماً تتعبَّد للمسيح، وغيرهم ملايين يعبدون حتى

الآن آلهة غريبة؟

(8) العالم يضطهد المؤمن بمحاولة **التسلُّل إلى الكنيسة وضربها من الداخل،** فيُغريها بالزعامة والشهرة أو بوفرة المال، أو بالعمل بالسياسة، ويجتذبها إلى أن يكون لها رأي في كل مجال، أو أن تتحوَّل إلى العمل الاجتماعي دون أن يقترن ذلك بالكرازة بالخلاص بهدف أن تختلط بالعالم وتذوب فيه فتفقد مصدر قوتها ويتراجع دورها في الشهادة للحق. ومن ناحية أخرى فإن العالم وأبواقه يستغل خطايا قلة من رجال الدين كي يُشهِّر بالكنيسة والمتدينين ويُلقي بالظلال على استقامة الجميع ويُعطي راحة للخطاة في خطيتهم.

(9) وأليس من المؤلم لنفس ا لمؤمن أن يرى العالم متَّحداً ضد الكنيسة، جسد المسيح، **كي تستمر منقسمة إلى كنائس ومذاهب،** راضية بتفتيت الجسد الواحد ومقاومة محاولات الوحدة حفاظاً على المكان الأول؟

(10) وفي مجال الخدمة يضطهد العالم الخدَّام بإثارة التطلُّع إلى المكان الأول **والتحلُّل من قانون "الرجوع مثل الأولاد"** (مت 3:18)، وقانون **"غسل الأرجل"** (يو 14:13) اللذين اشترط الرب على خدَّامه الالتزام بهما، أو بأن **تتحوَّل الخدمة إلى الشكلية،** دون عمل روحي حقيقي أو كرازة بالتوبة.

(11) وبالنسبة للمؤمن العادي، فإن العالم يضغط بكل السُّبُل لإلهائه عن خلاصه و توبته وعبادته ومعرفة الكلمة، **وأن يكتفي بشكل العبادة دون فاعليتها وصورة التقوى دون قوتها،** أو أن ينزلق إلى حياة مزدوجة يريد فيها أن يخدم سيدين (ولن يستطيع)، أو أن يتحلل من الالتزام الإيماني ومعرفة المسيح كي يتفادى عداء المتعصِّبين من غير المسيحيين.

(12) والقائمة طويلة، ولكن ربما تجدر الإشارة هنا إلى الاضطهاد النفسي والظلم الاجتماعي وألوان التمييز المختلفة وما يتفرَّع عنها من عشرات التفاصيل خاصة عندما يكون المؤمنون أقلية عددية وسط كثرة مناوئة.

ثالثاً : سبيلنا إلى الغلبة

إن النفوس المنتمية إلى الرب تُدرك أنه لا بد من مواجهة العدو ومقاومته. فالتهرُّب من المواجهة والرضوخ للعالم هو إنكارٌ للإيمان وبيعٌ للنفس الثمينة دون مقابل . ومن هنا فلنكن دوماً مستعدِّين لابسين

سلاح الله الكامل لكي نقدر أن نثبت ضد مكائد إبليس (أف 11:6)، واضعين أمامنا الاعتبارات التالية:

(1) إن مفتاح الغلبة الوحيد على كل هذه الألوان من الاضطهادات وما يستجدّ منها، هو في الارتماء على الرب يسوع والتعلُّق بذراعه الرفيعة **"مَن هو الذي يغلب العالم، إلاَّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله"** (1يو 5:5)؟ فهو وحده القادر أن يُعطي قوة المواجهة والصمود أمام العدو مهما كانت الواجهة التي يتخفَّى وراءها، ويمنح إمكانية القلع والقطع والبتر واحتماله مهما كان مؤلماً (مت 8:18و9، مر 43:9و45و47). وهو وحده القادر أن يكشف لنا الموت الكامن في كأس العالم المسموم مهما كان بريقه وجماله. وهو وحده القادر أن يفتح لنا أبواب ا لأبدية فنتعزَّى بمرآها عن كل مجد العالم الزائل (1يو 17:2).

(2) إن إيماننا بالمسيح الذي غلب (يو 33:16، رؤ 2:6) هو عطية الله لمغالبة كل ضُروب الألم . والكتاب يروي لنا عن : **"الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا برًّا، نالوا مواعيد، سدُّوا أفواه أسود، أطفأوا قوة النار، نَجَوا من حدِّ السيف، تَقوَّوا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء "** (عب 33:11و34). هؤلاء ارتفعت في عيونهم قيمة الأبدية، فتصاغرت قيمة الحياة الحاضرة. ومن هنا يمكن أن نفهم كيف لم يقبلوا النجاة **"لكي ينالوا قيامة أفضل"** (عب 35:11).

كما أن اختبارنا اليومي لمحبة المسيح لنا يجعلنا راضين عن كل ما يختاره لأجل خلاصنا وتزكية إيماننا، آلاماً كانت أم أفراحاً، عالمين "أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله " (رو 28:8). **فالمسيح راعينا الأمين يراقب كل شيء ولا بد أن مستندات الآلام التي نجوزهقد عُرضت عليه وصدَّق عليها بموافقته. ولكن عينه علينا، وهو لأمانته لا يسمح للآلام أن تتجاوز غرضها المبارك بل يجعل معها المنفذ** (1كو 13:10)، كما أنه لا يجعل عصا الخطاة تستقر على نصيب الصدِّيقين (مز 3:125). وهو لن يترك بلا تأديب كل الذين اشتركوا في اضطهاد مؤمنيه، حتى وإن كانوا -من حيث لا يدرون -سبباً في تمجيدهم الأبدي

(3) إن المؤمن الحقيقي يُدرك أنه ينتسب إلى ملك الملوك، الذي

خرج غالباً ولكي يغلب، وهو المخلِّص الوحيد، وديَّان الأرض كلها . فهو يشعر دوماً بقوته المستندة إلى قوة إلهية . ومن هنا فلا مكان عنده لعقدة الاضطهاد أو هموم الأقليات التي تُرهق المؤمنين الشكليين.

(4) الإيمان الحقيقي يغلب الذات ومحبة الحياة الحاضرة بما تتضمنه من محبة العالم والمال، ويستثير التوبة، ويُحقِّق الطهارة الباطنية واستقامة القلب. وواضح أن النصرة على الخارج لن تكون مكفولة إن لم تتم النصرة على الداخل أولاً.

والمؤمن (والمؤمنة) وهو يحفظ نفسه طاهراً (1تي 22:5) يُدرك أنه مدعوٌّ لحياة القداسة، وأنَّ جسده هو هيكل للروح القدس (1كو 19:6) وليس للأوثان، وأن كل أعضائه هي للمسيح (1كو 15:6)، وأن الحرية التي كفلها له موت المسيح وقيامته هي خروج من سجن الخطية، ومن هنا فنداءات العالم الذي يركض إلى فيض الخلاعة (1بط 4:4) لا تجد صداها عنده، لأنها تنكسر عند باب قلبه بمساندة الروح . وبهذه الطهارة يُقدِّم المؤمن نفسه لله بتولاً مكرَّساً أو يتهيَّأ لزواج مقدَّس تمتد به الكنيسة. وهكذا تعمل الغريزة لحساب الحياة الأبدية لا لحساب اللذة والموت.

وتصير مسئولية كل مؤمن يهاجر إلى مجتمعات تُجاهر بخطيتها أن يثبت على ما تعلَّمه (2تي 14:3)، وأن يبشِّر بالقيم المسيحية في السلوك والحب والزواج وحماية العائلة - كنيسته الصغيرة - من الفساد الذي في العالم **"مُقدِّماً نفسك في كل شيء قدوة للأعمال الحسنة"** (تي 7:2). وهو في هذا يسلك كتلميذ لذاك الذي مات من أجله، وواثقاً في قوة برِّ المسيح الذي غلب الخطية على الصليب، والقادر وحده أن ينقذه من أن تقترب النار منه، كما أنقذ لوطاً من قبل (2بط 7:2): **"يَعْلَم الرب أن يُنقذ الأتقياء من التجربة، وي حفظ الأثَـمَة إلى يوم الدِّين مُعاقبين، ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد في شهوة النجاسة "** (2بط 9:2و10).

(5) إننا نثق في عدالة الله وحبه لخليقته ودوام اتصاله بها . إن الملايين التي لم تعرف المسيح بعد وتوارثت عبادة آلهة غريبة هي موضوع رعاية الله، وهو يرتِّب لها مَن يُبلِّغها كلمة الخلاص في الوقت الذي عيَّنه. والكتاب يشير إلى أن **"كثيرين يُدْعَوْن وقليلين يُنتخبون "** (مت 16:20). ولكن عند الله خططه التي لا نعرفها. فالشيوعية عاشت

سبعين سنة منعت خلالها العبادة واستخدام الكتاب المقدس، ولكنها انهارت بضربة واحدة، وسطع نور المسيح من جديد في أنحاء روسيا وغيرها من بلاد أوروبا الشرقية . كما أن قصص التحوُّل الكثيرة إلى المسيح في مجتمعات تنكره كمخلِّص لممَّا يملأ القلب يقيناً من جهة قدرة الله المعجزية على اقتحام معاقل العدو مهما تحصنت، وأنه لا حدود هناك أمام عمل الروح القدس.

(6) إن قوة الكنيسة هي من الأعالي وليست من البشر . والروح القدس هو الذي يكشف بين الحين والحين نواحي القصور وأسباب الضعف ويُعالجها، مستخدماً شهوده الأمناء الذين يُرسلهم في كل جيل . كما أن حضور الروح القدس في الكنيسة، عروس المسيح، هو سر نقائها، ولن تُلوِّثها خ طايا بعض البشر . وسيظل رأس الكنيسة ملك الملوك ورب الأرباب هو عنوان طهارتها، وغيرته على بيته وتدخُّله لطرد المفسدين لن تتوقَّف.

ومن ناحية أخرى، فإن الروح القدس سيُلهم جسد الك نيسة - ورأسها واحدٌ هو المسيح - إلى الاتجاه إلى الوحدة في الوقت المعيَّن أيضاً، وعلينا ألاَّ نفقد رجاءنا أبداً.

(7) يسوع المسيح هو ملكنا الأبدي الذي سيدين يوماً سرائر الناس، حيث سيُميِّز الخراف عن الجداء: لهؤلاء المجد، ولأولئك خزي الوجوه. وقتها يستدُّ كل فم تحدَّى، وتنحني كل رأس شمخت، وتتلقَّى كل النفوس التي لم تؤمن بالابن غضب الله الأبدي (يو 36:3)، ووقتها أيضاً : **"يُضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم "** (مت 43:13)، وتعلو هاماتهم أكاليل البر (2تي 8:4). لقد زرعوا يوماً بالدموع والآن يحصدون بالفرح.

o o o

حرب الاضطهاد، إذن، هي حرب محكوم فيها على العالم ورئيسه وأعوانه بالهزيمة. وهذه هي كلمات الكتاب ترنِّدنا في جهادنا:

"ثقوا أنا قد غلبتُ العالم" (يو 33:16)؛

"أما الظالم فسينال ما ظلم به، وليس محاباة" (كو 25:3)؛

"إذ هو عادلٌ عند الله أن الذين يُضايقونكم يُجازيهم ضيقاً، وإيَّاكم الذين تتضايقون راحة معنا، عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته" (2تس 6:1و7)؛

"وإبليس الذي يُضلُّهم طُرح في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش

والنبي الكذَّاب. **وسيُعذَّبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين"** (رؤ 10:20).

X X X

وبعد، فإن بركات احتمال الاضطهاد هي وقفٌ على الشركاء الحقيقيين لآلام الرب يسوع (٢٩)**؛ أما المضطهَ دون الأدعياء الذين يتمسَّحون بالمؤمنين ويتظاهرون بالإيمان دون أن يتكلفوا أي عناء أو يدفعوا أي ثمن، فهم يريدون أن يستروا إتفاقهم مع العالم بالمعاناة المصطنعة والكلام المزيَّف؛ أما الذين يتحمَّلون آلاماً بسبب قبولهم للخطية وانصياعهم لها، فليس لهؤلاء مع المسيح نصيبٌ.**

---

(٢٩) بالطبع فإن ا لحياة عموماً لا تخلو من الآلام، وبعضها يسحق القلب من المرض والفقر والمجاعات وثورات الطبيعة التي لا ترحم طفلاً أو شيخاً أو حيواناً، إلى ويلات الحروب من خراب وقتلى ومشوَّهين وجرحى ومُهجَّرين وعداءات لا تنتهي، ثم حرب الإرهاب والحرب المضادة والأبرياء الذين يفقدون الحياة أو يشوَّهون ويُعانون في الحالَين، فضلاً عن ألوان الإعاقة الذهنية والجسدية، واستغلال الإنسان للإنسان، إلى آخر قائمة البؤس الإنساني.

بعض هذه الجوانب من ميراث خطية الإنسان، وبعضها يسمح به الله كي يُمارس الإنسان خدمة الرحمة ويقترب من أخيه الإنسان وبعضها يصعب علينا فهمه فنُردِّد مع القديس بولس **"يا لَعُمق غِنَى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطُرُقه عن الاستقصاء!** (رو 33:11)، وإنما هي تعبيرٌ عن أن **"العالم كله قد وُضِعَ في الشرير "** (1يو 19:5)، وأن النقص هو من طبيعة هذه الحياة التي ستكمُل في الأبدية.

فالإنسان متألِّم على أي حال، والملايين الذين استوفوا البلايا والمحن وضروب العذاب في هذه الأرض (مثل لعازر ــ لو 19:16ــ31) ستكون لهم في القيامة راحة بصورةٍ ما تُحقِّق العدل الإلهي. ولكن يتعالى جداً بما لا يُقاس قدر ومكانة الألم من أجل الإيمان وبسبب تبعية السيِّد. هذا الألم هو هبة المسيح لأحبائه وشركة في المجد وسُكنى في النور مع الرب وقديسيه إلى الأبد.

قضية التسامح

يحتل مبدأ **التسامح** موقعاً مركزياً في التعليم المسيحي. ومع هذا فهو موضع عدم الرضا من كثير من المنتسبين للمسيح الذين يرون في التسامح المسيحي نقطة ضعف، بل يرى فيه البعض تعبيراً عن الجُبن والتخاذُل فضلاً عن أنه يُشجِّع الآ خر على تجاوز المسيحي وهضم حقوقه بل واضطهاده.

ولا شكَّ أن ما جاء به المسيح في تعليمه عن التسامح بدءاً مما جاء في موعظته على الجبل **"مَن لطمك على خدِّك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً. مَن سخَّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين"** (مت 5: 38-41)، كان جديداً وصادماً، ليس فقط على أول مَن سمعه من اليهود في ذلك الزمان، ولكنه لا يزال عسير التنفيذ في نظر الكثيرين.

ونحن هنا نتناول هذه القضية مُصلِّين بكل طلبة أن يكشف لنا المعلِّم الحقَّ المذخَّر في وصيته.

معنى الكلمة

الفعل **يُسامح** مشتقٌّ من **يسمح**، أي يوافق ولا يُمانع لشخص بالتصرُّف، أو لأمر ما أن يتمَّ، أو يتيح الكلام أو الرد . فالرب إزاء توقُّف المعمدان عن تعميده باعتبار أنه هو المحتاج، طلب إليه أن **"اسمح** الآن... حينئذ **سمح** له" (مت 3: 15).

والسماح قد يعني **الإسقاط من الحساب** كما في الآيات **"غير حاسبٍ** لهم خطاياهم" (2كو 5: 19)، "طوبى لمَن **لا يحسب** لهم الرب خطية" (مز 32: 2، رو 4: 8)، أو قد يعني **إسقاط الديْن** كما ذكر الرب في مَثَل الدائن والمديونَيْن **"فسامحهما** كليهما" (لو 7: 42)، وكما كتب القديس بولس لفليمون بشأن العبد أُنسيمس: "فإذا كان لك عليه دين، **فاحسب ذلك عليَّ"** (فليمون 18).

ففي التسامح عفوٌ وتغاضٍ وتنازلٌ عن حقي في اعتذار الآخر أو في الأشياء أو في التعويض أو في الديْن.

بين التسامح والغفران

في الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس، لا تختلف هاتان الكلمتان ويُقابلهما forgiveness ومشتقاتها، وتأتي في الآيات التي تَرِد فيها "سامح" ومشتقاتها (لو 7: 42،43؛ 2كو 2: 7،10؛ أف 4: 32؛ كو 2: 13؛ 3: 13).

إلاَّ أنه في الترجمة العربية تتمايز الكلمتان، رغم العلاقة الوثيقة بين التسامح والغفران [1]، فكلٌّ منهما يؤدِّي إلى الآخر، ينبع منه ويقود إليه. فالمتسامح دوماً قادر على الغفران، ومَن استطاع أن يغفر يقدر أن يُسامح.

ولكن ربما كان الغفران مُقترناً بخطأ واضح موجَّه ضدي عمداً وقصداً (اعتداء، إهانة، إيلام، شتم، تَقَوُّل بالباطل ... إلخ)، وفي أكثر الأحيان ممَّن أعرف (قريب، صديق، زميل، جار): **"إن أخطأ إليك أخوك فوبِّخه،** وإن تاب **فاغفر له"** (لو 17: 3). **فالغفران** هو بين المؤمن وإخوته، وهو يتطلَّب من المخطئ أن يتأسف ويعتذر ويتوب، ومن الطرف الآخر أن يغفر وينسى.

ولكن **التسامح** أشمل نطاقاً من ناحية **الفعل** ومن ناحية **الآخر. فالفعل** قد لا يكون خطأً صريحاً: مجرد شكوى (كو 3: 13) أو تجاوز أو إهمال أو تقصير، أو سلوك غير ودِّي، أو غضب غير مُبرَّر، أو أمر أو رأي موضع خلاف، أو نزاع على شيء، أو ربما أذىً أو اعتداء ولكنه عن غير قصد.

والآخر قد يكون عابر سبيل أو شخصاً لم يُصادفني من قبل (ولكن بالطبع قد يكون مِمَّن أعرف). وكما تُعبِّر الآيات التي ساقها الرب: **"مَن لطمك ع لى خدِّك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً. ومَن أراد أن يُخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً. ومن سخَّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ... أحبُّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مُبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم"** (مت 5: 39-41،44).

فالآخر هنا معتدٍ يضطهد: يلطم ويُخاصم ويُسخِّر ويُعيِّر ويُعادي ويلعن ويُبغض ويُسيء ويطرد، وهو طرف ربما لا تربطك به أية صلة، يقطع عليك الطريق أو يقتحم حياتك؛ ولكنه ربما يكون أيضاً أقرب الناس إليك: رفيق حياتك أو صديقك الغضوب، وربما يكون

---

(1) راجع مقال "**قضية الغفران**" في الكتاب الأول "**في السلوك المسيحي**" من "**نور الحياة**" ص76.

رئيسك الظالم المريض الذي يضطهدك ويسلبك حقك.

التسامح فضيلة غنية

تستمد فضيلة التسامح جذورها من المحبة، الفضيلة العظمى، وتوابعها: التأنِّي والرفق والاحتمال (1كو 13: 4،7) والرحمة واللطف والوداعة وطول الأناة والصبر واتساع القلب والاتضاع وعدم الإدانة . ومن هنا فهي فضيلة غنية متسعة الأرجاء تنعكس في العديد من جوانب السلوك المسيحي اليومي التي نشير هنا إلى بعضها:

(1) في التسامح نحن نقبل الآخر . وهذا لا يعني مجرد الإقرار بوجوده دون أن يكون لنا به علاقة (أو ربما مع تمنِّي غيابه في العقل الباطن)، وإنما التعامُل معه إيجابياً ككائن مساوٍ وربما أفضل، فنحن كلنا خليقة الله الواحد، وخلاصنا صنعه الرب بدمه وليس لنا فضل فيه غير قبولنا هذه النعمة. فالتسامح ضد التعصُّب والانحياز والانكفاء على الذات. وبعض الناس تفادياً للمشاكل يُقاطع الآخر تماماً (ويسمون ذلك اقتصاراً) كأن الآخر غير موجود . هذه كراهية لا تَخفَى وإنكار للمسيحية.

وعندما قال المسيح في نهاية حديثه عن العلاقة مع الأخ المُخطئ : "فليكن عندك كالوثني والعشار" (مت 18: 17)، فإن هذا يكون موقفك مِمَّن يتمسك بمقاطعتك: فأنت تُعاتبه بينك وبينه وحدكما وهو لا يسمع، وهو لا يسمع من الوسطاء، وحتى الكنيسة لا يسمع لها . ومع هذا فقضيتك معه لم تنتهِ، إذ أنت تنتظر اللحظة التي يفتح فيها الباب الذي أوصده، وعندها ستكون مستعدّاً للتعامُل معه (ولو على حذر إذا كان في ماضي العلاقات ما يُبرر هذا التوجُّه . فالله أوصانا أن نكون "حكماء كالحيَّات وبسطاء كالحمام" خاصة لو كنا وسط ذئاب - مت 10: 16).

وبالطبع، فإن العلاقات تتفاوت في شدَّتها . فكلما اتفقت الميول والأهداف تصير العلاقة أوثق، والمحبة المتبادلة تعمِّق الشركة . الحب والاهتمام من جانب واحد يجعل العلاقة أقل وثوقاً وأكثر فتوراً، ولكن الإهمال والمقاطعة ليست واردة مسيحياً في ظل وصية تقول: **"أحبوا أعداءكم"** (مت 5: 44)، و **"إن جاع عدوك فأطعِمْهُ، وإن عَطِشَ فاسْقِهِ"** (رو 12: 20).

(2) التسامح يَحُول دون دخول الضغائن والميل إلى الانتقام إلى القلب "لا تجازوا أحداً عن شرٍّ بشر " (رو 12: 17؛ 1بط 3: 9). ويتضمن القدرة على نسيان الإساءة، وتأجيل المواجهة بشأنها إلى

ظروف مواتية أكثر، أو حتى إسقاطها تماماً إذا كان العتاب سيُؤجِّج الإساءة ويُذكِّر بها . فالتسامح ضرورة لنمو العلاقات خاصة بين الزوجين والأهل والأصدقاء، بينما ترصُّد الآخر دائماً للرد على ما ضايقنا منه يُدمِّر العلاقات ويوغر الصدور ويُطفئ المحبة. التسامح هو بلسم للجراح وبه نتفادى النزاعات والقضايا والضحايا الكثيرين.

ولا مكان مع التسامح للشماتة عند سقوط مَن عاداك والتشفِّي فيه. بل على العكس، هي فرصة لردِّ الإساءة بالإحسان والمساندة ساعة ضعفه، وبهذا تُخرجه من أسْر العداء والبغضة : **"فإنك بهذا تجمع جم ر نار على رأسه"** (رو 12: 20).

(3) التسامح يُزيل عوائق الجنس واللون والدين ويجعل الكل أقرباء الكل. والرب ساق لنا مَثَل السامري (لو 10: 25-37) الذي لم يتوقَّف أمام أي اختلاف بينه وبين الجريح الذي كان يُصارع الموت، ولكنه - في تحنُّنه على مَن لا يعرف - أتى به إلى فندق واعتنى به، وأوصى صاحب الفندق أن يُواصِل العناية به مُلتزماً بنفقاته . فالرب بالتسامح وسَّع دائرة الاهتمام من القرابة العائلية إلى القرابة الإنسانية، حيث البشر جميعاً إخوة وكل منهم مسئول عن أخيه.

(4) في التسامح يسهل أن تقترب من الناس وتُجاملهم وتربحه م. وتمثَّل بالقديس بولس الذي تعامل مع الكل مقترباً إلى المشترك في عقيدتهم: اليهودي (الآباء، الوصايا العشر، الأنبياء كباراً وصغاراً الذين بشَّروا بالخلاص)؛ واليوناني (الإله المجهول - أع 17: 23)؛ والذين بلا ناموس (الضمير الأدبي والأخلاقي)، دون أن يتنازل عن إيمانه، والهدف أن يربحهم للمسيح.

(5) التسامح يفرز بطء الغضب وضبط الانفعال. وحتى الشخصيات سريعة الغضب تتهذَّب بالنعمة التي تُبقي على حماسها لكن تُجرِّدها من الانفعال المنفلت، فتتحول إلى شخصيات متسامحة تُمارس "العفو عند المقدرة" وتكتسب روح الوداعة التي تحتمل تقصيرات الآخرين وتجاوزاتهم الكبيرة والصغيرة (عدم تنفيذ الوعد - عدم الالتزام بالموعد - عدم رد الجميل أو رده بالإساءة - الفشل في تتميم الواجب - عدم إتقان المطلوب وغيره)، وترحم المُخطئ وتلتمس له العذر وتُشاركه أثقاله، فلا أحد معصوم من الخطأ **"لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا"** (يع 3: 2)، **"إذاً مَن يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط"** (1كو 10: 12).

وكما يوصينا معلِّمنا بولس الرسول: **"أيها الإخوة، إن انسبق إنسان**

فأْخِذ في زلَّةٍ ما، فأصلِحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرَّب أنت أيضاً . احملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا تمِّموا ناموس المسيح" (غل 6: 1،2).

وخاصة مع المبتدئين وصغار النفوس، فالتسامح يُشجِّع البوادر الطيبة فيهم: **"قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مُدخِّنة** (خامدة) **لا يُطفئ"** (إش 42: 3؛ مت 12: 20)، **"شجِّعوا صغار النفوس. أسندوا الضعفاء"** (1تس 5: 14)، ويتفادى قسوة المؤاخذة واللوم على كل هفوة لأن هذا يُعثرهم ويُحبطهم ويُعطِّل تحررهم من ضعفهم.

وعند النقد وتصويب الأخطاء، فإن اللطف والحكمة والموضوعية، دون تشهير أو تبكيت أو تصيُّد، يُتيح للمخطئ أن يتعلَّم الصواب ويُتقنه وإلاَّ ضاق بالتوجيه واستمر في خطئه. والكتاب المقدس يوصي الآباء **"لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا"** (كو 3: 21).

(6) التسامح هو قاعدة بناء التعامُل الإنساني في المجتمعات المتقدمة: في البيت والمدرسة والنادي والطريق وأماكن العمل ووسائل الانتقال وغيرها. وهو وراء ما نسميه "الذوق" والأدب وتفادي المشاكل العابرة اليومية ووأدها سريعاً. وفي هذا المجال نلتقي مع وصايا الكتاب **"مُقدِّمين بعضكم بعضاً في الكرامة"** (رو 12: 10)، **"فكل ما (وكما) تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء"** (مت 7: 12؛ لو 6: 31).

ولسهولة التعامل بين أفراد البيت الواحد، كباراً وصغاراً، ونجاح زمالة المدرسة والعمل، ومرونة التعامل بين الناس في الأماكن العامة، وتفادي مشاحنات قادة السيارات في الطرق المزدحمة، وانتظام الجمهور في صفوف كلٌّ في دوره دون تخطٍّ أو تجاوز أو تزاحم؛ كل هذا يتطلَّب إعمال التسامح (ولو من طرف واحد)، وإلاَّ صارت الحياة عبئاً والعالم ساحة لحرب غير مُعلنة، والضحية هي سلام القلب، والنتيجة تراجُع المودة وانتشار العداء وتربُّص كل واحد للآخر.

(7) التسامح هو أحد أعمدة خدمة المسيحي . فهو كمسيحي مُسخَّر لخدمة المحتاج حتى لو لم يطل ب. وهو إذا طُلبَ أن يسير معه ميلاً واحداً فعليه أن يسير معه ميلين، أي أن يُقدِّم بسخاء كسيده دون تحفُّظ، ويُعطي أضعاف ما يأخذ . المحبة المتبادَلة والخدمات المتبادَلة لا يعتبرها الرب أمراً يستحق المكافأة : **"لأنه إن أحببتم الذين يُحبونكم، فأيُّ أجر لكم؟ ... وإن سلَّمتم على إخوتكم فقط، فأيُّ فضل**

تصنعون؟ أليس العشارون يفعلون هكذا؟ " (مت 5: 46،47)، **"وإذا أحسنتم إلى الذين يُحسنون إليكم، فأيُّ فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضاً يفعلون هكذا . وإن أقرضتم الذين ترجُون أن تستردُّوا منهم، فأيُّ فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضاً يُقرضون الخ طاة لكي يستردوا منهم المِثْل. بل أحبُّوا أعداءكم، وأحسنوا وأقرِضوا وأنتم لا ترجُون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بني العَلِيِّ "** (لو 6: 33-35).

(8) في التسامح إنقاذ للنفس التي أخطأت، والتي يمكن أن تعود إلى جادة الصواب لو نالت فرصة ثانية . والقسوة عليها وإغ لاق باب العودة أمامها يقودها للهلاك رغماً عنها.

والرب أتاح الفرصة الثانية للخطاة كي يتوبوا، فشجَّع الكثيرين الذين لم يجدوا من قبل حولهم سوى الإعراض والإهمال والترقُّع، بل والقسوة وطلب القصاص. وهذا ما رأيناه عند لقاء الرب بالمرأة التي أُمسِكَت في زنا، وبينما كل مَن حولها يطلبون قتلها - حسب الناموس - فإن الرب وحده هو الذي أنقذها من مصيرها ورأى حاجتها إلى فرصة ثانية كي تنتقل من الموت إلى الحياة، فكان قوله لها بعد أن كشف خطايا الجميع الخافية: **"... ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تُخطئي أيضاً"**(يو 8: 11)؛ وهو ما كان يفعله في كل مرة يتواجه مع الخطاة : المرأة الخاطئة في بيت الفرِّيسي، والسامرية، وزكَّا رئيس العشَّارين، ومريض بركة بيت حسدا، وغيرهم، الذين تغيَّرت حياتهم عندما أعطاهم الرب فرصة جديدة للخلاص.

وفي الغرب فإن تعبير الفرصة الثانية يشير إلى اتجاه في الحياة بإتاحة الفرصة لمَن أخطأ أو تعثَّر أو فشل لكي يبدأ من جديد، وهكذا قد يتغيَّر مسار حياته.

وهذا هو توجُّه الله معنا كل يوم، فهو يقبل توبتنا بعد كل خطأ ويمنحنا فرصة ثانية، حتى قيل عن الله إنه **آله الفرص الثانية** God is a God of second chances، وهذا ما أتاحه الله لشمشون ود اود ويونان وشعب نينوى وبطرس وبولس، فنهضوا من عثرتهم أقوياء وخلَّصوا كثيرين.

لماذا التسامح؟

البعض يتساءل: هل من فائدة أو ميزة إنسانية للتسامح؟ ألا يبدو توجُّهاً مضاداً للعقل والكرامة الإنسانية وحتى للسلام بين الناس، وتعبيراً عن الخنوع والخوف، ألا يَسمح بانتشار الشر والعدوان وسطوة

التجبُّر وضياع الحقوق؟

(1) في الأساس : إن التسامح تعبير عن سلوك مسيحي أصيل واقتداء بشخص مخلِّصنا الذي ترك لنا مثالاً لكي نتبع خطواته **".. الذي إذ شُتِمَ لم يكن يَشتم عِوَضاً، وإذ تألم لم يكن يُهدِّد بل كان يُسلِّم لمَن يقضي بعدل "** (1بط 2: 21،23). فقد فتح قلبه لكل الخطاة من كل جنس ولون حتى قيل عنه إنه **"محبٌّ للعشّارين والخطاة "** (مت 11: 19؛ لو 7: 34). وبهذا جذبهم إليه بمحبته وغفرانه. ولم تقف عقبة أمام اقترابه منهم حتى الناموس والتقاليد اليهودية، فهو تحادَث مع نساء بعضهن زانيات، ودخل بيوت الأمميين، ولمس نعش ابن الأرملة، وسمح لنازفة الدم أن تلمسه، وتعامَل مع البُرص المنبوذين وذوي الأرواح النجسة، وسامح الذين أهانوه وعيَّروه ولطموه وتفلوا عليه وحتى الذين صلبوه.

(2) ووصية الكتاب الصريحة **أن نسامح بعضنا بعضاً** (كو 3: 13) **وأن نكون متسامحين كما سامحنا الله أيضاً في المسيح** (أف 4: 32) **"بجميع الخطايا"** (كو 2: 13). والله يسامحنا كل يوم على خطايانا وتقصيراتنا في المحبة والعبادة والخدمة وعدم فعل الخير، وبالتالي فلكي نتمتع باستمرار الصفح الإلهي علينا أن نُمارس التسامح في حياتنا على كل مستوى، وإلاَّ يحدث لنا ما جرى للعبد الرديء الذي كان مديوناً بعشرة آلاف وزنة ولمَّا توسَّل إلى سيِّده أن يتمهَّل عليه تحنّ ن عليه وأطلقه وترك له الدين. ولكن لما خرج العبد ولم يُسامح مَن كان مديوناً له بمئة دينار ولم يستجب لتوسلاته بل ألقاه في السجن حتى يُوفِي الدينْ، غَضِبَ السيد على العبد وسلَّمه للعقاب حتى يوفي ما كان عليه . وفي ختام هذا المَثَل قال الرب **"فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته"** (مت 18: 23-35).

(3) أتت شريعة العدل "عين بعين وسن بسن " (مت 5: 38) لتهذيب الميل للانتقام الساحق المضاعف الذي يشفي غليل الإنسان البدائي، حتى جاءت شريعة الكمال في عهد النعمة التي توصينا ألاَّ ننتقم لأنفسنا بل أن نترك النقمة والمجازاة لله وحده (رو 12: 19)؛ وتسعى لإيقاف عجلة الثأر التي لا تتوقف لتحل محلها قوة الحب والتسامح التي تئد تيار العداء وتسمح ببروز الأُخوَّة الإنسانية وتقديم المحبة والخدمة بدل البغضة والتربُّص . ولكن هذا يظل غير متاح للإنسان الطبيعي وإنما فقط للإنسان الجديد **"المخلوق بحسب الله في البر وقداسة**

الحق" (أف 4: 24).

فمقاومة الشر تلهبه وتنعشه، أما عدم مقاومته مع الصمود أمامه فيُطفئه ويميته، وهكذا يغلب الخيرُ الشرَ **"لا يغلبنَّك الشر، بل اغلب الشر بالخير"** (رو 12: 21).

(4) إن الانتقام ورد الإساءة بالإساءة - على عكس ما يبدو - **علامة ضعف** وخضوع لنوازع غريزية يغيب معها العقل، وهو رد الفعل الطبيعي لحماية الذات أخذاً بالثأر، وهو ما يطيل أمد العداء ويُعمِّقه، بينما التسامح هو **علامة قوة** ضبط ميول الجسد والانحياز لصوت الله وعمل الروح، وهو الذي يوقف متوالية الانتقام التعسة ويُطفئ نيران الغضب.

إن الأقوى روحياً وشخصياً هو القادر على التسامح، ومَن يحوِّل الخد الآخر بعد اللطمة الأولى (فعلاً أو مجازاً) هو مَن يستطيع أن يردع نفسه عن الانتقام الفوري استجابةً لنداء الإنسان العتيق، وهو بهذا يصدُّ تيار الشر بكبح جماح نفسه كما ينقذ الآخر من مواصلة عدوانه الذي لا يفيد.

(5) إن العنف والعنف المضاد والسعي للانتقام، يقضي على كل ما هو إنساني. وكم من جرائم قتل كان السبب فيها كلمة طائشة أو شائعة أو سوء فهم أو خلاف على قروش قليلة أو غيرها من الأسباب التافهة، وكان يمكن تفاديها لو كان هناك قدر من التسامح وضبط النفس. وليس ما نراه حولنا من الحروب والقتل الجماعي اليومي إلاَّ الثمار المُرَّة لعدم القدرة على التسامح وقبول كل إنسانٍ للآخر، وكل جماعة للأخرى، وغياب حقيقة أن العالم يمكن أن يتسع للجميع[2].

(6) إن ردَّ الشر بالشر (أو مواجهة الخطأ أو التجاوز أو الاختلاف بمثله)، على عكس الوصية **"لا تجازوا أحداً عن شرٍّ بشر "** (رو 12: 17؛ 1بط 3: 9)، يُعطي لمَن بدأ الإساءة شيئاً من الرضا وبعض الحق فقد تساوى مع مَن أساء إليه (واحدة بواحدة)، بينما التسامح والتعفُّف ورد الشر بالخير يضع المعتدي في مأزق ويكشف خطأه ويُجبره على مراجعة نفسه ويوقف تداعيات الغضب. وهكذا فالمتسامح ينقذ أيضاً المخطئ من نفسه ويُحرره من قيود إبليس عدو كل خير.

---

[2] في رواندا الأفريقية قتل الهوتو 800.000 من التوتسي في 100 يوم فقط سنة 1994.

(7) نحن إذ نسامح، نستجيب لو صية الرب المذكورة في الأناجيل الأربعة بأكثر من صورة، والتي يبدو أن الرب كررها كثيراً **"مَن وجد حياته يضيعها، ومَن أضاع حياته من أجلي يجدها "** (مت 10: 39)، **"مَن يحب (طلب أو أراد أن يُخلِّص) نفسه يهلكها، ومَن يهلك نفسه من أجلي (ومن أجل الإنجيل) يجدها (فهو - أو فهذا - يُخلِّصها)"** (مت 16: 25؛ مر 8: 35؛ لو 9: 24)، **"مَن طلب أن يخلِّص نفسه يهلكها، ومَن أهلكها يُحييها "** (لو 17: 33)، **"مَن يحب نفسه يُهلكها، ومَن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياةٍ أبدية "** (يو 12: 25).

فإنَّ مَن عينه على خلاص نفسه وإنقاذها من الهلاك ي هلكها هنا (أي يردعها ويمنعها من السلوك الجسدي - رو 8: 13)، فلا ينساق وراء صوت الشر ونزعة الانتقام بل بالنعمة يُسامح ويتنازل ويترك ويحتمل، فحياتنا الأبدية تستحق .

(8) التسامح يتناغم مع سلوك "العين البسيطة " التي أوصانا الرب أن تكون لنا، والتي تغض الطرف عن الس يئات وتتجاوز عمَّا هو شرير إلى ما هو خيِّر (مت 6: 22؛ لو 11: 34). وفيه نلتفت إلى عيوبنا نحن إذا تصادف والتقطنا عيوب الآخرين عن غير قصد ، وهكذا نفلت من السقوط في الإدانة، وبالتالي سقوطنا تحت الدينونة **"لا تدينوا لكي لا تُدانوا "** (مت 7: 1؛ لو 6: 37). كما أن تسا محنا بإزاء تقصيرات الآخرين وتجاوزاتهم خلال الصلاة، يحفظ تركيزنا في العبادة ويحمينا من تشتُّت الفكر، ويحصر ذهننا في الله الذي نقف أمامه، ويملأ القلب حضورُه المملوء مجداً .

ملاحظات

+ **التسامح شخصي،** أي أنني أتسامح فيما يتعلَّق بي، ولكن ليس مقبولاً أن أتسامح في حق الغير وحق المجتمع . فاللص الذي يقتحم بيتي ينبغي تسليمه للشرطة "ويُلقى في السجن حتى يُوفِي الفلس الأخير" (مت 5: 26)، وفي ذلك حماية للآخرين . وربما أدَّى عقابه إلى ردعه وتوبته ورجوعه عن انحرافه إلى كرامة العيش الشريف والعطاء بعد الأخذ الحرام [3]. وكانت هذه وصية القديس بولس : **"لا**

---

[3] ليس شائعاً أن يتواجه اللص مع مَن يسرقه في بيته، فهو عادة يدخل البيوت في

يسرق السارق فيما بعد بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه، ليكون له أن يُعطي مَن له احتياج" (أف 4: 28).

والأمر بالضبط كما في وصية **"أحبوا أعداءكم"** (مت 5: 44). فالقصد أن أحب عدوي أنا وليس عدو غيري أو عدو وطني، وإلاَّ ضاعت الحدود بين المحبة والخيانة.

كما أن التعدِّي على الذين يشغلون وظائف عامة، أثناء تأدية عملهم، ليس أمراً شخصياً يجوز التسامح فيه، لأن هؤلاء يمثِّلون المجتمع أو المؤسسة أو الدولة، والتسامح هنا يقف عند حدود التجرُّد من الخصومة الشخصية دون أن يعفي المعتدي من العقاب[4].

فالهدف في النهاية هو الانتصار على الشر وحصاره، وهذا قد يكون بالتسامح أو يكون بالعقاب والردع.

+ **التسامح ليس مطلقاً،** أي مهما تكون النتائج، فهو لا يبرر أي خطأ أو انحراف، خاصةً لو امتدت آثاره إلى الآخرين . وهو لابد أن يُحقِّق غاية نبيلة. من هنا فالصرامة والشدة والمواجهة هي ضرورة في بعض الأحيان لإنقاذ شخص يتَّجه نحو الهلاك.

فالأم لن تسامح طفلها الذي يلعب بالنار لئلا يؤذي نفسه أو غيره، أو

غياب أصحابها . وإذا حدثت المواجهة في البيت أو في الطريق فستكون تحت التهديد، ومن حسن التصرُّف هنا إعطاء اللص ما يريد لإنقاذ الحياة، ثم إبلاغ الشرطة. ولكن بعض أصحاب القلوب الكبيرة استطاعوا أن يُغيِّروا حياة اللص الذي باغتهم، مثل هذه السيدة الأمريكية **(آشلي سميث)** التي قطع عليها الطريق لصٌّ قاتل هارب من محاكمته **(برايان نيكولز)** فجر أحد أيام الشتاء (2005/3/12) وهي عائدة إلى بيتها، وتبعها إلى الداخل وقيَّدها، ولكنها استجمعت شج اعتها وأخذت تُحدِّثه عن ظروفها القاسية وموت زوجها الشاب ضحية اعتداء، وكيف أن قتلها سيجعل ابنتها ذات الخمس سنوات يتيمة الأبوين، وبيَّنت له أنها الآن في طريق العودة إلى الله بعد تغرُّب طويل، وشجَّعته أن يحكي هو أيضاً قصته، وقرأت له فصلاً عن الخدمة المسيحية م ن كتاب **ريك وارن "الحياة الهادفة"**. وبعد ساعات أعلن اللص توبته وسلَّم نفسه للشرطة طوعاً، وحوكم ودخل السجن . وأخذ يُبشِّر زملاءه المساجين بالخلاص . وهكذا وهو في السجن صار أكثر حرية من كثيرين خارجه.

(4) فبابا روما الراحل يوحنا بولس الثاني سامح الشاب التركي الذي حاول قتله، بل وزاره في سجنه، ولكن هذا لم يعفِهِ من قضاء مدة العقوبة.

إذا اعتدى على أخيه أو صديقه، وستُطالبه بعد العقاب بالاعتذار والتعهُّد بالكفِّ عن هذا السلوك؛

والأب لن يتسامح مع ابنه الذي انزلق إ لى الإدمان إلاَّ إذا استجاب للخضوع للعلاج والتأهيل لحمايته من تدمير نفسه ومستقبله؛

والمدرس لن يتسامح مع التلميذ المقصِّر في أداء واجباته إلاَّ إذا أدرك مغبَّة إهماله، أو التلميذ الذي يعتدي على زملائه إلاَّ إذا عاد إلى صوابه، وسيكون لومهما أو عقابهما خدمة لن ينسياها طول الحياة؛

والمراقب لن يتسامح مع الطالب الذي يغش في الامتحان لأنه يسرق زملاءه آخذاً ما لا يستحق، وسيكون حرمانه من الامتحان إنقاذاً له من أن يصير الغش قانون حياته في قادم الأيام بما يقوده إلى الظلام.

فالتسامح في مثل هذه الحالات خطأ لا يُغتفر مهما توسَّل المخطئ، لأنه يضرُّ به كما يضرُّ بالآخرين، والعقاب أو اللوم مهما كانت شدته هو الطريق الصحيح لتقويم هؤلاء.

والصديق الحقيقي يواجه صديقه المنحرف ولا يُمالئه خشية أن يفقد صداقته، فهو بمواجهته ينقذه من الضلال. فناثان النبي بيَّن محبته للملك داود بأن واجهه، مُرسَلاً من الله، بخطيته فغيَّر مسار حياته، وجعله يقرُّ بخطيته ويغسل انحرافه بدموع توبته (ولكنه لم يَسلم أيضاً من التأديب الإلهي - 2صم 12).

+ **لا تسامح في أمور الإيمان،** أو فيما يهدد وحدة الكنيسة (لكن دون أن يبرر ذلك بالطبع استخدام العنف أو الانتقام أو القسوة أو الإهانة بأي نوع، فالوصايا لا تتجزأ). فالمبتدع يواجَه ويُنذَر ثم يُحاكَم بعدل، فإذا أصرَّ على انحرافه يُعاقَب لحثِّه على الرجوع إلى الحق. والذئاب الخاطفة تُطرد لحماية الرعية. والذي يُهاجِم العقيدة يُرَدُّ عليه لإظهار حق الإنجيل، مع الالتزام بالأدب المسيحي وعدم تجاوز وصية المحبة.

+ **التسامح لا يتعارض مع وجود القوانين ولوائح العقاب.** والخارجون على القانون يُعاقبون من أجل إصلاحهم حمايةً للمجتمع، ولا تساهُل معهم ولا تسامُح، فهذا ليس مجاله. ولكن من الممكن الإفراج عن السجين قبل نهاية مدة العقوبة إذا أظهر حُسن سلوكه لتشجيعه على الاستقامة وتغيير نهج الحياة.

+ في رؤية لوصية المسيح **"كُن مُراضياً لخصمك سريعاً ما دمتَ معه في الطريق "** (مت 5: 25)، فإن كثيراً من الخلافات "في الطريق" لا تستحق التصعيد، لأنها عابرة؛ وخصمك جمعتك به

المصادفة وحدها، فليمض كل منكما إلى حال سبيله وليُطرَح الأمر ليُنسى.

< < <

إن التسامح - كالمحبة - أحد وجوه الحياة المسيحية الساطعة . والسبيل إليه لن يكون بالتدريب والمحاولة، وإنما بطلب مؤازرة النعمة أي عمل الروح القدس الذي صار لنا في المسيح . وهكذا بجهاد النفس المؤمنة - بالروح - ضد أهوائها، تتحوَّل من الحياة حسب الجسد لكي تحيا بالروح (رو 8: 13). فالمسيح هو الطريق لنوال كل هبات الروح، لأننا بأنفسنا لا نستطيع . وهذا هو قول الرب : **"تكفيك نعمتي"** (2كو 12: 9)، **"بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً "** (يو 15: 5). وهذه هي خبرة القديس بولس : **"أستطيع كل شيء في المسيح الذي يُقويني "** (في 4: 13).

فإذا كنا في الجسد نميل إلى الانتقام والبغضة ومجازاة الشر بالشر، فنحن في الروح وبقوة الوصية نستطيع أن نحب عدونا ونسامح مَن يؤذينا. وهكذا نغلب الشر بالخير، ونوقِف تيار العداء بقوة المحبة.

وهذه هي القوة الحقيقية للتسامح الذي يصنع المعجزات.

قضية الملكوت

+ ملكوت الله..والإنسان

ملكوت الله ..والإنسان

لأن الله هو أصل كل الوجود، وهو **الملك**: **"الرب ملك** إلى الدهر والأبد" (مز 16:10، مت 34:25) "أنت هو **ملكي يا الله** " (مز 4:44) **"يا ملكي وإلهي"** (مز 2:5، 3:84)، **"ملك المجد "** (مز 7:24-10)، وهو **المالك**: **"يملُك الرب** إلى الأبد "(مز 10:146) **"أنت تمتلك كل الأمم "** (مز 8:82) "الرب قد **مَلَك** " (مز 1:93، 1:97، 1:99)، وهو **صاحب المُلك والسلطان والمجد: "الإله القادر على كل شئ"** (= ضابط الكل) (خر3:6، إش6:13، رؤ6:19)؛

من هنا يصير الوجود كله هو **ملكوت الله** أو **مملكة الله**[1] **"الرب في السموات ثبّت كرسيه ومملكته على الكل تسود!** (مز 19:103)؛

واليهود في خشيتهم ورهبتهم وتوقيرهم لاسم **"الله"** (يهوه- خر 15:3)، كانوا يستخدمون تعبير **"ملكوت السموات"** (مت 2:3، 17:4، 7:10)، وهو ما استخدمه القديس متى وحده بين الإنجيليين الأربعة في إنجيله الذي كان موجهاً إلى اليهود [وإن استخدم تعبير **"ملكوت الله"** أكثر من مرة (مت 33:6، 28:12، 24:19، 31:21، 43)]. وقد يبدو تعبير **ملكوت السموات** وكأنه يقصر الملكوت على السماء حيث عرش الله (مز 4:11، إش1:66، مت 34:5، 9:6، لو 2:11، أع 49:7): **"السماء ... كرسي الله**... الأرض... موطئ قدميه " (مت 34:5، 35)، ولكن إذا فهمنا أن مركز الملكوت هو في السماء فيصير تعبير **"ملكوت السماء"** أو **"ملكوت السموات"** مكافئاً لـ**"ملكوت الله"**.

ومُلك الله "يعني السيادة والهيمنة والتملك"**للرب المُلك وهو المتسلط على الأمم** " (مز 28:22)، **"قضيب الاستقامة قضيب مُلكك"** (مز 1:45، عب 8:1)، **"لأن لك المُلك والقوة والمجد"** (مت13:6)، **"مَلَك الله على الأمم"** (مز 8:47)، **"هللويا فإنه قد مَلَك الرب الإله القادر على كل شئ"** (رؤ6:19).

---

(1) رغم اتفاق معنى الكلمتين في الإنجليزية Kingdom of God ، إلا أن معنى "**الملكوت** " في العربية أكثر اتساعاً من "**المملكة**". فالأخيرة تعني المنطقة من العالم التي يمتد فيها مُلك الملك ويسود حُكمه، أما كلمة "**الملكوت**" فأشمل، فهي إضافةإلى ما سبق تتضمن أيضاً أموراً غير مادية مثل القدرة والقوة والسلطان والمجد والعزة [كما يهتف الملائكة أمام العرش الإلهي (رؤ12:5) وكما يهتف المؤمنون للملك المصلوب في احتفالهم بأسبوع آلامه].

وسنرى أن المعنى سيتسع في الأناجيل (أي في العهد الجديد) ليشمل كل ما يتصل بالخلاص والمجئ الثانيوالدينونة والحياة الأبدية للمؤمنين

أولاً: البدايات

بدأ الله بخلقة **الملائكة** أرواحاً خادمة حول العرش الإلهي ولتنفيذ المهام التي يُكلَّفون بها. ولما سقط من بينهم **إبليس** وجنوده طُردوا من ملكوت الله وطُرحوا في سلاسل الظلام في جهنم (2بط 4:2) محفوظين بقيود أبدية إلى دينونة اليوم العظيم(يه1:6).

وعندما خلق الله **الإنسان** على صورته ومثاله (تك1:26) كي يحيا مع الله في ملكوته، وضعه في جنة عدن (تك 2:15)، وكان الله يفتقده ويخاطبه، ولكنه بعصيانه هو الآخر فقد مكانه ومكانته وطُرد إلى الأرض.

على أن الله لم يتركه بل تبنّى قضيت ه ووعد بخلاصه وإعادته إلى مركزه القديم (تك3:15) ليتأهل من جديد لدخول الملكوت (2تس 1:5). وتعهد برعاية النفوس التقية التي آمنت به حتى أنه ضمّ بعضهم عنده [**أخنوخ** (تك 5:24)] وأنقذ خاصته الذين ساروا معه [**نوح** وذويه (تك 6:18)] من الهلاك الذي طال العالم القديم (2بط 2:5). **وصار إبراهيم** بإيمانه أباً لجميع المؤمنين بالله (تك 4:17، رو 4:11، 12، 16) ومن نسله جاء شعب الله **إسرائيل** الذي وحده بين كل الشعوب وقتها الذي آمن بالله.

ثانياً: ملكوت الله والعهد القديم

+ في كتابات الأنبياء تقترن الإشارة إلى ملكوت الله بمجئ **المسيا** ، شخص الرب، الذي سيعلنه، ويكون الإيمان به هو باب الدخول إليه.

فيعقوب وهو يبارك أبناءه يتنبأ **"لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون** (ملك السلام) **وله يكون خضوع شعوب "** (تك 49:10).

فقيام مملكة إسرائيل لم يكن غاية في ذاته وإنما كان تمهيداً لاستعلان المسيا وتأسيس عالم جديد هو ملكوت الله الذي يضم كل من يؤمن. فكان هناك آباء وقضاة وملوك وأنبياء ولكن الله كان **الملك الحقيقي** ووصاياه هي الدستور الذي يتحتم على الكل طاعته : آباء

ولاويين وقضاة وملوكاً وشعباً "فقال جدعون **: لا أتسلط أنا عليكم ... الرب يتسلط عليكم** " (قض 23:8).

+ وبحسب أمر الله، إذا أراد الشعب أن يختار له ملكاً، فإنه ينبغي أن يكون خاضعاً لمُلك يهوه واختياره، لئلا يصير الأمر انسحاباً من سيادة الله . وهكذا أخبر موسى شعب إسرائيل :

"متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك وامتلكتها وسكنت فيها **فإن قلت أجعل عليّ م لكاً كجميع الأمم الذين حولي، فإنك تجعل عليك ملكاً الذي يختاره الرب إلهك . من وسط إخوتك تجعل عليك ملكاً . لا يحلّ لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبياً ليس هو أخاك** " (تث 14:17، 15)؛

ويقول للملك "**وعندما يجلس على كرسي مملكتة يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته، لكي يتعلم أن يتقّي الرب إلهه ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض ليعمل بها، لئلا يرتفع قلبه على إخوته ولئلا يحيد عن الوصية يميناً أو شمالاً لكي يطيل الأيام على مملكته هو وبنوه في وسط إسرائيل** " (تث 17: 18-20).

+ ولم يكن الأمر سهلاً مقبولاً . وعندما طلب الشعب ملكاً من **صموئيل** ساء الأمر في عينيه (1صم 5:18، 6)، والله اعتبر ذلك رفضاً له حتى لا يملك عليهم (1صم 7:8). ولكن تحت إصرار الشعب اختار صموئيل لهم **شاول** ملكاً (1صم 24:10) (1095 ق م) ثم **داود** (1صم 2:16) (1055 ق م) الذي قال عنه الرب إنه **رجل حسب قلبه** (1صم 14:13، أع 22:13)، ومن نسله جاء مخلص العالم (ابن داود - مت 1:1). وبعده جاء **سليمان** (1015 ق م) الذي قال عنه الله "**هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبّت كرسي مملكته إلى الأبد**" (2صم 13:7).

وكان دور الأنبياء تذكير الملوك بخضوعهم لمُلك الله ومواجهتهم بانحرافهم وإنذارهم بالعقاب (2صم 1:12-14، 11:24-19).

+ وبعد سليمان (975 ق م) انقسمت المملكة إلى مملكتي **يهوذا** (أورشليم)، **وإسرائيل** (السامرة) وبانفصال الملوك عن الملك الأعظم دبّ فيها الضعف وصارت نهباً للغزاة (أشور : 859-606 ق م – بابل : 605-582 قم – فارس 558-335 ق م)، وخضع

الآلاف للسبي أكثر من مرة في بلاد الغزاة (إر 1:29-20) وجاء الغزاة بأوثانهم إلى أورشليم . وامتد الخراب إلى الهيكل (نبوخذ نصّر : 588 ق م)، وبعد العودة من السبي أُعيد بناء الهيكل (يوشيا – نحميا – زكريا : القرن 5 ق م). وفي 333 ق.م كان غزو الإسكندر المقدوني والخضوع للحكم اليوناني حتى 175 ق.م حين قامت ثورة المكابيين (166 ق م) التي امتدت حتى 63 ق.م عند غزو الرومان . وتم خراب الهيكل من جديد في 70 م (واستُكمل في 140 م) لينتهي دوره تحقيقاً لنبوة الرب (مت 23:38، 39، 24:2، مر 13:2، لو 21:6).

ثالثاً : نبوات العهد القديم

(أ) عن الرب وفدائه وملكوته

وتتابع نبوات أنبياء إسرائيل عن الرب مؤسس الملكوت وظهوره في العالم، فيقول **إشعياء** (740 ق م) "لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً وتكون **الرياسة** على كتفه ويدعى اسمه **عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد** " (إش 9:6، 7).

ويقابل ما تنبأ به **إشعياء** قبل 700 سنة من ميلاد المسيح ما قاله الملاك المبشّر "**ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية**" (لو 1:32، 33).

ويقول **دانيال** (605 ق م) عن ملكوت المسيح "يقيم إله السموات **مملكة** لن تنقرض أبداً" (دا 2:44)؛ " كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل **ابن إنسان** أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرّبوه قدامه **فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض** " (دا 7:13، 14).

ويتنبأ عن آلام الرب وخراب أورشليم "وبعد اثنين وستين أسبوعاً **يُقطع المسيح** (يصلب) وليس له (ليس من أجل نفسه) وشعب رئيس (الرومان) آت **يخرب المدينة** (أورشليم) **والقدس** (الهيكل) وانتهاؤه بغمارة (كطوفان) **وإلى النهاية حرب وخرَب قُضي بها** ويثبّت عهداً (جديداً) مع كثيرين في أسبوع واحد وفي وسط الأسبوع **يُبطل الذبيحة**

والتقدمة وعلى جناح (الهيكل) **الأرجاس مُخَرّب** (رجسة الخراب) **حتى يتم ويُصبّ** (العقاب) **المقضيُّ على المخرِّب"** (دا9:26، 27) (قابل مع مت2:24، 15).

ويتنبأ **ميخا** (742 ق م) عن ميلاد المسيح في بيت لحم وعن مملكته **"أما أنت يا بيت لحم أفراته** (بيت لحم) **وأنت صغيرة** (لست الصغرى) **أن تكوني بين ألوف** (رؤساء) **يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على** (مدبر يرعى شعبي) **إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل"** (مي5:2، مت6:2).

ويتنبأ **زكريا** (480 ق م) عن دخول الرب أورشليم **"ابتهجي جداً يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور** (منتصر) (ولكنه) **وديع وراكب على حمار** (أتان) **وعلى جحش ابن أتان"** (زك 9:9، مت5:21).

وقبل أن يبدأ الرب خدمته كان هناك **يوحنا المعمدان "الملاك الذي يهيئ الطريق قدام الرب** " [ملا 3:1 (430 ق م)، مر 1:2] مفتتحاً عصر الملكوت **"توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات"** (مت2:3).

(ب) عن ملكوت أبدي للأبرار في القيامة

"ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون (أورشليم السمائية) **بترنّم وفرح أبدي على رؤوسهم"** (إش35:10)؛

"جعل الأبدية في قلبهم التي بلاها (بدونها) لا يدرك الإنسان العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية" (جا 3:11)؛

"لأن الإنسان ذاهب إلى **بيته الأبدي** " (جا 12:5) (قابل مع 2كو 5:1)؛

"فيرجع التراب إلى ا لأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها" (جا12:7)؛

"لأن الله يُحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفيٍّ إن كان خيراً أو شراً" (جا12:14)؛

"وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي (قابل مع يو 5: 28، 29) ، والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور(دا12:2، 3) (قابل مع مت13:43)؛

"وبعد أن يُفنى جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله" (أي 19:26).

رابعاً : ملكوت الله والعهد الجديد

بمجئ المسيح تتحقق نبوات أنبياء إسرائيل عن ع هد جديد بين الله والناس وتجلٍّ لملكوت الله على الأرض بتجسد ابن الله وسكناه بين البشر وفيهم، وهكذا يدخل ملكوت الله تاريخ الإنسان والعالم ويتحقق كاملاً مجيداً ويُستعلن في ملئه بمجئ الرب الثاني ودخول قديسيه إلى المجد

(1) عن كرازة المسيح

+ **"جاء يسوع إلى الجليل ليكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل** " (مت 23:4، 35:9، مر1:14، 15، لو1:8، 11:10)،**" قد أقبل عليكم ملكوت الله** " (مت 28:12، لو 20:11) .

والمقصود باقتراب ملكوت الله وإقباله أنه جاء ملء الزمان لافتقاد الله للإنسان وخلاصه واستعلان الملكوت، واقتراب المخلص من الصليب والموت والقيامة. الباب المؤدي إلى الملكوت . وبالتالي فالتوبة والإيمان بالمخلص تضع قدمى المؤمن على طريق الملكوت وهو على الأرض عندما يبدأ حياته الجديدة بميلاده الثاني (يو 5:3، تى3 5:3، 1بط1 23:1، 21:3) ويدخل الفرح السماوي في اليوم الأخير **حيث يأتي كثيرون "من المشارق والمغارب (ومن الشمال والجنوب) ويتكئون مع إبراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات (الله)"** (مت 11:8، لو 28:13، 29).

ولأن ملكوت الله روحي فهو خارج الزمان والمكان، وهو يملأ الكون كله . وبالنسبة لكل إنسان **فه و يبدأ الآن "تأتي ساعة وهي الآن** حين يسمع الأموات (بالخطايا – أف 1:2) صوت ابن الله **والسامعون يحيون** " (يو 25:5). والمؤمن لا يبحث عن الملكوت خارجه **"ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك لأن ها ملكوت الله داخلكم** " (لو 21:17). فالذي يؤمن بالابن ينجو من الهلاك و**"تكون له الحياة الأبدية"** (يو3:15، 16). والرب قال لزكا بعد إيمانه **"اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً ابن إبراهيم** " (لو 9:19). **فالخلاص والحياة الأبدية يبدآن الآن**. والمعلم يقول لتلاميذه مطمئناً **"لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت"** (لو 32:12).

والمؤمن الواثق يحيا على الأرض وكأنه دخل السماء فعلاً، وفي حياته اليومية يتبع وصايا الملكوت وإن تعثر فبالتوبة ينال الغفران ويواصل السير في مخافة الله مسنوداً بالنعمة حتى الساعة الأخيرة

+ **وفي الصلاة الربانية** يعلمنا الرب أن نهتف في ابتهالنا اليومي **"ليأت ملكوتك"** (مت 10:6، لو 2:11).

ورغم أن المعنى الظاهر من **إتيان الملكوت** هو أن يملك الله علينا الآن وعلى المدى البعيد في المجئ الثاني والقيامة الأخيرة لاستعلان ملء الملكوت، إلا أن الملكوت قد استعلن بالفعل على الأرض بالتجسد والصليب والقيامة. فالرب يلهمنا أن نتطلع إلى الساعة الأخيرة منشدين **"ليأت ملكوتك"** ونحن على الأرض كأننا في الملكوت بالفعل والله يملك علينا، خاصة وقد زالت الحواجز بين الأرض والسماء في عهد الله الجديد:

- **فالابن الكلمة "صار جسداً وحل بيننا"** (يو 14:1)؛

- وصوت **الآب** سُمع يوم المعمودية ويوم التجلي وبعد دخوله الأخير إلى أورشليم (قبل الفصح) (مت 17:3، 5:17، مر 11:1، 7:9، لو22:3، 35:9، يو28:12)؛

- **والروح القدس** ظهر مثل حمامة يوم المعمودية (مت 16:3، مر10:1، لو16:3) ثم كألسنة نار يوم الخمسين(أع3:2)؛

- **والملائكة** تراءت للعذراء مريم (لو 28:1) وزكريا الكاهن (لو11:1) والرعاة (لو9،3:2) ويوسف النجار (مت20:1، 13:2، 19) (وربما للمجوس أيضاً)؛

- **والنبيان موسى وإيليا** بعد أن توارِيا قروناً يعودان من مستقرهما ويكونان إلى جوار المسيح في التجلي(مت3:17، مر4:9، لو30:9)؛

- **والرب** بعد صعوده ظهر كنور باهر لشاول في طريق دمشق (أع 6-3:9، 7:22، 8، 13:26-18)؛

- **والروح القدس** يحل على الماء (في المعمودية) وفي سائر الأسرار، ونحن نتناول جسد الرب ودمه في الإفخارستيا

- **والرب حاضر في الكنيسة** بوعده **"ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر "** (مت 20:28) **"حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم"** (مت20:18).

.. وهذا ما تسّجله أيضاً **رسائل الرسل وصلوات الكنيسة**:

- **"لأنه سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي**

يخلق الاثنين (اليهود والأمم) **في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ويصالح الاثنين في جسد واحد بالصليب قاتلاً العداوة به "** (أف 2:14-16)؛

"وأن يصالح الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه (كو 1:20)؛

" إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمّراً إياه بالصليب" (كو2:14)؛

"والحاجز المتوسط نقض ته والعداوة القديمة هدمتها وصالحت السمائيين والأرضيين وجعلت الاثنين واحداً " (صلاة الصلح – القداس الغريغوري)؛

" ووحّد وألف السمائيين مع الأرضيين والشعب مع الشعوب والنفس مع الجسد" (القسمة السريانية).

(2) المسيح ملك أبدي

+ في العهد الجديد ومنذ البداية**فالمسيح ملك وملكوته أبدي** (دا3:4، 34، 26:6، 14:7، 27) **"ويكون الرب ملكاً على كل الأرض "** (زك 8:14) كي لا تحجب الآلام الآتية والصليب والموت المجد الذي له"قبل كوْن العالم" (يو17:5):

- ففي البشارة يقول الملاك "يسوع... هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى **ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية"** (لو1:32، 33).

- والمجوس يسألون "أين هو المولود **ملك اليهود** " (مت 2:2) ويقدمون له ضمن هداياهم**"ذهباً"** للملك (مت2:11).

+ ورغم اختلاط مفهوم **"الملك"** بين المسيح وبين اليهود وغيرهم، فاللقب كان م قترناً بالرب [2] سواء في أقواله هو أو عندما يتكلم عنه الآخرون حتى أعداؤه.

---

(2) "وابتدأوا يشتكون عليه (أمام بيلاطس) قائلين إننا وجدنا هذا (يسوع) يفسد الأمة ويمنع أن تعطي جزية لقيصر قائلاً إنه هو **مسيح ملك**" (لو23:2)؛"هؤلاء كلهم (بولس وسيلا ومن تبعهم) يعملون ضد أحكام قيصر قائلين إنه يوجد **ملك آخر يسوع**" (أع7:17) "لأنه يجب أن **يملك** حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه " (1كو 15:25)؛ "**وملك الدهور** الذي لا يفنى " (1تي1:17)؛"**رئيس ملوك الأرض**" (رؤ 1:5)؛ "**ملك الملوك** ورب الأرباب " (1تي 6:15، رؤ 17:14، 19:16)؛ "**فسيملك** إلى أبد الآبدين" (رؤ11:15)؛ "الآن صار خلاص إلهنا وقدرته **ومُلكه** وسلطان مسيحه" (رؤ12:10).

- ففي أحاديث **الرب** الأخيرة عن مجيئه الثاني يقدم الرب نفسه **ملكاً** فيقول :

"ومتى جاء ابن الإنسان **في مجده** وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ **يجلس على كرسي مجده** ويجتمع أمامه جميع الشعوب... ثم يقول **الملك** للذين عن يمينه .." (مت 25:31-46). فهو يبدأ الحديث كابن الإنسان الذي يكلمهم وهو على الأرض ولكنه سريعاً ما يشير إلى نفسه **بالملك** عندما يجلس كديان كل البشر.

ولما سأله بيلاطس أأنت ملك اليهود؟ أفأنت **إذاً ملك**؟ أجابه يسوع أنت تقول **إني ملك**. لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل مَن هو من الحق يسمع صوتي " (مت 11:27، مر 2:15، لو3:23، يو33:18- 37).

- وبيلاطس أيضاً قال لليهود "هوذا **ملككم** .. أأصلب **ملككم** " (يو14:19، 15)؛

"**أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود** .. فماذا أفعل بالذي تدعونه **ملك اليهود**" (مر9:15، 12، يو39:18).

- **والجنود** كانوا يقولون "السلام يا ملك **اليهود** " (مت 29:27، مر 18:15) "إن كنت أنت **ملك اليهود** فخلص نفسك " (يو 37:23)، وجعلوا فوق رأسه علّته مكتوبة"هذا هو يسوع (الناصري) **ملك اليهود**" (مت37:27، لو38:23، يو19:19).

- **والكهنة** قالوا "إن كان هو **ملك إسرائيل** فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به" (مت4:27، مر32:15).

- وفي بداية خدمة الرب، فإن نثنائيل وقد انذهل لمعرفة الرب بأموره قبل أن يلتقي به قال له "يا معلم أنت ابن الله . أنت **ملك إسرائيل** " (يو1:47-49).

+ المسيح قبل لقب **الملك** لأنه كذلك بالفعل. وفي دخوله أورشليم قبل الصليب قبل هتاف الجموع له **ملكاً** (لو 38:19، يو 13:12)، واسترجع لرؤساء الكهنة والكتبة الغاضبين نبوة داود (مز 2:8، مت 16:21) عن تسبيح الأطفال والرضع، بل أنه قال لهم **"إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ"** (لو40:19).

+ ولكن الرب حرص على تجريد مفهوم **الملكوت** من أي ملامح سياسية أو زمنية، فأعلن وهو على مشارف الصليب **أن مملكته ليست من هذا العالم** (يو 36:18)، وهو لن يكون **ملكاً** لليهود وحدهم امتداداً

لداود وسليمان وإنما **ملكاً** لكل من يؤمن به **والملكوت سمائي "لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل "** (1بط 4:1)، وكنيسته تُعتبر هي إسرائيل الجديد الذي يضم كل المؤمنين به (رو4:11، 12، 6:9) وجسده هو الهيكل الجديد (يو2:19) والكنيسة (كو1:18) **"الذي يملأ الكل في الكل"** (أف1:23)، وإعلان ملكوته الباهر والكامل سيكون في مجيئه الثاني حيث يتمجد مع قديسيه، وتُعلن **"أورشليم العليا"** (غل 4:6) **"والجديدة"** (رؤ21:2) **"مدينة الله الحي"** (عب 12:21) بديلاً عن أورشليم البائدة (رؤ21:10، 12).

+ ومملكته لا تنافس أية مملكة هنا على الأرض بل أنه حثّ على التزام المؤمن بواجباته نحو الدولة والقانون الأرضي **"اعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله "** (مت 22:21، مر 12:17، لو 20:25). والرب لم يشجعّ يوماً على التمرد على القانون حتى إنه دفع الجزية رغم مواطنته لئلا يظن أحد أنه أو تلاميذه يتجاوزون القانون (مت 17:24-27)، كما أن رسله في كرازتهم علّموا بالالتزام بالقانون والخضوع لكل ترتيب بشري لأجل الرب وإكرام الحكام (رو13:1-7، تي 3:1، 1بط2:13، 17) بل والصلاة لأجلهم (1تي2:1، 2) .

+ وملكوت المسيح هو ملكوت أبيه .. ولا فرق **"يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته. حينئذ يضئ الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم"** (مت13:41، 43). ولا مفارقة أن يذكر الكتاب أنه في آخر الأيام **سيسلم المُلك للآب** (1كو 15:4) أو **"قد صار ت ممالك العالم لربنا ومسيحه "** (رؤ11:15) **فالآب يمجد الابن** (يو 12:28) **والابن يمجد الآب "يسوع المسيح رب لمجد الله الآب "** (في 2:11) **"متى جاء (الابن) بمجده ومجد الآب "** (لو 9:26) **"ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته "** (مت 16:27، مر 8:38) **"أبي هو الذي يمجدني"** (يو8:54) **"إن كان الله قد تمجد فيه فإن الله سيمجده في ذاته ويمجده سريعاً"** (يو13:32) **"ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن"** (يو14:13) **"أيها الآب... مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً... مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم"** (يو17:1، 5).

(3) المسيح يعلم عن الملكوت

+ في تعليم المسيح عن **الملكوت** يشير في **مثل الزارع** (مت13:3-9، 18-23، مر 4:3-8، 14-20، لو 8:5-8، 11-15) أن **كلمة الله** هي

"كلمة الملكوت " لأنها تعد القلب للإيمان وتغيّر الحياة، وتطرح ثماراً كثيرة إذا ألقيت في أرض جيدة، ويخبتِ بها المؤمن قبساً من السمويات (كما في مرآة) وتقوده في النهاية إلى الملكوت (السمويات عينها) في اليوم الأخير، والأبرار هم **"بنو الملكوت "**، ويضيئون **"كالشمس في ملكوت أبيهم"** (مت43:13).

+ ملكوت الله على الأرض بدأ صغيراً**"كالقطيع الصغير"** الذي يزداد عدده مع الأيام أو **"كبذرة خردل"**، ولكنه بعمل الروح القدس في الكرازة ينمو حتى يمتد إلى العالم كله كما تنمو **الشجر**ة الضخمة من **البذرة** الصغيرة (مت 31:13، 32، مر 30:4، 31) وكما ينمو **العجين** بفعل **الخميرة** (مت 33:13).

+ والملكوت هو أعظم ما يُقتنى ويمكن مقارنته**بكنز مُخفى في حقل أو بلؤلؤة فريدة فائقة الجمال غالية الثمن** والتاجر الخبير (أي المؤمن المستنير) يراها صفقة العمر التي تفوق كل ما يملك فيبيعه مضحياً به ليشتري الحقل ذا الكنز أو اللؤلؤة الفريدة(مت 44:13-46). [وكان هذا لسان حال القديس بولس وهو يكتب عن خبرته: **" كل ما كان لي ربحاً قد حسبته من أجل المسيح خسارة بل أني أحسب كل شئ أيضاً خسارة** (كأنه لاشئ) **من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح "** (أف 7:3، 8)].

+ وبالطبع فإن المؤمن لن يشترى اللؤلؤة أو الكنز بماله، بل أن المقصود كي ينال الملكوت أن يعيش في الإيمان محباً لله والقريب متحلياً بالقداسة منكراً ذاته وميول الجسد والعالم ومبشراً الناس بحياته، **فالملكوت هو نعمة** يقدمها الله لمحبيه لا فرق بين من عرفوه طويلاً أو من آمن به في الساعة الأخيرة

وفي مثل فعلة الكرم، الذين أخذ كل منهم فـي ختام اليوم ديناراً رغم اختلاف ساعات العمل، يقول صاحب الكرم للمتذمرين على هذه المساواة (كموقف اليهود من الأمم) **"يا صاحب ما ظلمتك . أما اتفقت معي على دينار فخذ الذي لك واذهب. فإني أريد أن أعطي هذا الآخر مثلك أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي"** (مت 13:22-15) فالله هو الذي افتقدنا وخلصنا وهو المنعم علينا بالنصيب الأبدي

+ وفي ختام الزمن سيأتي **الملكوت** في كل ملئه **بمجئ الرب** ، ويصاحب مجيئه علامات كونية غير مسبوقة(مت 24:4-13، 23-31، 36-41، مر13:3-13، 21-29، 31-37، لو21:7-19، 25-36)[3].

+ ومجئ الرب مرتبط **بالحصاد** ، أي **بالحساب والدينونة** ، لتمجيد المؤمنين ورذل الرافضين فيفرز الصيادون (الملائكة) **الحنطة** (الأبرار، بني الملكوت) من **الزوان** (فاعلي الإثم، بني الشرير) الذي يُطرح في أتون النار حيث البكاء وصرير الأسنان . بينما يجتمع الأبرار حول العرش حيث يضيئون **"كالشمس في ملكوت أبيهم"**(مت 13:24-30، 37-43).

+ واستخدم الرب أيضاً مثل**الشبكة المطروحة في البحر** ليعبّر عن انقضاء العالم، فعندما تمتلئ(في الزمان المعيّن) تُصعد إلى الشاطئ ويتم فرز **السمك** الجيد من الردئ(أي الأبرار والأشرار) (مت13:47-50).

+ وبالنسبة للمؤمنين فاليوم الأخير يوم فرح وبهجة وتمجيد . وأمثال المسيح تقدمه **كعرس أو حفل عشاء** ، ويقدم الرب نفسه أنه **العريس** (مت9:15، 1:25، مر2:19، لو5:34، يو3:29)، واسطة العِقد، والذي فيه **"تتبارك جميع أمم الأرض "** (تك 12:3، 18:18، 22:18، 26:4، 28:14، أع 3:25، غل 3:8).

+ يتعلق الملكوت أيضاً بكل ماكان يكشفه الرب من جوانب لاهوته المستتر في الناسوت، وهي بعض أسرار الملكوت السماوي، فهو أشار إلى تجليّه القادم بعد أيام بقوله**"حتى يروْا ابن الإنسان آتياً في ملكوته "** (مت 16:18)، أو **"حتى يروْا ملكوت الله قد أتى بقوة "** (مر 9:1) أو **"حتى يروْا ملكوت الله"** (لو 9:27) : أي يروْا مشهداً باهراً من مشاهد **"ما لم تره عين"** في الأبدية، أو لمحة من مشهد مجيئه الثاني

+ وكما تسجل كلمة الله، فالرب استكمل إعلاناته لتلاميذه عن ملكوته بعد القيامة **"وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله"** (أع1:3)، ووعدهم بإرسال الروح القدس ليتمم لهم هذه المهمة بعد صعوده (يو 14:26، 16:13-15، أع4، 5، 8). وهذه الأمور هي المتعلقة بالخلاص والحياة الجديدة والكرازة وحياة الكنيسة وأسرار الأيام الأخيرة والمجئ الثاني(أع 8:12، 19:8).

---

(3) يُرجع إلى هذه المواقع عما ذكره الوحي من مشاهد وأح داث مصاحبة للمجئ الثاني : (1كو15:12-58، 1تس4:13-17، 2تس 2:1-12، 2بط 3:3-13).

(4) إسرائيل وملكوت المسيح

+ رغم حرص المسيح على تأكيد أنه لم يأت لاستعادة مملكة إسرائيل التي أذلها الغزاة، كما أنه في تعليمه وسلوكه وهيئته كان ينفي قيامه بهذا الدور؛ ورغم أن كثيرين من أتقياء اليهود كانوا يعرفون النبوات ويدركون أن المسيا لا يأتي لإشباع التطلعات المادية على الأرض وإنما لإعلان خلاص يمتد إلى الأبد ية، وأن تأسيس إسرائيل كان تمهيداً لاستعلان مملكة الله الأبدية التي ستنفتح على كل البشر في ملء الزمان بمجئ المخلص : العجيب المشير، الإله القدير، الأب الأبدي، رئيس السلام (إش 6:9)، وإنقاذ الإنسان من الموت الأبدي، والاستيطان من ثم في المدينة العتيدة أورشليم السمائية؛

إلا أن **عامة اليهود** ، الذين كانوا يتذكرون بقلوب كسيرة ماضيهم المجيد الغابر ويقارنون بين ما كان وما هو كائن بينما أقدام المحتل تدنس المدينة المقدسة (رغم الهيكل الذي أعيد بناؤه واسترد بهاءه)، فإن سقف طموحاتهم توقف عند التحرر من المحتل واستعادة المجد ا لقديم لمملكة داود، ورأوا في المسيح أملاً يحقق أحلامهم . فيذكر الكتاب أنه عقب معجزة إشباع الآلاف من الخمسة خبزات والسمكتين "فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا"**هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم . وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه لي جعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده**' (يو6:14، 15).

+ ولكنهم لم يفقدوا الأمل، فلما رأوه يدخل أورشليم علناً راكبا علي الاتان تذكروا الماضي سريعاً وأسرعوا يفرشون ثيابهم في الطريق ويحيّونه بسعف النخل ويهتفون للبطل المنقذ"**أوصنا مبارك الآتي باسم الرب. مباركة مملكة أبينا داود الآتية**" (مر11:9)؛ "**مبارك الملك الآتي باسم الرب** " (لو 38:19)؛ "**مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل** " (يو 13:12)؛ مستعيدين نبوة زكريا (زك 9:9) عن الدخول الملكي لأورشليم "**لا تخافي (ابتهجي جداً) يا ابنة صهيون (اهتفي يا بنت أورشليم) هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع** " (مت 5:21، يو15:12).

+ وحرصت أم ابني زبدي وسط هذه الأجواء أن تتوسط عند الرب كي ينال ولداها تلميذا الرب اللصيقان موقعاً متقدماً في مملكته الآتية"**قل**

أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في ملكوتك " (مت20:21)[4].

+ ويذكر الكتاب أنه بعد إعلان زكا إيمانه وقول الرب **"اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً ابن إبراهيم لأن ابن الإنسان قد جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك"** (لو19:9، 10)، أن اليهود الذين سمعوا هذا **"كانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال"** (لو 11:19) أي إعلان مملكة إسرائيل على يد سليل إبراهيم أبي الآباء وداود النبي والملك، فقال لهم الرب **مثل العبيد العشرة والأمْناء** (لو 12:19-27) [القريب من **مثل الوزنات** المذكور في (مت 14:25-30)] وكشف فيه الرب أنه الملك الديان ولن يكون ملكاً في العالم الآن كما يظنون، فيقول **"إنسان شريف الجنس** (ابن الله المتجسد) **ذهب إلى كورة بعيدة (السماء) ليأخذ لنفسه مُلكاً (يعود إلى مجده) ويرجع** (في المجئ الثاني) **فدعا عشرة عبيد له** (المؤمنين به) **وقال لهم تاجروا** (أي مارسوا إيمانكم) **(حتى آتي)** (ثانية). **وأما أهل مدينته** (خاصته اليهود) **فكانوا يبغضونه.. قائلين لانريد أن هذا يملك علينا ..." وكانت المكافأة من نصيب من تاجر وربح والإدانة للعبد الشرير "... وأما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم** (الرافضون) **فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي** (الهلاك الأبدي)" .

+ أما عن موقف **قادة اليهود** من الرب، فإن **رؤساء الكهنة** ، الذين تحولوا إلى زعماء للشعب وأصحاب سلطان، رأوا في المسيح زعيماً يسحب البساط من تحت أقدامهم وينافسهم على رئاسة الشعب الخاضع لهم. **وهيرودس** كان متوجساً من تأثير يسوع على الناس، لأنه ما كاد يتخلص من يوحنا المعمدان حتى ظهر يسوع فقال هيرودس **"يوحنا أنا قطعت رأسه. فمن هو هذا الذي أسمع عنه مثل هذا "** (لو 7:9-9) . وفيما بعد فكّر أن يقتل الرب أيضاً حتى قيل للرب "اخرج من هنا لأن **هيرودس يريد أن يقتلك"** (لو31:13).

+ هكذا عثر **العامة والكبار** في الرب. **فالعامة** بدد الرب أملهم عندما تبين لهم أنه يرفض مملكة على الأرض وأنه ليس في خطة الله إحياء

---

(4) وربما كان وراء خيانة **يهوذا** وتسليمه سيده لرؤساء الكهنة خيبة أمله في المعلم الذي صدم تطلعاته.

مملكة داود [5]، وهكذا رفضوا ملكوت يسوع الذي لا يحقق أمانيهم واعترفوا بمُلك قيصر الأممي الغريب الذي ليس من إخوتهم حسب وصية الرب (تث 15:17) هاتفين **"ليس لنا ملك إلا قيصر "** (يو 19:12-15). **والكبار** الذين كال لهم الرب الويلات ودان رياءهم وانشغالهم بالمظهر عن الجوهر وتباعدهم عن وصايا الله بينما يأمرون الشعب بتنفيذها، فقد امتلأ قلبهم بالضغينة والكراهية

أسلمه الجميع إذاً ليُصلب، ولكن ذراعيه المفتوحتين احتضنتا العالم كله، والمملكة المحتلة التي عانت الهزائم والمرشحة للخراب بعد بعض الوقت يحل محلها ملكوت ليس من هذا العالم يمتد بعرض الكون

(5) نحن وملكوت المسيح

(أ) شركاء المجد وورثة الملكوت الأبدي

+ نحن مدعوون لمشاركة الله في ملكوته الأبدي: دخوله ووراثته في تمامه وملئه بعد قيامتنا وتمجيد أجسادنا:

"تعالوا.. رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم" (مت25:34)؛

"شاكرين الله الذي أهلنا**لشركة ميراث القديسين في النور** الذي أنقذنا من سلطان الظلمة**ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته"** (كو1:12، 13)؛

" ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون، إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول، **ينالون وعد الميراث الأبدي** " (عب 9:15)؛

" أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان *وورثة الملكوت الذي وعد به الذين يحبونه* " (يع 2:5)؛

"ليس أحد ترك بيتاً أو والدين أو إخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله (من أجل اسمي) **إلا ويأخذ في هذا الزمان أضعافاً كثيرة وفي الدهر الآتي** (يرث) **الحياة الأبدية** " (مت 19:29، لو 18:29، 30)؛

---

(5) وحتى بعد قيامة الرب وأحاديثه لتلاميذه ظلت المفاهيم مضطربة عندهم والآمال لعودة إسرائيل قائمة. فهم يسألونه، وهو يوصيهم أن ينتظروا موعد الآب (لو24:28-32) وذلك قبل صعوده مباشرة، **"يارب هل في هذا الوقت ترد المُلك إلى إسرائيل** " (أع1:6)، ولكن الرب لم ينتهرهم عالماً أنهم سيفهمون كل شئ **"متى حل الروح القدس عليهم"** (أع1:8).

" وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة .. **هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم** وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم " (رؤ 21:2، 3)

+ المؤمنون، وفي مقدمتهم التلاميذ (مت 19:28، لو 22:28-30) والشهداء يشتركون في مُلك ابن الإنسان الأبدي :

"أنا الشيخ (بطرس).. الشاهد لآلام المسيح **وشريك المجد العتيد أن يعلن** " (1بط5:1)؛

"فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح " (رو 8:17)؛

"من يغلب **فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا وجلست مع أبي في عرشه** " (رؤ 7:21)؛

"لأنك ذُبحت، واشتريتنا لله بدمك .. **وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض** " (رؤ 5:9، 10)؛

"وهم سيملكون إلى أبد الآبدين " (رؤ 22:5)؛

"والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تُعط ى لشعب قديسي العلى " (دا 7:27)

(ب) التزامات

ولكن وراثة الملكوت، الذي أعده الله لنا حتى قبل أن نوجد وأنعم به علينا بالفداء، تضع على عاتقنا عدداً من الالتزامات أوصانا الرب بها لنكون مؤهلين لهذا المجد. وهذه الالتزامات تعبّر عن تجاوبنا مع النعمة وتتميم خلاصنا إلى المنتهى :

(1) فينبغي أن يسبق **السعي للملكوت** (وكل ما يتصل به من العمل الروحي) أيَّ هدف آخر، بحيث يسبق كل أنشطة الحياة وألا يزيحه من مقدمة الاهتمامات أيُّ أمر آخر ولو مؤقتاً"اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره" (مت 6:33). وسيستدعى الأمر طبعاً جهاداً لاستبقاء هد ف الملكوت متقدماً غيره، والتوبة عن كل المعوقات التي يدسّها إبليس لتتعثر مسيرتنا وليثبت في الذهن والقلب التشخيص الإلهي لهذا السعي وكأنه امتلاك أعظم لؤلؤة واكتشاف الكنز المُخفى، وهكذا تتضاءل أي تضحيات مهما عظمت.

(2) الله يحثنا على **دوام السهر والاستعداد** ، وقد أخفى عنا موعد الساعة الأخيرة (مت24:42، مر13:33). وفي أمثلة **العرس والوزنات**

(مت 1:22-14، 1:25-30، لو 16:14-24) يدين الرب التهاون والإهمال والتواني والتعلل بالأعذار فهذا لا يمكن أن يكون سلوك من يقدّر الدعوة لدخول الملكوت حق قدرها . والرب دان رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب أصحاب الحسابات الخاطئة العائشين في وهم الامتيازات التي سقطت قائلاً لهم **"إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به . وأما العشارون والزواني فآمنوا به . وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيراً لتؤمنوا به "** (مت 21:31، 32)، وكاشفهم **"أن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره"** (مت21:43).

(3) هذا ينذرنا أن **نعيش بالتوبة وننحاز للبر والقداسة ونرفض الشر ومحبة المال** فالأشرار لا مكان لهم في الملكوت (مت 19:23، 24، مر 10:23-25) :

" لا زناة .. ولا فاسقون .. ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله! (1كو6:9)؛

" وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى عهارة نجاسة دعارة. تحزب شقاق.. حسد قتل .. إن الذين يفعلون مثل هذه لايرثون ملكوت الله " (غل 5:19-21)؛

"إن كل زان أو نجس أو طماع الذي هو عابد للأوثان ليس لهميراث في ملكوت المسيح والله" (أف5:5)؛

وينطبق هذا أيضاً على أصحاب التدين الشكلي والمكتفين بالقشور عن الجوهر والعابدين بالشفاه وأمثالهم : **"ليس كل من يقول يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذي يعمل إرادة أبى الذي في السموات "** (مت7:21).

وبينما يتعثر المتكبرون و الظالمون والمتكلون على أموالهم والمتنافسون على الأماكن الأولى ويمتنع عليهم الدخول إلى الحياة، يفوز بها الأطفال (مت 18:3، 19:4) وأنقياء القلب والمتضعون المساكين بالروح (مت 5:3) والمؤمنون المكروبون والمذلّون الهائمون من أجل المسيح في البراري والجبال والمغاير وشقوق الأرض (عب 11:37، 38).

(4) في تعاملنا الإنساني مع الآخرين نحن مطالبون كمؤمنين **بالتسامح** باعتبار أننا جميعاً إخوة خاضعون لسيد واحد هو الله الذي في السموات (كو 4:1) الذي سيحاسبنا جميعاً يوماً **"لأنه لابد أننا جميعاً**

نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً " (2كو 5:10). وفي **مثل الملك والعبد الردئ** الذي ذكره الرب رداً على سؤال لبطرس عن حدود الغفران للمسئ (مت18:21، 22) وأنها مطلقة [كما سامحنا الله وغفر المسيح لنا دون تحفظ (أف4:32، كو 3:13)] بدأه بالقول "يشبه ملكوت السموات ملكاً أراد أن يحاسب عبيده " (مت 18:23-35) **حاثًّا الكل على الغفران لبعضهم البعض لئلا يقعوا تحت طائلة عقاب الديان في اليوم الأخير، و"طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون"** (مت5:7) .

(5) طريق الملكوت ليس سهلاً ولن يكون **"إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني"** (مت 16:24، مر 8:34، لو14:27). والمسيح استخدم عبارات من نوع **"ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه"** (مت 7:14) **"ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه "** (مت 11:20)؛ وامتداد الكرازة دونه الأه وال والمقاومة والاضطهاد **"في العالم سيكون لكم ضيق "** (يو 16:33) **"إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم"** (يو 15:20). وسيكون الملكوت من نصيب النفوس الأمينة **التي قبلت الآلام من أجل المسيح بالرضى والشكر**، وجائزة كبرى لا تقارن بالثمن الذي تكبده كل مؤمن:

"طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات " (مت5:11، 12)؛

" ثم رجعا (بولس وبرنابا)... يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا في الإيمان **وأنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله "** (أع 14:21، 22)؛

"إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه. فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو8:17، 18)؛

"والضيقات التي تحتملونها بيّنة على قضاء الله العادل أنكم تؤهلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً . إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته (2 تس 1:5-7).

(6) على المعيّنين للحياة الأبدية أن يدركوا أن ملكوت السموات هو وطنهم الأبدي، **وهم وإن وُجدوا في العالم إلا أنهم لا ينتمون إليه "لو**

كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولكن لأنكم لستم من العالم لذلك يبغضكم العالم" (يو 19:15) **"فنثق ونسر بالأوْلى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب"**(2كو 8:5) .

على أن **لهم في العالم رسالة** أن يشهدوا لعمل المسيح فيهم . والرب قال إنهم **"ملح الأرض "** و**"نور العالم "** (مت 13:5، 14)، ولا يمكن الاستغناء عن الملح أو النور، فوجودهم ضرورة لخلاص العالم والكرازة بالمسيح، ولكل واحد دوره، صغُر أم كبر.

وإن كانت هناك الوصية **"لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم"** (1يو 15:2) (والقصد هنا ألا نحب خطية العالم وشهواته) فالوصية المكملة **"تحب قريبك كنفسك "** (لا 8:19، مت 19:19، 39:22، مر 31:12، لو 27:10، رو 9:13، غل 14:5، يع 8:2). **ومثل السامري الصالح** (لو 30:10-37) يجعل قريبي كل من تضعه النعمة في طريق حياتي خاصة الفقير والمحتاج والمريض والغريب والضيف والعدو وأهل البيت.

(7) إن هناك خطراً يتهدد بعض المسيحيين المضطَّهدين في العالم أن يختلط عليهم الأمر، فيحلمون– كما حلم بسطاء اليهود أيام المسيح على الأرض – أن يأتي المسيح لا ليدخلوا ملكوته، وإنما كي يرفع عنهم الاضطهاد متطلعين إلى استرداد حقوقهم الأرضية وتسلّم مواقع القيادة والرئاسة التي حُرموا منها وربما أيض اً الانتقام ممن أساءوا إليهم وسلبوهم حقوقهم كل السنين

نعم أن الله خلق البشر متساوين وليس عنده ظلم (رو 14:9)، بل أنه وعد أن الظالم **"سينال ما ظلم به وليس محاباة"** (كو 25:3). وهو يساند المنادين بمساواة كل البشر في الحقوق، ولكن البشر هم الذين استعبدوا البشر. والرقّ ظل سِبّة في جبين الإنسانية حتى بعد المسيح بقرون[6].

---

(6) من المفارقات أن مؤسسي العالم الجديد في أمريكا الهاربين أصلاً من الاضطهاد الديني في أوروبا إلى الحرية أبادوا معظم السكان الأصليين وحرموا الباقين من حقوقهم وحددوا إقامتهم في كانتونات كمتاحف بشرية. وساقوا مئات الآلاف من الإفريقيين عبر المحيط إلى بلادهم ليكونوا عبيداً يخدمونهم ويبنون لهم مدنهم الجديدة ويشُقون طرقهم ويفلّحون مزارعهم. واحتاج الأمر حروباً أهلية وكفاحاً من السود والبيض لكي تتحقق المساواة ويتمتع الجميع بحقوق متكافئة وليأتي أخيراً مرشح

ولكن المسيح لن يأتي ملكاً يحقق العدل على الأرض وليستعِدْ المسيحيون المضطهدون في بعض بلاد العالم حقوقهم الدستورية المسلوبة حتى وإن كان في عدله يؤيدها . وهو سبق وأشار أن الكرازة بالخلاص سيكون لها أعداؤها، وكما اضطُهد هو وسيق إلى الموت أكد على اضطهاد أتباعه. ولا بأس أن يكافح المظلومون والمضطهدون لنوال حقوقهم حسب القانون، وسيكون حسناً أن ينالوا بعضها. ولكن عليهم أن يعرفوا أن ملكوت المسيح لن يكون في كماله على الأرض وإنما فوق . وهم قد ينالون كل حقوقهم ع لى الأرض ولكن عليهم ألا يعيشوا عبيداً للمال والخطية والعالم فهذا أسوأ. وأن مجدهم الأعظم وتحررهم الكامل سيكون عندما يدخلون ساحة عرش سيدهم في اليوم الأخير

(6) الكنيسة وملكوت المسيح

+ دخل الملكوت إلى عالم الإنسان بتجسد المسيح وفدائه . وهو وعد أنه سيجئ ملكاً ليدين الأحياء والأمواتِ والملاك بشّر التلاميذ الذين كانوا يتابعون صعوده ودخوله في السحاب أنه سوف يأتي ثانية . والفترة بين مجيئه الأول ومجيئه الأخير هي فترة الكرازة بالخلاص والشهادة للمخلص وزمن بناء الكنيسة : **ملكوت الله عل الأرض أو النموذج الأرضي لملكوت الله حيث يبدأ التمتع بالملكوت**

"وتكونون لي شهوداً ... وإلى أقصى الأرض" (أع 1:8)؛

"تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء" (1كو 11:26)؛

"تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكروني إلى أن أجئ " (القداس الباسيلي)

والرب سبق وأعلن بدء ملكوت الله الآن**"ها ملكوت الله داخلكم"** (لو 17:21) كبشرى سارة لكل من يؤمن به.. فالمسيح يملك علينا منذ الآن (رو5:21) وبالإيمان يحيا فينا(غل2:20)، وهو الباب والطريق المؤدي إلى الحياة.

+ وفي **"الأسرار"** ندخل في شركة مع الآب والابن والروح القدس: **"وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح "** (1يو 1:3)؛

نصف أفريقي رئيساً للولايات المتحدة ويسكن في البيت الأبيض الذي بناه العبيد السود قبل مائتي عام فقط !

"احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا" (1تى1:14)؛
"أما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (1كو3:16)؛
"من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الاخير.. يثبت في وأنا فيه" (يو6: 54، 56)؛

+ الكنيسة هي جماعة من نال وا الخلاص وهي تجتمع حول سيدها المسيح:
"وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أع 2:47)

وفي سر التناول، المسيح هو الذي يقدم جسده ودمه كما فعل ليلة الصليب مع تلاميذه، فالمسيح هو صانع الأسرار، والكنيسة هي جسده **"وهو رأس الجسد الكنيسة"** (كو1:18) **"وإياه جعل رأساً فوق كل شئ للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل"** (أف 1:22، 23)
أما الكاهن فهو خادم الأقداس وحارس الأسرار.

+ القداس اختطاف إلى السماء. فالكنيسة هي بيت الله الذي يحل فيه بمجده، وهي مجال عمل الأسرار: من المعمودية والميرون والتوبة إلى الإفخارستيا والكهنوت والزيجة. واجتماع المؤمنين حول الإفخارستيا لا يختلف عن اجتماعهم في الأبدية حول المسيح إلا في مقدار المجد

+ كما ذكرنا فالمسيح يحل فينا بالروح القدس في الإفخارستيا، ولكنه يحل فينا وفي وسطنا أيضاً **في الصلاة "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم "** (مت 18:20)، **وبقراءة الكلمة** لأنه هو كلمة الله **"وجدت كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي"** (إر15:16).
+ المنتقلون يظلون أعضاء في الكنيسة وإنما في حالة انتصار فوق الزمن والألم والقصور، ويكوّنون معاً الجناح المنتصر مقابل الكنيسة المجاهدة على الأرض . وهم أحياء في انتظار إخوتهم وترجّى المجد للجميع في يوم مجئ الرب. وهم حاضرون مع سائر القديسين والملائكة في القداسات ويراهم من تكشف لهم نعمة الله
"أنا إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب. ليس الله (هو) إله أموات بل إله أحياء" (خر3:6، مت22:32، مر 12:27، لو20:38).

وموسى وإيليا عادا إلى الحياة إلى جانبي المسيح وقت التجلي، **والعذراء** ظهرت للآلاف ظهوراً ساطعاً فريداً فوق قبة الكنيسة بالزيتون بدءاً من 1986/4/2 ولأكثر من عام.

ولأن المنتقلين أحياء فنحن نطلب شفاعتهم وصلواتهم فهذا هو عملهم وقد تخففوا من هموم الحياة في العالم الحاضر وجاهدوا وانتصروا

+ وصلوات الكنيسة تحفل بانعدام الحواجز بين السماء والأرض وحضور الرب على المذبح وحوله الملائكة وسكان السماء، فتقول قسمة أعياد الملائكة:

"هوذا كائن معنا على هذه المائدة اليوم عمانوئيل إلهنا حمل الله الذي يحمل خطية العالم كله الجالس على كرسي مجده الذي يقف أمامه جميع الطغمات السمائية الذي تسبحه الملائكة بأصوات البركة ويخرّ ويسجد له رؤساء الملائكة..."

ويقول الشماس في القداس الغريغوري:

"أيها الإكليروس وكل الشعب بطلبة وشكر بهدوء وسكوت ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشرق لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه . والملائكة ورؤساء الملائكة قيام . السارافيم ذوو الستة الأجنحة والشاروبيم الممتلئون أعيناً يسترون وجوههم من أجل بهاء عظمة مجده غير المنظور ولا منطوق به يسبحون بصوت واحد صارخين قائلين : قدوس قدوس قدوس رب ال صباؤوت . السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس".

+ والذين يحيون الملكوت يحفظون وصايا الإنجيل ويعيشون بالقداسة والتوبة المتجددة . وهم يعملون من أجل إتيان ملكوت الله (مت 10:6، لو 3:11) بالكرازة باسم المسيح ويقبلون آلام الشهادة وضيقاتها (أع 22:14) وأوجاع الزمان الحاضر بشكر واثقين أنهم يتمجدون في مجيئه ومن أجل ملكوت الله هم يقدمون نفوسهم قدوة لمن حولهم، وكملح للأرض ونور للعالم (مت 13:5، 14) يخدمون الله في العالم ليصير مكاناً أفضل، ويمارسون محبة القريب إطعاماً للجوعى وسقياً للعطاش وإيواء للغرباء وكساء للعرايا وزيار ة للمرضى ورعاية للسجناء [7]

---

(7) بين هذه الجماعات التي طلب الرب أن نصنع معها الرحمة، يُلاحظ أن المسيح التفت إلى السجناء رغم أنهم يعاقبون بالسجن لخروجهم عن القانون بإتيانهم جرائم، ولكن الرب جاء إلى

(مت35:25، 36) وتعليماً للجهال وافتقاداً لليتامى والأرامل (يع 27:1) ومساندة للمسنين والضعفاء وكل من ليس لهم أحد يذكرهم

فالملك في اليوم الأخير سيكافئ من خدموه في أشخاص هؤلاء المذليّن والمحرومين والمهمشين من كل نوع(رفاق لعازر ا لمسكين الذي كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه).

والذين يبذلون أموالهم وعلمهم وخبراتهم وجهدهم للقضاء على الفقر والجهل والمرض على مستوى العالم المتسع يعملون في الحقيقة في اتجاه إتيان ملكوت الله.

وربما تكون لمن لم يذوقوا في حياتهم غير ذل الفقر والحرمان والمرض وهوان الجهل[8] والتخلف راحة في ملكوت الله، أوما حوله، أكثر من مجرد راحة الموت. والبعض يرى في عدل الله وحبه الذي كلفه دمه أمل هؤلاء الذين وجدوا في الأرض ولم يذوقوا طعم الحياة أن تلمسهم رحمة الله المتسعة في مستقبل الأيام

(7) طبيعة ملكوت السموات

الملكوت السماوي هو المقر الأبدي للقديسين، والرب الذي صعد إلى السماء بجسده (يو3:14، 1ع 1:11)، وإن كان يملأ الكل بلاهوته، عاد إليها كسابق لأجلنا (عب 20:6) حيث مسكن الله مع الناس (رؤ 3:21).

(أ) الجنة والملكوت

الجنة التي وضع الله فيها آدم كانت على الأرض (عدن)، وكان فيها أشجار وثمار **"وأنبت الله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة**

هؤلاء الخطاة الذين ظلمت الأقدار بعضهم وساقتهم قسراً إلى السجون، كما أن جرائم بعضهم ارتكبت عن غير قصد. وإن لم ندركهم في سجنهم فقد يعتادون الإجرام بخلطتهم مع سائر العتاة، كما إنهم جميعاً يعانون الحرمان من الحرية ويحتاجون إلى الرعاية الاجتماعية والروحية التي يمكن أن تنقذهم من مصير مظلم. ولكنائس المسيح دور مشرف يمجد الله في خدمهم للمساجين وتتوبيهم ورعاية أسرهم، وأيضاً لمدمني المخدرات وغيرها من الآفات الاجتماعية.

(8) الله الذي أظهر شفقة على لعازر وأمثاله المضروبين بالقروح والذين يعانون الفقر والحرمان، بيّن أيضاً أنه ضد الجهل المؤدي إلى الهلاك "هلك شعبي من عدم المعرفة" (هو 6:4) فالجاهل يعيش في الظلام "ولايعرف إلى أين يمضي" (1يو2:11).

للأكل" (تك 9:2). كما كان فيها شجرتان رمزيتان **"شجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر "** (تك 9:2). **والشجرة الأخيرة** هي التي أكل منها آدم (وقبله حواء) وهي شجرة المعصية التي سقط من خلالها الإنسان في الخطية وحكم عليه بالموت وطرد من أمام وجه الله الذي أخرجه من الجنة "ليعمل الأرض التي أُخذ منها " (تك3:24)؛ **وشجرة الحياة**، التي وقف يحرس طريقها كروبيم بلهيب سيف متقلب (تك3:24)، ترمز للرب الذي به صارت الحياة لكل من يرمن كما ترمز إلى الخشبة التي صلب عليها مخلصنا والتي التحمت به حتى صارت واحداً مع من صُلب عليها وصار كل منهما يستدعى الآخر، حتى أن القديس بولس ينسب الدم النازف من المخلص إلى الصليب فيكتب **"عاملاً الصلح بدم الصليب "** (كو 20:1)، والكنيسة بدورها تحيي الصليب كما تحيي الرب وقديسيه فتهتف قائلة **"شيري بي استافروس – السلام للصليب "** كما تهتف للعذراء، مثلاً، قائلة **"شيري ماريا – السلام لمريم"**.

ولكن الأرض بكل ما عليها ستفنى هي والسماء الحالية بأفلاكها ونجومها وكواكبها ثم تنشأ أرض جديدة وسماء جديدة يسكن فيها البر (2بط 13:3، رؤ 1:21) هي الملكوت المعد للمؤمنين.

وقد تتضمن بعض الآيات عن السماويات أموراً مما في عالمنا كي نستوعب جانباً من الصورة قدر الاستطاعة. ولكن السمويات رغم ذلك تختلف ولا يوجد مقابل لها من حولنا ... إنها في كلمات قليلة كما هو مكتوب **"ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه"** (إش 4:64، 1كو 9:2).

تجدر الإشارة هنا إلى رؤية بعض العقائد غير المسيحية لطبيعة الحياة الأخرى فتبشر مؤمنيها بجنات تجري من تحتها الأنهار، وحور وولدان وعلاقات جسدية لا تتوقف، وأطعمة وأشربة طاهرة كمكافأة للمتقين، وهو ما يتنافى مع ما تعلنه كلمة الله وما ينسجم مع الحياة الجديدة في السماويات في المسيح يسوع :

"لأن لم يدعُنا للنجاسة بل في القداسة" (1تس 7:4)؛

"لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرج اء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع" (تي 2:11-13)؛

"اتبعوا القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب" (عب 14:12)؛

نعم .. أن المسيح أشار في حديثه إلى تلاميذه قبل دخوله الأخير إلى أورشليم إلى مائدة في الملكوت :

"أنتم الذين تبعتموني. في التجديد (ثبتوا معي في تجاربي، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي) متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً (كراسي) تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر " (مت 22:19، لو 30:22).

كما أنه ساعة الفصح قال الرب لتلاميذ **"شهوة أشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم لأني أقول لكم أنه لا آكل منه حتى يُكمل في ملكوت الله.. إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي (حتى يأتي ملكوت الله)"** (مت 29:26، مر 25:14، لو 15:22، 16، 17).

ولكن الرب بالتأكيد لا يتكلم عن المائدة والأكل والشرب في الملكوت بالمعنى المادي الظاهر . والكتاب يؤكد أن **"لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله"** (1كو 5:15) وأن **"ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس "** (رو 17:14). ولكن الرب وهو جالس مع تلاميذه يأكل معهم فصحاً وبعده يقدم نفسه جسداً يتألم ودماً يُسفك، لا لحساب الأرض وإنما لحساب ملكوت الله، عمد إلى رفع عقولهم وقلوبهم إلى ما سيجري في الملكوت عند إعلان الخلاص الأخير (في 20:3، 21، عب 28:9 ، 1بط 5:1) بصورة لا يمكن فهمها الآن، حيث تُقام وليمة أُخروية (اسكاتولوجية) في عرس الخروف (رؤ 7:19)، ويأتي المدعوون بنو العرس (مت 15:9) من المشارق ومن المغارب (ومن الشمال والجنوب) ويتكئون مع إبراهيم واسحق ويعقوب (وجميع الأنبياء) في ملكوت السموات (الله)" (مت 11:8، لو 28:13، 29) ويُستبعد الذين رفضوا أن يملك عليهم الرب " (لو 27:19).

(ب) عن طبيعتنا في الأبدية

في رد الرب على الصدوقيين (المنادين بأن لا قيامة) الذين سألوه (وفي قصدهم أن مشاكل القيامة تجعلها مستحيلة) عن المرأة التي تزوج بها سبعة إخوة واحد وراء الآخر بعد موت كل منهم دون أن يترك نسلاً "ففي القيامة (المزعومة) لمن من السبعة تكون زوجة فإنها كانت للجميع؟"، قال الرب **"تضلّون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله . لأنهم**

(متى قاموا من الأموات) في القيامة (في ملكوت الله) لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء " (مت 29:22، مر 24:12، 25) **"إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً** (بعد أن قاموا ... ولم يعودوا في الجسد الترابي الذي يموت) **لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة"** (لو 36:20).

الجسد والجنس والتناسل مرتبط بالأرض والموت **"لأن كل ما في العالم شهوة الجسد شهوة العيون تعظم المعيشة. ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد "** (1يو 16:3، 17). فالتكاثر يعوّض ما يفقد بالموت لاستمرار الحياة والنوع. في الأبدية لا مكان لجسد يموت، وفي غياب الموت لا حاجة للجنس.

ولن تكون المتع جسدية. لقد استنفذنا المتع الجسدية عل ى الأرض، وكل ما هو جسدي ومادي آل إلى التراب . وميول الجسد وشهواته لا مكان لها فوق . والجالس على العرش قال **"ها أنا أصنع كل شئ جديداً"** (رؤ 5:2).

في الأبدية سنختبر مُتعاً بمستوى آخر وسنتخلص من كل جوانب الضعف والقصور والمعاناة **"لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد .. ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت "** (إش 10:49، رؤ 16:7، 4:21). سنكون مثل الملائكة نسبّح ونهلل ونبتهج بفرح مجيد لا يُنطق به (1بط 8:1) **"كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضاً وكما هي السماوي هكذا السماويون أيضاً. وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس صورة السماوي"** (1كو 48:15، 49).

(ج) عن جسد القيامة

آيات الكتاب تشي بما ستكون عليه هيئة المؤمنين في المجد عند مجئ الرب ثانية : **"فإن سيرتنا هي في السموات التي منها ننتظر مخلصاً "** (عب 28:9، 1بط 7:5) **هو الرب يسوع الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صو رة جسد مجده "** (في 20:3، 21). **"لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين "** (رو 29:8). وكما أضاء وجه المسيح كالشمس – في التجلي – وصارت ثيابه بيضاء كالنور (مت 2:17) هكذا أيضاً في مجئ الرب **"حينئذ يضئ الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم "** (مت 43:13).

والقديس بولس، الذي اختطف إلى السماء الثالثة – حيث الفردوس – وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها، كشف جانباً من الأسرار وهو يجيب على سؤال "كيف يُقام الأموات وبأي جسم

يأتون؟" وذلك في رسالته الأولى لأهل كورنثوس، الملك توبة قبل أقدم الأناجيل، فكتب يقول **"هكذا أيضاً في قيامة الأموات يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد، يُزرع في هوان ويُقام في مجد، يُزرع في ضعف ويُقام في قوة، يُزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً ..."** (1كو 15:41-44).

وهو يشير إلى أن المؤمنين الأحياء ساعة مجئ الرب سوف يتغيرون في لحظة في طرفة عين (عند البوق الأخير) ويُختطفون مع الأموات الناهضين من قبورهم عديمي فساد لملاقاة الرب على السحاب **"وهكذا نكون كل حين مع الرب "** (1كو 15:51، 52، 1تس 4:16، 17).

✠ ✠ ✠

أما بعد...

فملكوت الله ليس وعداً وإنما هو حقيقة. وهو قد اقترب بمجئ الرب. وهو دخل إلى العالم وحياة الناس بصليب الرب وموته وقيامته.

ونحن لن ننتظر طويلاً لندخله، لأنه يبدأ داخل كل مؤمن يقبل المخلص ويمارس التوبة وحياة القداسة ... والذين يعيشون الملكوت هنا هم الذين سيدخلونه هناك.. والذين عاينوا بعضاً من مجده هنا هم الذين سيرونه في كل مجده عند مجئ الرب مع ملائكته وقديسيه.

حياة الملكوت هنا تكتنفها الآلام والضيقات والإخفاقات ولكن الوعد المكتوب هو "أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو 8:18). **فلنتشدد ونواصل المسير بلا خوف، فبلوغ الهدف صار "الآن أقرب مما كان حين آمنّا"** (رو 13:11).

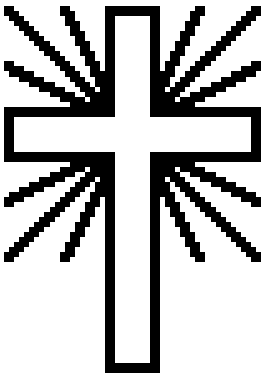

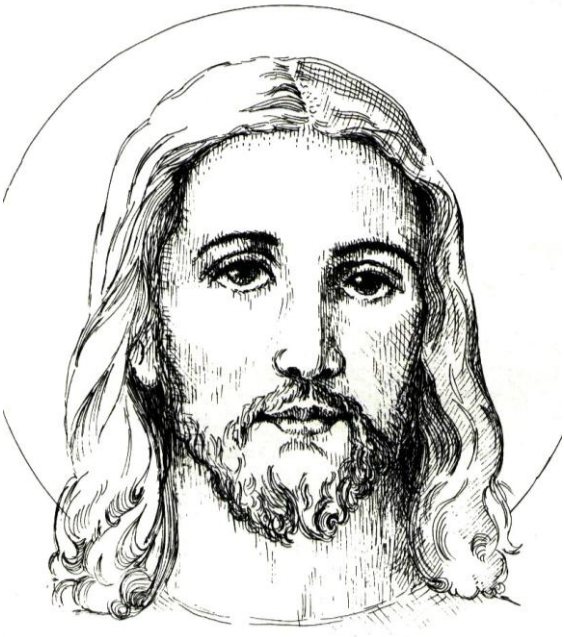

أنـا هو نـور العـالم

كتب صدرت من هذه السلسلة :

الكتاب الأول : **في السلوك المسيحي**

التدين المضاد...ومقالات أخري

الكتاب الثاني : **عـن المسيـــح**

يسوع المسيح الشفيع الكامل ...

ومقالات أخري

الكتاب الثالث : **المسيح في حياة الكنيسة والخدمة**

عثرة الصليب ... ومقالات أخري

الكتاب الرابع : **شخصيات كتـابيـــة**

1 -القديس بطرس .. أول التلاميذ

2 -القديس بولس .. آخر الرسل